الأنا والآخر

الشخصية العربية والشخصية الإسرائيلية
فى الفكر الإسرائيلى المعاصر

دكتور / عمرو عبدالعلي علام

مدرس الأدب العبرى الحديث والمعاصر

بكلية الآداب - جامعة المنوفية



الأنا والآخر
الشخصية العربية والشخصية الإسرائيلية فى الفكر الإسرائيلى المعاصر

تأليف

د. عمرو عبدالعلي علام

تصميم الغلاف :

سامر محمود

التنسيق الداخلى :

صالح صلاح عبدالعزيز

الناشر:

دار العلوم للنشر والتوزيع

رقم الإيداع :

٢٠٠٤/١٣٧٧٢

الترقيم الدولى:

٩٧٧-٣٨٠-٠٢٥-٣

الطبعة :

الأولى - يناير ٢٠٠٥

سنة الطبع :

١٤٢٦ هـ / ٢٠٠٥ م

العنوان:

٤٣ب شارع رمسيس ـ أمام جمعية الشبان المسلمين ـ الدور السادس ـ شقة ٧١ — معروف .

المراسلات:

ص ب : ٢٠٢ محمد فريد ١١٥١٨ القاهرة

هاتف :٥٧٦١٤٠٠(٢٠٢)

فاكس:٥٧٩٩٩٠٧ (٢٠٢)

إدارة المبيعات :

٠١٠١٦٣٦١٩٢—٠١٠٦٨٣٢٧٠٧

البريد الإلكترونى :

Info@daralaloom.com;
daralaloom@hotmail.com
www.daralaloom.com

مقدمة الكتاب

يعتبر عاموس عوز من الأدباء الإسرائيليين المعاصرين الذين تميزوا بإنتاجاتهم الأدبية بين سائر الأدباء الإسرائيليين على خريطة الأدب الإسرائيلى المعاصر، وهو الأمر الذى أكسبه شهرة واسعة داخل إسرائيل. وينتمى عوز إلى أدباء جيل " الموجة الجديدة " الذين بدأوا فى نشر إنتاجاتهم مع بداية الستينيات، وظهروا على الساحة الأدبية من منتصف الخمسينيات.

ومما يزيد من مكانة عوز الأدبية فى إسرائيل، هو اهتمامه بالفرد الإسرائيلى وتساؤلاته حول وجهة المجتمع الإسرائيلى. فإذا حاول الجيل السابق أن يمثل الشخصية الإسرائيلية الجديدة كمن يحقق حلم الأجيال، فإن عوز يحاول أن يمثلها كما لو أنها فشلت فى تحقيق هذا الحلم، مما حدا ببعض النقاد الإسرائيليين إطلاق عليه لقب " ضمير إسرائيل ".

ولعل تلك الموضوعات التى تناولها عوز فى إنتاجاته الأدبية، كانت سببا فى هذه المكانة الأدبية المميزة التى يتمتع بها. فقد تناولت أعماله الروائية والقصصية مشاكل " الكيبوتس " بكل إيجابياته وسلبياته، وتناولت أيضا قضية التراث اليهودى. وكانت مسألة الصراع العربى الإسرائيلى من أهم الموضوعات التى أولى لها اهتماما ملحوظا – منذ باكورة إنتاجاته الأدبية – وهو ما نستطيع أن نلمسه فى أغلب أعماله الأدبية.

ولم يكتف عوز بالتعبير عن آرائه من خلال إنتاجاته الأدبية، بل مارس الكتابة فى الفكر السياسى الإسرائيلى من خلال مقالاته الصحفية التى تهتم بقضايا المجتمع والسياسة، فصار صوته الأدبى والسياسى حاضرا يثير عليه، من آن لآخر، الكثير من المعارضين سواء فى اليمين الصهيونى أو اليسار الذى يعتبر نفسه ممن ينضمون إليه.

ويتناول عوز فى كتاباته السياسية العديد من الموضوعات التى تجابه المجتمع الإسرائيلى فى الوقت الراهن. وعلى سبيل المثال، تناول عوز فى الكثير من مقالاته الصحفية الصراع الدائر بين اليهود الدينيين والعلمانيين، وحاول فيها الكشف عن حقيقة وأهداف هؤلاء اليهود المتدينيين وخطرهم على دولة إسرائيل، مما أثار ضده هذه القوى الدينية المتشددة عند حصوله على جائزة إسرائيل فى الأدب لعام (١٩٩٨)، حيث طالبت هذه القوى الدينية بسحب الجائزة منه، لأنه تطاول – على حد قولهم – على اليهود المتشددين.

وما تزال قضية الصراع العربى الإسرائيلى والوضع فى المناطق المحتلة من الموضوعات التى يكثر عوز من الكتابة حولها فى كتاباته السياسية، فهو يرى أن الصراع العربى الإسرائيلى ليس صراعا بين حق وباطل، وإنما هو صراع بين حق وحق، فكل من اليهود والعرب لهم حق العيش على هذه الأرض. ومن هنا تدور كتاباته السياسية حول

حق تقرير المصير للفلسطينيين وحقهم فى إقامة دولتهم، والحل فى رأيه هو ضرورة الوصول إلى حل وسط، لأنه على حد قوله " كل من يطلب عدلا كاملا ومطلقا، فإنه يطلب الموت " .

ولعل هذا المزج بين الأدب والسياسة لدى عوز يذكرنا بالأديب السياسى المصرى إحسان عبدالقدوس، الذى جمع بين هذين النوعين من الكتابة، وكانت مقالاته (على مقهى فى الشارع السياسى) من أشهر ما كتب فى المرحلة الأخيرة من حياته، ويذكرنا كذلك بالأديب المصرى فتحى غانم.

والسؤال المطروح الآن، هل تختلف التوجهات الأدبية للأديب حينما يمسك بالقلم ككاتب صحفى تشغله قضايا الدولة ومشكلاتها ؟ أم تتفق ؟ وهل تصير هناك ازدواجية فى الرؤية ما بين الكتابة الأدبية والكتابة الصحفية، عندما تتيح له الظروف أن يجمع بين هذين النوعين من الكتابة ؟

من هنا جاء اختيارنا لهذه الدراسة التحليلية المقارنة بين كتابات عوز السياسية وأعماله الأدبية، فهو يعتبر من أشهر الأدباء الإسرائيليين الذين يمارسون الكتابة فى الفكر السياسى الإسرائيلى حتى الآن داخل إسرائيل، بالإضافة إلى بعض الأدباء الآخرين مثل أ. ب. يهوشواع.

وكان اهتمام عوز بالفرد الإسرائيلى وصراعه مع الطبيعة منذ نشأة الدولة ومع الإنسان العربى الفلسطينى على امتداد هذا القرن، هو من الأسباب التى دفعتني إلى اختيار هذا الأديب، وكذلك اختيار هذا العمل الذى تأتى أهميته فى إطار الكشف عن طبيعة العلاقة بين " الأنا " و " الآخر " كما يراها الأدباء الإسرائيليون، وللوقوف على مدى مصداقية هؤلاء الأدباء الإسرائيليين الذين يمارسون الكتابة فى الفكر السياسى، وينادون بالسلام وضرورة الحل الوسط فى قضايا الصراع العربى الإسرائيلى.

وهذا الكتاب يقوم على محورين أساسيين :

١. دراسة السمات الخارجية والداخلية لكل من " الأنا " و " الآخر " كما ظهرت فى أعمال عوز الأدبية، وطبيعة العلاقة والتفاعل المشترك بينهما.
٢. دراسة المحاور الأساسية التى تناول من خلالها عوز " الأنا " و " الآخر " فى كتاباته السياسية على ضوء الصراع القائم بينهما.

ثم بعد ذلك تنهض الإجراءات المنهجية لإجراء مقارنة لرؤية " الأنا " و " الآخر" بين أعمال عوز الأدبية وكتاباته السياسية، وذلك للوقوف على وحدة أو ازدواجية الرؤية لديه فى هذين النوعين من الكتابة.

وعلى ضوء ما تقدم تم تقسيم فصول الكتاب على النحو التالى :

الفصل الأول : "الأنا "و" الآخر" فى المفاهيم النفسية والأدبية

وفيه تم تناول تعريفات " الأنا " و " الآخر " فى مفاهيم علم النفس والأدب، وذلك للوقوف على طبيعة كل منهما والتفاعل المشترك بينهما على ضوء الواقع ونظرة كل منهما للآخر. ثم تم عرض خريطة توضح إجراءات تناول " الأنا " و " الآخر " على مدار هذا الكتاب.

الفصل الثانى : مفاهيم واتجاهات الصراع بين " الأنا " و" الآخر " فى الأدب العبرى الإسرائيلى.

وفيه تم تناول مراحل الصراع بين "الأنا " (متمثلة فى الأدباء الإسرائيليين، وأدباء مرحلة ما قبل قيام الدولة) و" الآخر " (الفلسطينى) منذ ما قبل قيام الدولة وحتى ما بعد حرب أكتوبر ١٩٧٣ ، وذلك للوقوف على مدى ثبات أو تغير رؤية هؤلاء الأدباء للآخر (الفلسطينى) على امتداد هذه الفترات من الصراع بينهما خلال القرن العشرين.

الفصل الثالث : " الأنا " و " الآخر " فى بعض أعمال عوز الأدبية.

ويتناول هذا الفصل السمات الخارجية والداخلية لكل من : الأنا الممثلة لـ" اليهودى الصهيونى " والأنا الممثلة لـ" اليهودى الإسرائيلى " ، والآخر (اليهودى الجيتوى) والآخر (العربى الفلسطينى). وقد كان التشابه الكبير فى الملامح و الصفات بين اليهودى الجيتوى والعربى الفلسطينى فى أعمال عوز الأدبية، من الأسباب التى جعلتنا ندرجهما معا تحت مصطلح "الآخر " بالنسبة للأنا الصهيونية والإسرائيلية، على اعتبار أنهما العنصران المهددان للكيان الصهيونى.

الفصل الرابع : " الأنا " و " الآخر " فى كتابات عوز السياسية

وفى بداية هذا الفصل، تم تناول موقع عوز على الخريطة السياسية فى إسرائيل ثم بعد ذلك يتم تناول نمطين من الأنا الممثلة لـ" اليهودى الإسرائيلى " وهما : اليهودى الإسرائيلى الدينى ، اليهودى الإسرائيلى اليمينى المتطرف باعتبارهما المعبران عن " اليمين الصهيونى المتطرف " فى إسرائيل، وموقف عوز منهما. ونتناول أيضا، فى هذا الفصل، الآخر (الفلسطينى) وموقف الأنا (الفردية) منه – ويمثلها عوز – والمحاور التى ظهر من خلالها فى كتاباته السياسية، وموقف الأنا (الجماعية) الإسرائيلية بنمطيها الدينى واليمينى المتطرف من قضايا الصراع معه.

الفصل الخامس : دراسـة تحليلية مقارنة لرؤية " الأنا " و " الآخر " بين أعمال عوز الأدبية وكتاباته السياسية

ويتم الوقوف فى هذا الفصـل على مدى مصـداقية عوز فى رؤيته لكل من " الأنـا " و " الآخـر " ما بين أعماله الأدبية وكتاباته السياسية، حيث تخضع الأعمال الأدبية التى تم تـناولها للمقارنـة مع الكتابات السياسية التى تم تناولها أيضا . ويتعقب هذا الفصل بالتحلـيل والمقارنـة رؤية عوز الحقيقية لـ " الأنا " و" الآخر " وطبيعة التفاعل المشترك بينهما، ومدى اتفاق أو اختلاف الـرؤية الأدبية مع الرؤية السياسية لعوز.

وفـى الـنهاية ، لايسـعنى إلا أن أتقدم بخـالص الحب والتقدير لأستاذى القدير الأستاذ الدكتور رشاد عبدالله الشامى ؛ أستاذ الدراسات العبرية والإسرائيلية بكلية الآداب — جامعة عـين شمـس ، الذى أثرى هذا العمل بتوجيهاته العلمية السديدة ، وبما له من خبرة واسعة فى هذا المجال ، فتحية له كأب فاضل وكمعلم جليل .

والله ولى التوفيق ...

القاهرة فى يوليو ٢٠٠٤

دكتور / عمرو عبد العلي علام

الفصل الأول

" الأنا " و " الآخر " فى المفاهيم النفسية والأدبية

"الأنا" و "الآخر" فى المفاهيم النفسية والأدبية

أولاً : " الأنـــا " :

يسـمى " سـيجموند فـرويد " أكبر علماء التحليل النفسى، النفس البشرية بشخصيتها وذاتهـا بالأنا . . والأنا هى " الذات " [١] "والذات هى كل ما تشتمل عليه هذه الذات من خصائص وسمات نفسية عقلية أو مزاجية، ودفاعية، من أفكار وطموحات، وصراعات، أو توتـرات، وحاجـات فيـزيولوجية، وحاجـات نفسية، كالحاجــة للحب، والانتماء أو الأمن، وتحقيق الذات، وغيرها من الحاجات والدوافع " [٢] .

ولقـد اختـلفت تفسـيرات " الأنـا " بـين البـاحـثين، فبينما يـرى " فرويـد " أنها خصائص النفس البشرية فـ " الأنا " هى مركز الشعور عند " يونج " وهى أحد النماذج الأصـلية الكـبرى للشخصـيـة، وهى ما يعطى الإحساس بالاتساق والتوجيه عند المستوى الخـاص بالحـياة الشـعورية، وهى تميل إلى مواجهة كل ما يمكن أن يهدد هذا الاتساق الهش للشـعـور، وتحـاول " الأنا " أن تقنعنا بأننا ينبغى أن نخطط ونحلل خبراتنا بشكـــل واع . أما " الذات " فهى الهدف الذى تطمح " الأنا " للوصول إليه، إنها المكون الأكثر تكاملاً وارتقاء من " الأنا "، وهى النموذج الأصلى المركزى " [٣]

وقـد عـرف جميس James " الأنا " بأنها ذلك التيار من التفكير الذى يكون إحساس المـرء بهويـته الشخصـية، وقـد رأى كـولى Cooley أن طبيعة " الأنا " هو شعور أو خبرة شعورية يمكــــن أن نطلـــق عليها شعـــورى My Feeling أو الشعـــور والاستحواذ Sense of Appropriation وهـذه المشـاعر غريـزية ووظيفـتها الرئيسـية هـى توحـيد ضـروب نشـاط الفـرد، ودفعهـا إلى الأمـام . وتنـتج الجوانب المختفية " للأنا " من خلال التعامل مع الآخرين[٤]

ويقول " كلفن هال " : " . . فى الشخص السوى نجد أن " الأنا " هو الجهاز التنفيذى للشخصية وهو الذى يتحكم فى " الهو " و " الأنا الأعلى "، ويدبر شئونهما، وهو الذى

---

(١) د. عـبد المـنعم بـدر، أحمـد الصـباحى عوض الله: تفسير الأحلام: الدينى والعلمى، كتاب الشعب، ١٩٦٩ (ص٣٩) .

(٢) د. شاكر عبد الحميد: الذات والآخر فى عملية الإبداع، مجلة سطور، ديسمبر ١٩٩٦، (ص٦٣) .

(٣) د. شـاكر عـبد الحـميد: الظـل والقـناع، أنـا تـبحث عـن ذاتها، مجلة " إبداع "، يونيو العـدد السادس، ١٩٩٨ (ص ١٣٢) .

(٤) د. إبراهيم أحمد أبو زيد: سيكولوجية الذات والتوافق، دار المعرفة الجامعية، ١٩٨٧، (ص٨٤) .

يحفظ الاتصال بالعالم الخارجى من أجل مصالح الشخصية كلها ومطالبها البعيدة . وحين ينجز " الأنا " وظائفه التنفيذية بحكمة، يسود الانسجام ويعم الاتزان . وحين يستسلم " الأنا " " للهو " أو " الأنا الأعلى " ، أو للعالم الخارجى أو يتنازل عن كثير من سلطته لأى منها، ينجم عن ذلك الاضطراب والشذوذ . . >>(١)

. . وذهب كولى إلى أن الذات أو " الأنا " هى مركز شخصيتنا، وإنها لا تنمو ولا تفصح عن قدرتها إلا من خلال البيئة الاجتماعية، وأن الشعور بـ" الأنا " لا يبرز دون أن يكون مصحوباً بذوات الآخرين . . كما أن هناك الذات الجماعية Group Self أو "النحن " We وتشير إلى صيغه معينه للأنا تتحقق فى صلة وجود جماعة تضم فى عضويتها عدد من الأفراد يشعرون بالتعاون فيما بينهم، وباختلافهم عن ـ أو تعارضهم مع ـ جماعات أخرى (٢) .

وهكذا يتضح لنا أن صورة " الأنا " أو " الذات " عبارة عن منظومة سيكولوجية اجتماعية تتحدد بطبيعة تطورية خاصة حيث أن صورة الذات هى نسق تصورى تطوره الكائنات البشرية، أفراداً كانت أم جماعات وتتبناه وتنسبه إلى نفسها . ويتكون هذا النسق التصورى من مجموعة من الخصائص الفيزيقية والنفسية والاجتماعية، ومن عناصر ثقافية كالقيم والأهداف والقدرات التى يعتقد الأفراد أو تعتقد الجماعة أنها تتم بها (٣) .

أما عن الملامح الجوهرية للأنا فيذكرها كاتل R.Cattell فى :

(أ) أنه بناء مكون من حوافز عديدة يحاول إشباعها .

(ب) يتم توجيهه فى هذا العمل بواسطة الإدراك الذكى للموقف أو كذا ذكريات التجارب الماضية عن الثواب والعقاب والتى تحفظ للحوافز تكاملها وللسلوك ثباته . . (٤)

وهكذا تبدو " الأنا " الفردية أو الجماعية من خلال الشخصية، وتتبلور من خلال الواقع المحيط بها فيؤثر فيها ويكون له أبلغ الأثر فى تكوين الذات أو الشخصية بكل ما تحمله من خصائص سيكولوجية أو اجتماعية .

---

(١) كلفن هال: أصول علم النفس الفرويدى، ترجمة د. محمد فتحى الشنيطى، دار النهضة العربية، بيروت، ط ٢، ١٩٧٠، (ص٣٢) .

(٢) د. فتحى أبو العينين: صورة الذات و صورة الآخر فى الخطاب الروائى، مجلة القاهرة، العدد ١٣١ أكتوبر ١٩٩٣، (ص٩٢) .

(٣) نفس المرجع، (ص٩٣) .

(٤) د. إبراهيم أحمد أبو اليزيد: سيكولوجية الذات والتوافق، مرجع سابق، (ص٨٨) .

ثانياً : الآخر :

إذا حاولـنا أن نعــرف مـا هـو " الآخـر " فيجب أن ندرك أولاً أن هناك ثمة تلازم بين مفهوم " صورة الذات " ومفهوم " صورة الآخر " واستخدام أي منها يستدعى – تلقائيا – حضور الآخر . ويبدو أن هذا التلازم على المستوى المفاهيمى هو تعبير عن طبيعة الآلية التى يـتم وفقـاً لهـا تشـكل كـل مـنها فصورتنا عن ذاتنا لا تتكون بمعزل عن صورة " الآخر " لديـنا، كمـا أن كـل صورة للآخر تعكس – بمعنى ما – صورة " الذات " وهذا التلازم بين الصورتين قد أبرزته أعمال العلماء النفسـيين والاجتمـاعيين الذين اهتموا بالقضايا المتصلة بالـذات وبالآخر . . . حيث طور جيمس مارك بالدويـن J.M.Baldwin بعد ذلـك رؤية تفاعلية اهتم فيها بعلاقة الذات بالآخر ـ حيث شدد على أن " الأنـا والآخر " . . مولودان معاً [١] .

وهكذا، لا يمكن أن يكون هناك " أنا " دون " الآخر " فكــلاهما مرآه الآخر . بيد أن " الآخـر " قـد يكـون هـو " الأنا " ، أى أن كل ما ينصب من تعريفات للأنا من شأنها أن تنسب للآخر أيضاً حين تأخذ " الأنا " محل " الآخر " .

ويقول " جان فاروّ " فى بحث له بعنوان (الآخر من حيث هو اخـتراع تاريخـى) : "ثمة نزعة إلى طـرح التســاوى " الإنسان = وعى " على أنه تسـاو بديهــى . . والحال أن من يسلم بالوعى يسلــم بإدراك الذات من حيث هى فــرد، فيسلم إذن باكتشاف " الآخر " . ذلك أنه إذا ما وجــدت " أنــا " (ضمير المتكـــلم)، فإنه توجد بالضــرورة " أنا " أخـرى عديدة التى هى " أنت " (ضمير المخاطب) . بيد أن هذا التساوى، مهماً يبدوا لنا طبيعياً، ليس من دون شك إلا اختراعا حضارياً حديث العهد . . " [٢]

ولكنـنا إذا حاولـنا أن نستقصـى مـا هـو الفارق بالتحديد بين " الأنا " و " الآخر " ؟ نستطيع أن نقول، أن الثنائية التقليدية التى تفصل وتعارض بين " الأنا " و " الآخر " هى ثنائية تبسيطيـة، ذلك أن كل تعريف ذاتى للأنا يتضمن بالضرورة تعريفاً – ظاهراً أو مضمراً – للآخر، والعكس أيضاً صحيح . غير أنه من الممكن أن يكون رفض حضور الآخر . بل وحتـى كبـته فـى الـتعاريف الذاتـية للأنا مصدراً لصورة الآخر الأكثر تعكراً وسلبية . هذه الظاهـرة قائمة بالتأكيد فى مناطق الحدود والتماس بين المجموعات والمجتمعات والثقافات والحضـارات ... ومـن حالات ذلك حالة العلاقات بين البلاد العربية والغرب . أن للعرب

(١) د. فتحى أبو العينين: صورة الذات وصورة الآخر فى الخطاب الروائى، مرجع سابق، (ص٩٢) .

(٢) جـون فـارو: الآخـر مـن حيث هو اختراع تاريخى، ندوة (صورة الآخر)، الجمعية العربية لعلم الاجتماع، الحمامات / تونس، ١٩٩٣، (ص١١٢) .

حضـارة هـى حضـارة غـير الأوربـية الأكثر قرباً جغرافياً من الغرب . ولعل هذا مما زاد فى إمكـان تشـويه صورة " الأنـا " وصورة " الآخر " وفى إخفاء الطـابع الدرامى عليها فى شمال البحر الأبيض المتوسط وجنوبه . . (١)

إن " الأنا " تتجلى وجودها فى مرايا غيرها الذى يستدعى إبداعها سلباً وإيجاباً فى آن . والنقـيض يسـتدعى نقيضـه فـى هذا السياق، بالقدر الذى يذكر الشبيه بشبيهه فى العـلاقة التـى لا تدنى بطرفيها إلى حال من الاتحاد، فتبرز المخالفة فى المشابهة والمشابهة فى المخالفة، كمـا تـبرز الـنقائض نقائضـها فـى حـركة الوعـى الـذى لا يكـف عـن المقارنة فى عمليات الاسـتدعاء والاسـترجاع التـى تقضـى إلى قـياس النظير على النظير النقيض، والنتيجة هى الحـركة المتوترة للعين التى لا ترى " الآخر " إلا من منظور ما تسترجعه من " الأنا "، ولا تسـترجع الأنـا إلا فى ضوء ما أدركته فى " الآخر " وذلك فى سياق الفعل الحوارى المتوتر من معرفته بالآخر التى تغدو معرفة بالأنا، والعكس صحيح بالقدر نفسه . (٢)

ولعـل هـذا مـا يجعلـنا نقـول أن " الآخـر " عـبارة عـن مقّوم جوهرى من مقومات " الـذات "، مـن حيث أنهـا لا تكـون كذلك إلا من خلال " الآخر " ولا نتعرف على ذاتها إلا عـبر ذلـك "الآخـر" . بمعنـى أننـى لكى أكون موجودا بوصفى أنا، يجب ـ فيما يقول هيبوليت مؤكداً الكلمة التالية مباشرة ـ أن أجد " Trouve آخر " (٣)

وبعـد هـذا التعريف للفارق الذى يفصل بين " الأنا و الآخر " فى المفاهيم يمكن التطرق إلى مفاهـيم وتعـريفات " الآخـر " وصورته فى علم النفس . . وتعرف صورة الآخر بأنها عـبارة عـن مركب من السمات الاجتماعية والنفسية والفكرية والسلوكية التى ينسبها فرد ـ أو جماعة ما ـ إلى الآخرين . (٤)

يقـول الدكتور شاكر عبد الحميد : " أن الآخر " قد يكون أحد الأفراد وقد يكون جماعة مـن الجماعـات أو أمه من الأمم . " فالآخر " قد يكون قريباً وقد يكون بعيداً . وقد يكون صديقاً وقد يكون عدواً . وقد يكون عدواً نفكر فى انسب الوسائل للتعامل معه . (٥)

ولقـد تعددت الرؤى والتعريفات للآخر من قبل العلماء والباحثين، ففى ندوة للجمعية العـربية لعلم الاجتماع، والتى انعقدت بالحمامات فى تونس تحت عنوان " صورة الآخر "

---

(١) تقـديم لــ " صورة الآخـر "، ملخصات الأوراق المقدمة فى الندوة العالمية التى انعقدت بالحمامات (تونس) فى الفترة (٢٩ : ٣١) مارس ١٩٩٣، الجمعية العربية لعلم الاجتماع، (صVII-VI) .

(٢) د. جابر عصفور: فنون الآخر وآدابه، مجلة العربى، العدد ٤٧٣، أبريل ١٩٩٨م، (ص٧٨، ٨٠) .

(٣) د. محمود رجب: فلسفة المرآة، دار المعارف، ١٩٩٤، (ص٢٠٣) .

(٤) د. فتحى أبو العينين: صورة الذات وصورة الآخر فى الخطاب الروائى، مرجع سابق، (ص٩٣) .

(٥) د. شاكر عبد الحميد: الذات والآخر فى عملية الإبداع، مرجع سابق، (ص ٦٣) .

عـرّف الباحـثون "الآخـر" مـن خـلال عدة محاور اختلفت باختلاف صورة " الآخر " فى أوراق العمـل التى تم تقديمها فى الندوة، ومن ضمن ما جاء عن " الآخر " فى هذه الندوة : " . . أن الآخـر حاضـر وبقـوة فـى المجال العام للهوية، ولذلك فإنه يمثل وبشكل مفارق أحياناً موضوع اعزاء ومصدر حذر وحيطة فى نفس الآن . . >>[١]

وإذا كـان " الآخـر " غالـباً مـا يخضـع للتشـويه مـن قبل " الأنا " ، فإن هذا التشويه، يختلف فـى زمن السلم عنه فى زمن الحرب . أما التركيز على ديناميات صورة الآخر طوال الخلافات فيكن أن يساهـم فى صياغـــة فهـم حسن للتفاعل القائم بين السياسة والثقافة فى الأنماط العاملة للهويات الجماعية [٢] .

وبالـتالى فـإن " الآخـر " عـندما يكـون عـدواً، فإنـه يصـبح دائماً قوة من قوى الظلام والسـديم الخ . . . وفـى ظـروف تكـون عاديـة اكثـر أو أقـل تشـاحناً، فـإن " الآخـر " أى الصـورة المسـقطة عـنه، ينـزع إلى أن يكشـف لنا نحن عن أنفسنا، وبيان مكمن النقصان والـرغبة . ويمكنـنا أن نقول على هذا النحو أن " الآخر " هو جزء من أنفسنا من حيث أنه يشترك فى إنسانيتنا وبخاصة فى الجزء الظمئ منها [٣] .

ويـدرك " الآخـر " بطـريقة كونية شبه مطلقه على أنه خطر كامن ومهدد، وقد يصبح علـى وجـه الاحـتمال جـذاباً، على الرغم من اختلافه، أو بالأحرى بسبب هذا الاختلاف نفسه . [٤]

وتقـول " أنـا اندينـكوفا " فـى بحـث لهـا حـول صـورة " الآخـر " مـن خلال الثقافة السياسية :

(١) إن صـورة " الآخـر " ليست سمة ثابتة من سمات الثقافة السياسية بل هى تخضع لعدة تأثيرات ومن الممكن أن تتغير تغيراً سريعاً فى حيز زمنى قصير .

(٢) إن صـورة الـذات القومـية، أى الـ " نحـن " تحـتوى على صور رئيسية حول الإنسان وتـندرج ضـمن نظـام القيم وتبعاً لذلك فإن أى تحوير فى صورة الذات القومية ولو كان طفيفاً، يبدو أمراً صعباً لا يحصل إلا على أمد طويل، ولكنه ليس محالاً [٥] .

وفـى كل مرة نضع تصوراً للآخر نحتاج إلى تحديد، ولو ضمنى، لما هو غير الآخر . . إن " الآخـر " يستدل عنه عبر مستويات مختلفة هى الجنس أو الطبقة أو الموقع فى السلطة العامة

---

(١) نور الدين آفاية: الآخر فى الخيال السينمائى المغاربى، ندوة (صورة الآخر)، مرجع سابق، (ص٥) .

(٢) آبـدات ر. أكلاياف: ديناميات صورة الآخر فى النزاعات السياسية، ندوة (صورة الآخر) مرجع سابق (ص ٦) .

(٣) أسماء العريق: الآخر أو الجانب الملعون، صورة الآخر ، مرجع سابق، (ص٩٨) .

(٤) دانيال بارتو: صورة الآخر وصورة الذات، ندوة (صورة الآخر)، مرجع سابق، (ص١٢) .

(٥) انا اندنيكوفا: صورة الآخرين كخلفية لتصور الذات، ندوة (صورة الآخر)، مرجع سابق،(ص٨) .

(حـاكم / محكوم) أو المنطقة الخ . وهى مستويات كثيرا ما تتشابك . . كما أننا لسنا دائماً إزاء آخر نفسه، بل هناك جملة من المعطيات تمنح للآخر زخما ومضموناً ليس هو عينه إن كان قريبا أو بعيداً فى الزمان والمكان وما يرافقهما من تغيرات غير أنه لا وجود للآخر إلا بوجود مـن يصـوغه بصـفته مهـزوماً أو منتصـراً . وخارج هذه المعادلة يندثر " الآخر " إلى العدم ويصير بلا مدلول [1] .

ويقـول " عـبد الحليم حليم " : " . . . إن صـورة " الآخـر " مـن حيـث هى متأتية بالنتيجة مـن قـوالب جاهـزة ثقافـية ودينـية وعـرقية، ترمـى بجـذورها فى أعماق التاريخ (النـزاعات، الاتصالات المختلفة والمتعددة، التبادلات الحضارية الخ . . .) وتترجم على العمـوم عـن علاقـات القوة، وعن المرامى التـــوسعية وعن مشاعر المجافـــاة الضاربـــة فى لا وعى الأفراد . . . إن هذه الصـــورة تديمها وترعاها قوى اجتماعية بإمكانها أن تستقى مـنها مـا يـبدر مصـالحها المادية كاستغلال الأقليـــات (الإثنية، الدينية الخ . .) أو ما يمنح المشروعية لهيمنة اجتماعية سياسية أو لاستعمار شعب ما . . " [2]

وهـناك مـن ينظر إلى صورة " الآخر " على أنها رهن الظروف والتوقعات فى عمليات الاتصـال والمشـاركة حيث يقـول باحث آخر : "إن صورة الآخر فى الوعى الجماعى لأية مجمـوعة إثـنية يتم رسمها من خلال الظروف التى يجرى فيها الاتصال والتفاعل . إن عملية الاتصـال والتفاعل هذه تتم بوجود توقعات مسبقة من " الآخر " وصورة " الآخر " التى ترسم التفاعل متأثرة إلى حد كبير بمدى تحقق هذه التوقعات " [3]

ودائماً ما تتكون صورة " الآخر " تاريخياً انطلاقاً من أنماط أصلية عابرة للتاريخ تؤسس مخيالنا الإنسانى . [4]

كمـا أن صـورة " الآخر " تتكون تبعاً لأوضاع النشاط المشترك بين الجماعة، ولا تعنى بالنشـاط المشـترك (الـتفاعل المباشـر) فقـط، بـل تضاف إليه مجموعة الظروف الاجتماعية والنشاط الاجتماعي التاريخى، أى النشاط والتفاعل غير المباشر . . [5]

---

(١) دلال البذرى: الآخر أو المفارقة الضرورية، ندوة (صورة الآخر) ، مرجع سابق، (ص١٧) .

(٢) عبد الجليل حليم: الفلاحـــون فى الغرب: الرؤيـــة الكولونياليـــة، ندوة (صـــورة الآخر) مرجع سابق (ص٤٦، ٤٧) .

(٣) عزيز حيدر: صور الآخر العربى فى الوعى الجماعى الفلسطينى، ندوة (صورة الآخر)، مرجع سابق ، (ص ٥٤)

(٤) أسماء العريف: الآخر أو الجانب الملعون، ندوة (صورة الآخر)، مرجع سابق، (ص ٩٨) .

(٥) فوزية العطية: صورة الأمريكي لدى المواطن العراقى، ندوة (صورة الآخر)، مرجع سابق، (ص ١٠٠) .

وهكذا، تبــدو صــورة " الآخر " فى وجود نشاطات اجتماعية، أو تاريخية، مشتركة مـع " الأنـا " ويقول " على الكنز " فى معرض حديثه عن هذا : << . . لما كانت صورتنا عـن " الآخر " قواما مكونا للأنا، أو " للنحن "، فإن صورة " النحن " هى النقطة التى عـندها نستدرج الصـورة التـى لـنا عـن " الآخـر " أو عـن " الآخرين "، والصورة التى للآخرين عنا نحن أو على الأقل كما يخيل لنا أنهم يحملونها عنا "[1]

وبالتالى فالآخر يكون ثنائية نفى أو نزاع مع " الأنا " تختلـف باختلاف تطور هذه الثنائية . . . فالآخـر مـن خـلال وحـدات القبـيلة والأمة ـ ومروراً باللغة ـ هو من وجهة نموذجية مثالـية طـرف نفـى أو نـزاع، ولكن هذه الثنائية مرت فى الفكر وفى الواقع التاريخى بمراحل مختلفة وتخللتها وسائط كثيرة تنوعت معها المسافات بين " الأنا " و " الآخر " بحيث يمكن الحديث عن تيبولوجيا " الآخر " ونسق الآخرية . "[2]

ويجـب الإشـارة هـنا إلى أمـرين : أولهمـا هـو أن صورة " الذات " وصورة " الآخر " قابلـتان للتغـير والتعديل، رغم ما قد يبدو عليهما من ثبات واستاتيكية . والأمر الثانى هو أن مـا يتشـكل لديـنا مـن صـور لذاتـنا أو للآخـرين لا تكـون دائماً وفى جميع الحالات نقية ومحـددة، بـل غالـباً مـا يختلط فـيها الواقعـى بالمـثالى، ويتداخل فيها الداخلى (أى رؤيتنا لحقـيقــة أنفسـنا) بالخارجـى (أى مـا نـريد إظهـاره للآخرين من صفات خاصة بنا) وقد تتشـكل صـورة " الآخر " لدينا من عناصر انتقائية هى ما نريد أن نثبتها فى أذهاننا عن هذا الآخر، فى حين تغيب عنها عناصر أخرى لا نراها أو لا نريد رؤيتها أو الاعتراف بها[3] .

وعـن كيفيـة تصـويــر " الأنــــا " و " الآخر " فى العمل الأدبـى يقول د. شاكر عـبد الحمـيد : << . . هنا تعمل حواس المبدع بطريقة انتقائية . فليس كل ما تتلقاه الحواس يصلح مادة للعمل الفنى . كثير من الأشيـاء تُخزّن فى الذاكـرة : ملامـح الأشخـاص . طـرائف كلامهم . تعبـيرات وجوهــهم . إشــارات أيديهــم . تفاعــلات البشـر ومـواقفهم . تغـيرات الطبيعة والمجـتمع . صـراعات الإنســان مـع البيئــة . ومـع الـــذات ومع الآخر . ثم يحـاول المبدع تنظيم كل ما سبـق بشكــل جديــد "[4]

ويضـيف قـائلاً : << . . يسـعى المبدع، كمـا أشـار إلى ذلك الدكتور " سويف " عن الأسـس النفسـية للإبـداع الفنـى فـى الشـعر، خاصة إلى رأب الصدع الموجود بينه وبين " الآخـر " فالإبداع يبدأ بالشعور بوجود " الأنا " و " الآخر " . والافتقاد لوجود ما يسمى

---

(١) على الكنز: الأنا والآخر كتراتبية، ندوة (صورة الآخر)، مرجع سابق، (ص١٢٦) .

(٢) الطاهر لبيب: الآخر العربى بين الفرد والجمع، ندوة (صورة الآخر)، مرجع سابق، (ص ١٣٨) .

(٣) د. فتحى أبو العينين: صورة الذات وصورة الآخر فى الخطاب الروائى، مرجع سابق، (ص٩٣) .

(٤) د. شاكر عبد الحميد: الذات والآخر فى عملية الإبداع، مرجع سابق، (ص٦٢) .

" الـنحن " . هـذا الشـعور بالاخـتلال فـى حالة الـ " نحن " هذه، يجعل المبدع يمضى نحو تغيير الحواجز الموجودة أمامه، وبينه وبين الآخر . هو يمضى نحو استعادة التوازن المفقود بينه وبـين " الآخـر " من أجل الوصول إلى " النحن " الجماعية الأكثر توازناً، ومن الضرورى أن يخفـض المـبدع هـنا التوتـرات بـين " الأنا " و " الآخر " إلى أقصى حد ممكن . هذا لا يكون ممكنا إلا بالإبداع الجديد . وإلا بتقبل الأنا للآخر . والآخر للأنا . . >>[١]

وعـن كيفـية تحليل أو استخلاص صورة " الأنا " وصورة " الآخر " فى النص الأدبى، يقـول د. فتحـى أبـو العيـنين : " . . إن الـنص الأدبـى ليس كينونة مطلقة خارج الحياة أو فـوقها، أى مجـرد تشـكيل جمـالى فـى ذاتـه، وإنما هو تشكيل إبداعى نابع من الحياة، وتحقق الحـياة بـه استـمرارها وتجاوزهـا لذاتها . . . فإذا كنا نبحث فى النص عن صورة " الذات " وصـورة " الآخر " ، فإن الوحدتين الملائمتين للتحليل هما : الشخصية الروائية، والموقف الروائـى . وإذا كان الهدف العام للبحث هو الفهم الشامل للعمل الأدبى ولدلالاته العامة، فـإن هـذا الهـدف لا يكـتمل تحقـيقه إلا بتأسـيس العلاقـة بـين العمل وبين سياقاته الخاصة والعامة. >>[٢]

وعلى سبيل المثال، وفى دراسة له حول صورة " الأنا " و" الآخر " فى رواية "محاولة للخـروج " لعـبد الحكـيم قاسـم، يقـول الدكـتور فتحى أبو العينين : << إن السؤال الذى تحـاول الدراسـة الإجابـة علـيه هو : كيف تتبدى علاقة " الأنا " (العربى) " بالآخــر " الحضـارى (الغربى) فى رواية " محاولة للخروج " ؟، وتنهض الإجراءات المنهجية للإجابة على هذا السؤال على تحليل لنص الرواية يستهدف ما يلى :

(١) صورة الأنا (الفردية)، وهى هنا ذات البطل / الراوى .

(٢) صـورة الـنحن (الجماعـية)، وتضـم عـدة صـور (جماعـة المثقفين، أصدقاء البطل / الراوى، سكان قرية البطل، أبناء الوطن على العموم) .

(٣) صـورة الآخـر الغربـى (الفردى)، وهى هنا صورة الشخوص الأجنبية كأفراد فاعلين فى بنية النص .

(٤) صورة الآخر الغربى (الجماعى)، أى صورة الغرب الحضارى بصفة عامة .

وتعتمد الدراسة على " الشخصية " و " الموقف " كوحدتين للتحليل . . [٣]

---

(١)د. شاكر عبد الحميد: الذات والآخر فى عملية الإبداع، مرجع سابق، (ص٦٣) .

(٢) د. فتحى أبو العينين: صورة الذات وصورة الآخر فى الخطاب الروائى، مرجع سابق، (ص٩٨) .

(٣) د. فتحى أبـو العينين: صورة الآخر الحضارى فى الخطاب الروائى العربى، ندوة (صورة الآخر)، مرجع سابق، (ص٢) .

هـذا، ونسـتطيع أن نوجـز خلاصة تعريفات "الآخر" فى الرؤى المختلفة وآلية العلاقة بينه وبين " الأنا "، وعلى ضوء ما سبق من تعريف، فى النقاط التالية :

(١) " الآخـر " هـو عـبارة عن مركب من صفات وخصائص النفس البشرية والاجتماعية والسـلوكية والفكـرية، ينسـبها فرد ما إلى الآخرين، وكل تعريف يطلق على " الأنا " مـن شأنه أن يطلق على " الآخر " أيضاً، أي في حالة أن تكون " الأنا " ترتبط بعلاقة اخـتلاف ـ سواء فى الجنس أو الفكر أو الانتماء ـ مع " أنا " أخرى، تكون الأخيرة هى " الآخر " .

(٢) تختلف آلية العلاقة بين " الأنا " و " الآخر " باختلاف الأحداث والظروف التى يمليها الواقـع علـيهما، وتخضـع طبيعة هـذه العلاقة لهدف وانتماء كل منهما، وهى غالباً ما تكـون علاقـة تعـــارض أو اخـتلاف . و " الأنـا " لا تشـعر بوجـودها إلا فى وجود " الآخـر "، وهـو الأمـر الـذى جعـل " جـيمس مارك " يشدد على أن (" الأنا " و " الآخـر " مولـودان معاً) . وهكذا يكون " الآخر " طرف نفى أو نزاع ولا وجود له إلا بوجود من يصوغه بصفته مهزوماً أو منتصراً .

(٣) يرتبط " الآخر " بعلاقة مباشرة أو غير مباشرة بـ " الأنا "، فقد يكون قريباً أو صديقاً أو عدواً أو أمة أو جماعة أو دولة .

(٤) تختلف صورة " الآخر " فى السلم عنها فى الحرب، أى أن " الآخر " تتحدد صورته طـبقاً لعلاقته الإيجابية أو السلبية بـ " الأنا " . ولذلك قد تتشكل صورة " الآخر " من عناصـر تـبذل محـاولات لتثبيـتها فى الأذهان، فى حين يتم البعد عــن عناصر أخرى لا يراد إظهارها أو حتى الاعتراف بها .

(٥) أنمـاط صـورة " الآخـر " هـى أنمـاط ديناميكية ليست ثابتة ثباتاً مطلقاً، بل تتغير طبقاً لهـدف أو رؤى مـن يصـوغه، أو طـبقاً لحدث تاريخى أثر فيه فتغيرت صورته فى بعض عناصرها الأساسية . ويرتبط هذا بسير الأحداث التى غالباً ما تصوغ العلاقة بين "الأنا " و " الآخر " .

وعلـى ضـوء مـا سـبق مـن تعـريفات لكـل من " الأنا " و " الآخر " فى مفاهيم علم الـنفس، نسـتطيع أن نقـول أنـه يمكـن دراسـة طبيعة العلاقة بين " الأنا " و " الآخر " فى أعمال عوز الأدبية والسياسية من خلال التقسيم التالى :

(١) : **"الأنا" (الذات الجماعية) وتمثلها :**

(أ) " الأنا " الممثلة لـ " اليهودى الصهيونى " .

(ب) " الأنا " الممثلة لـ " اليهودى الإسرائيلي " بنمطيها :

١ـ اليهودى الدينى . ٢ـ اليهودى اليمينى .

وهما المعبران عن " اليمين الصهيونى المتطرف فى إسرائيل "

ويمكن التعامل مع كل " أنا " منهما على أساس أنها تمثل أو تنوب عن " الذات الجماعية Group Self " (النحن We) . ومن منطلق أن الذات الجماعية ـ كما ذكر كولى ـ تشير إلى صيغة معينة للأنا تتحقق فى حالة وجود جماعة تضم فى عضويتها عدداً من الأفراد يشعرون بالتعاون فيما بينهم وباختلافهم عن ـ أو تعارضهم مع ـ جماعات أخرى .

(٢) : " **الأنا** " (**الفردية**): ويمثلها عاموس عوز . وتتناول الكيفية التى بدت بها "الأنا" أو " الذات الجماعية " فى أدبه أو فى كتاباته السياسية، وموقفه منها باعتباره يعبر عن تيار أو اتجاه، هو بشكل عام، المعبر عن " اليسار الصهيونى " ، المعروف فى الخريطة السياسية الإسرائيلية باسم " الحمائم " ، وذلك فى مقابل " اليمين الصهيونى الدينى والمتطرف " ، المعروف فى نفس هذه الخريطة باسم " الصقور " . وتعبر عنه " الأنا " أو " الذات الجماعية " الإسرائيلية بنمطيها الدينى واليمينى الصهيونى.

(٣) : " **الآخر** " (**اليهودى الجيتوى**) : ويمثله اليهودى الذى عاش فى بلاد الشتات ، وموقف " الأنا " (الفردية) التى يمثلها عوز منه ، وعلى اعتبار أنه العنصر الذى يهدد كفة الصراع بالنسبة لـ " الأنا " (الجماعية) الإسرائيلية . .

(٤) : " **الآخر** " (العربى الفلسطينى) ، ويمثله العربى الفلسطينى على أساس أنه الطرف الرئيسى فى الصراع مع " الأنا " ، وموقف كل من " الأنا " (الفردية) و " الأنا " (الجماعية) منه .

الفصل الثانى

مفاهيم واتجاهات الصراع بين " الأنا " و " الآخر "

في الأدب العبري الإسرائيلي

مفاهيم واتجاهات الصراع بين " الأنا " و " الآخر " في الأدب العبري الإسرائيلي

اكتشف المهاجرون الصهاينة منذ أن وطأت أقدامهم أرض فلسطين، أن هذه الأرض التى جاءوا إليها لأهداف عديدة سواء أكانت أهداف صهيونية أم دينية، هي أرض مأهولة بالسكان العرب الفلسطينيين، وأنها ليست كما قيل (أرض بلا شعب).

وقد تعرض هؤلاء المهاجرون منذ البداية لحالة من الصراع مع كل من الأرض بطبيعتها القاسية حيناً، ومع الإنسان العربي الفلسطيني حيناً آخر.

وقد أخذت حالة الصدام مع العربي الفلسطيني، اتجاهات عديدة فرضتها الظروف والأحداث التى وقعت على مدى القرن العشرين بين كل من اليهود والعرب، حيث حاول كل طرف من أطراف الصراع أن يثبت حقه في الوجود على هذه الأرض، وأن يدافع عن استمرارية هذا الوجود فيها.

وقد ادعى المهاجر الصهيوني لنفسه حقوقاً تاريخية تارة، ودينية تارة أخرى. ومن هنا أصبح الآخر (الفلسطيني) في نظر الصهيوني، ثم بعد ذلك الإسرائيلي، هو بمثابة الوجه الآخر الذي يرى من خلاله مدى صحته أو بطلان ادعاءاته.

وقد انعكس ذلك الوضع في بعض الأعمال الأدبية لبعض الأدباء الإسرائيليين، الذين شعروا بأن وجودهم على هذه الأرض يتناقض مع جذرية الوجود العربي الفلسطيني. ومن هنا كانت معالجتهم للصراع تختلف باختلاف الظروف والأحداث بين الطرفين.

وبالتالي، سوف نتعرض للكيفية التى صور بها بعض هؤلاء الأدباء الإسرائيليين طبيعة هذا الصراع مع الآخر (الفلسطيني) في أعمالهم الأدبية منذ ما قبل قيام الدولة، وحتى ما بعد حرب أكتوبر (١٩٧٣). وفى هذا السياق ستكون " الأنا " متمثلة في بعض الأدباء الإسرائيليين، في حين أن " الآخر " سيكون متمثلاً في العربي الفلسطيني، على النحو الذي أوضحناه في الفصل السابق عن مفهوم " الأنا " و " الآخر " والتفاعل المشترك بينهما.

ويمكننا القول، بأن معالجة الصراع مع " الآخر "، على هذا النحو، قد سار في عدة اتجاهات عبر مسار تطور الأدب العبري الإسرائيلي، اختلفت في فتراتها الزمنية على ضوء الحروب التى خاضتها إسرائيل، والتى كانت بمثابة فواصل زمنية قاطعة في مراحل هذا الأدب.

وعلى ضوء هذا، يمكن رصد ثبات أو تغير رؤية الآخر (الفلسطيني) لدى هؤلاء الأدباء الإسرائيليين، ومن قبلهم أدباء مرحلة ما قبل الدولة، من خلال المراحل الآتية :

أولاً : مرحلة ما قبل قيام الدولة :

شـهدت فترة البدايات الأولى للهجرات الصهيونية (*) والاستيطان الصهيوني على أرض فلسـطين نـوعاً من العلاقات الرومانسية بين اليهود والعرب الفلسطينيين، حيث نظر الأدباء الصـهاينة إلى العربي الفلسطيني نظرة يمكن الإشارة إليها باعتبارها نظرة إيجابية، تجسدت في المظاهر التالية :

(١) الانبهار بسحر الشرق :

أسـر سـحر الشـرق لـب عـدد كـبير من الصهاينة الأوائل، حتى أننا نجد أن " ميخائيل هلفـرين " نـادى بالـزواج المخـتلط على أوسع مدى بين اليهود والعرب. وتأثر كثيرون من الفـنانين الصـهاينة مـن الجو الشرقي لفلسطين العربية. . وكان العطر الشرقي نفاذاً، لدرجة أن الملحنين الصهاينة الذين جاءوا إلى فلسطين مشبعين بالتقاليد الأوربية، قد تنسموه (١).

واتضـح هذا الانبهار في ذلك المقال الذي كتبه " آحاد هاعام (*) " بعد عودته إلى أوديسا في زيـارة قـام بها إلى فلسطين في عام (١٨٩١)، حيث كتب في ذلك المقال الذي حمل عنوان " حقـيقة مـن فلسطين " : <<لقـد اعتـدنا أن نؤمن خارج البلاد بأن العرب هم وحوش الـبرية، وأنهم شعب يشبه الحمار، وأنهم ينظرون ولا يفهمون ما يحدث من حولهم. وكان ذلـك خطـأ جسيماً، فالعربـي مـثل كـل أبـناء سـام، ذو عقــل حـاد، ويمتلـئ بالحكمة والفطنة . " (٢).

(*) **الهجـرات الصـهيونية**: احـتوى المجتمع الاستيطاني الصهيوني في فلسطين قبل عام (١٩٤٨) على ثلاث مجموعات من الهجرة.

١- الهجـرة الأولى، واسـتمرت خـلال الفـترة من عام (١٨٨٢ - ١٩٠٣)، ووصل تعدادها حوالي ٢٥ ألف مهاجر يهودي.

٢- الهجـرات الثلاث اللاحقة، وهى الهجرة الثانية (١٩٠٤ - ١٩١٤) وكانت تعدادها ٤٠ ألف مهاجر يهودي معظمهم من الشباب اليهودي المتحمس، والهجرة الثالثة (١٩١٩ - ١٩٢٤) وكان ٤٥٪ منهم مـن المهاجـرين مـن روسـيا، و٣٠٪ مـن بولـندا، والهجـرة الرابعة (١٩٢٤ - ١٩٣٤) وكان نصفها من بولندا، وخمسها من روسيا، والخمس الباقي من باقي أنحاء أوربا.

٣- الهجرة الخامسة (١٩٣٢- ١٩٣٨) وحملت إلى فلسطين ٢١٧ ألف يهودي، وكانت أقل صهيونية.

(١) د. رشـاد عـبدالله الشـامي: الفلسـطينيون والإحسـاس الـزائف بالـذنب في الأدب الإسـرائيلي، دار المسـتقبل العربي، القاهرة، ١٩٨٨، (ص ١٥٢).

(*) **آحـاد هاعام**: هو " أشير تسفي جينزبرج " (١٨٥٦- ١٩٢٧)، وهو أحد زعماء حركة " محبة صهيون ". ولـد في روسـيا في إقلـيم " كـيـيف "، وكـان أبـوه تاجراً حسيدياً معروفاً، فعلم ابنه " أشير " في " الحيدر " التعالـيم التوراتية الحسيدية. ويعتبر أحاد هاعام هو أحد الكتاب والمفكرين الذين دعوا إلى توحيد اليهود عن طريق الصهيونية الروحانية، حيث كان من أشد المعارضين للصهيونية السياسية.

(٢) ايهـود بـن عيـزر: "بموليـدت هاجعجوعـيم هامـنوجاديم، هاعرفـى باسفروت هاعفريت" (فى وطن الأشواق المتناقضة، العربى فى الأدب العبرى)، دار نشر زمورا بيتان، تل أبيب، ١٩٩٢، (ص٧).

وكـتب " إسـحاق ابشتاين " (١٨٦٢ ـ ١٩٤٣) أحد المفكرين الصهاينة، أيضاً، مقالاً بعـنوان " حقـيقة خفـية " (١٩٠٧) قـال فـيه عـن الشعب الفلسطيني : " إنه لم يمت ولم يتوقف عن الحياة لحظة. . " [(١)].

ووصـل أمـر الانـبهار بسـحر الشرق إلى حد محاولة استعراب يهود فلسطين، ومحاولتهم التشبه بالعرب الفلسطـينيين. ففي عام (١٨٩٢) نشـــر " زئيف يعقوب [(*)] " قصة بعنوان (عـيد الشـجرة)، يحكى فيها قصة صبي يهودى من مستوطـنة "بتاح تكفاه " يصل إلى قرية "يهـودا " مـرتدياً عـباءة ويحمـل بندقية ويمتطى حصاناً، على الرغم من أنه لم يولد في هذه البلاد التى هاجر إليها مع أسرته.

ويقول " بن عيزر " عن هذا التشبه بالعربي في هذه القصة : " إن هذا التشابه في أسلوب حيــاة هـذا الصـبي يعـــود إلى شخصـية أبائنا في فترة المقرا، آي أنه إنسان شجاع، بطل، نشيـــط، يحـــدد مصيره ومصير شعبه بيده. وقد أخذت هذه الصورة تكثر على مدار تلك السنوات " . [(٢)]

ويقـيم " بـوريس شـتس " أحـد المسـتوطنين الصهاينة مستعمرة " بتسلال " ، ويحاول التشـبه بأبـناء فلسـطين في سـلوكه وفـى ملابسـه. كما أن هناك سلسلة من الأدباء ـ وعلى رأسـهم الخـواجة موسـى " موشـيه سميلانسـكى [(*)] " ـ تصـف العربي باعتباره بطلاً محلياً جديراً بالاحترام والتقليد [(٣)] .

---

(١)ايهـود بـن عيـزر: "بموليـدت هاجعجوعـيم هامـنوجاديم، هاعرفـى باسـفروت هاعفريت" (فى وطن الأشواق المتناقضة، العربى فى الأدب العبرى)، (ص٨).

(*) زئيف يعقوب (١٨٤٧ – ١٩٢٤): ولد في بولندا وهاجر إلى فلسطين عام (١٨٧٨)، وهو مؤرخ وأديب كان من مؤسسي حركة " هامزراحى "، توفى في لندن عام (١٩٢٤).

(٢)ايهـود بـن عيـزر: "بموليـدت هاجعجوعـيم هامـنوجاديم، هاعرفـى باسـفروت هاعفريت" (فى وطن الأشواق المتناقضة، العربى فى الأدب العبرى)، مرجع سابق، (ص١٤).

(*) موشـيه سميلانسـكى (١٨٧٤ – ١٩٥٣): هـو أحد قادة الاستيطان اليهودي في فلسطين؛ يعكس في كتاباته كثيراً من مشكلات المستوطنين اليهود، وخاصة مشكلة العلاقة بين العرب واليهود في فلسطين. كان قد هاجر إلى فلسـطين وهو في الخامسة عشرة ووصل إلى يافا عام (١٨٩١)، وكان يلقب نفسه باسم " الخواجة موسى " نظـراً لعلاقاتـه المـتعددة مـع العـرب الفلسـطينيين. ومن أشهر أعماله قصة (لطيفة) التى قص فيها حب جمع بين فتاة عربية وشاب يهودي.

(لمـزيـد مـن التفاصيل عـن سيرته الذاتـية، أنظر: ريزا دومب: صورة العربي في الأدب اليهودي (١٩١١–١٩٤٨)، ترجمة عارف توفيق عطاري، دار الجليل للنشر، عمان، ١٩٩٠، ص١٣).

(٣) د. رشـاد عبدالله الشامي: الفلسطينيون والإحساس الزائف بالذنـب في الأدب الإسرائيلـــي، مرجع سابق، (ص١٥١)

وانعكس انبهار اليهود بسحر الشرق على طبيعة علاقاتهم بالعرب الفلسطينيين إلى حد انتشـار القصص والروايات العبرية التى تظهر الجانب العاطفي في علاقاتهم، فقد اتبع ذلك العديـد مـن الكـتاب، ففـي روايـة (صراعات الإنسان) لـ " يهودا بورلا [*] " تظهر فيها علاقة حب بين " رحموحنب " اليهودي التاجر المتجول وبين فتاه مسلمة تدعى " شفيقة " ، وبسـبب ذلـك الحـب يطلقهـا زوجها، ثم يقررا الزواج والهرب سوياً. ولكن كان على " رحمـو " أن يطلـق زوجـته، وعلـى " شفيقة " أن تعتنق اليهودية. ولكن خطتهما تكتشف ويهـاجم المنـتقمون "رحمـو " ويقلعـون عينـيه، فتصـاب بعدها " شفيقة " بالخبل وتقتل نفسها.

(٢) محاولة الإيحاء بالانتماء اليهودي القديم لعرب فلسطين :

ظهـر في الأدب العـبري، في محاولـة لـدمج المجـتمع العربـي في المجـتمع الاسـتيطاني الصـهيوني في فلسـطين، اتجاه يرى أن عرب فلسطين هم في الأصل يهود ساقتهم الأحداث والظـروف إلى تغـيير ديانـتهم. وقد عبر عن هذا الاتجاه الكاتب الإسرائيلي " افراهام. ن. فـولك " في مقال له عن (أصل عرب فلسطين) قائلاً : "في أيام الهجرة الثانية وفى أدبها، سـاد الـرأى القائـل بـأن عـرب فلسـطين، وعلى الأخص الفلاحين، هم في أساسهم يهود أرغموا على تغيير دينهم في أيام الاضطهادات والأحكام الصارمة. " [1].

وقـد نـبع الاهتمام بهذه الفكرة لدي الأدباء العبريين، أملاً في أن يكون الأصل التاريخي المشترك باعثاً وحافزاً قوياً لليهود على الهجرة إلى فلسطين والاستيطان بها، كما أن الترويج الإعلامي والأدبي لهذه الفكرة، هو محاولة لتذويب المجتمع العربي في الاستيطان اليهودي، وهـى محاولـة أيضـاً لخلق إحساس لدى المهاجرين الجدد والقادمين من الشتات، بأن هؤلاء العـرب هـم أجـدادهم في الماضـي وشـاءت الظروف أن تبعدهم عنهم، والآن حان الوقت للعودة إليهم. وقد ساعد على الترويج لهذه الفكرة تقارب اللغة العبرية مع العربية.

وقـد طـرح " إسـرائيل بلكيناد " أيضاً، وهو أحد أوائل " البيلوييم " (أتباع حركة " بيلو " التى هاجرت من روسيا إلى فلسطين) في كتيبه " العرب الذين في فلسطين " فكرة أن

(*) يهـودا بـورلا: ولـد عـام (١٨٨٦) في القـدس وتوفـى عـام (١٩٦٩) ، ويعتـبر مـن أوائـل الأدباء العبريين السـفارديم الـذين لـديهم خلفية شرق أوسطية. عندما أنهى دراسته في مدرسة المعلمين كتـب قصته (لونا) وأرسـلها إلى " يوسف حاييم برينر " الذي شجعه بعدها على مواصلة الدراسة، وبهذه القصة أصبح " بورلا " أول أديـب في الأدب العـبري الحديث يعبر عن حياة السفارديم في الشرق الأوسط، حيث تناول حياة اليهود في البلاد العربية وفى بلاد البلقان وفى فلسطين.

(١) د. رشاد عبدالله الشامي: الفلسطينيون والإحساس الزائف بالذنب في الأدب الإسرائيلي، مرجع سابق، (ص ١٥٢، ١٥٣).

عـرب فلسـطين هـم بالفعـل أحفـاد العبريين القدامى، اضطروا إلى اعتناق الإسلام، ويحفز اليهود للاختلاط بهم لإعادتهم إلى سابق عهدهم [١].

وقـد شـاعت هـذه الفكرة بشكل واضح في العديد من القصص العبرية، فيقول " ايهود بن عيزر " في مقدمة كتابه (في وطن الأشواق المتناقضة) :

" إن الاعـتمـاد على شخصيـة العربـي كأب قديم، هو أمر شائع في رواية (أيام وليالي) ١٩٢٦ لـ " ناتـان بستريتسـكى أجامـون " التى نشرت في فترة الهجرة الثالثة. وتحكى هذه الـرواية قصة صبي يهودي وجاره العربي الذي يدعى " الشيخ سعيد "، حيث يطلب ذلك الصـبي الـيهودي مـن جـاره العربـي أنـذ يتبناه بدلاً من أبيه اليهودي الذي بقى في الشتات، ولكـن علـى مـدار الرواية يظهر بشدة أيضاً مدى الإحباط من أن العربي لا يستطيع أو ليس لديه استعداد لأن يكون شخصية أب جديدة للصبي اليهودي " [٢].

وحـاول بعـض الأدبـاء الادعـاء بـأن هناك عدداً من الشباب العربي قد آمن بهذه الفكرة فيقول " كرميلى " في قصته (الرياضيون الصغار عائدون) :

<< بـدأ عـدد مـن الشـباب الناطقين باللغة العربية يؤمنون بأنهم من سلالة بنى إسرائيل القدامـى، وأنهـم بقـوا في البلاد، ولم يذهبوا إلى المهجر بعد أن خربها الرومانيون. وعندما احـتل العـرب الـبلاد اضـطرت غالبـية أبناء البلاد العبريين إلى قبول دين المحتلين وعاداتهم رغمـاً عـنهم. والآن ـ هكـذا آمـن هـؤلاء الشباب العرب ـ أزفت ساعة الرجوع إلى حضن شـعبهم الحقيـقـي، شعـب إسرائيـل، والمشاركة في عملية انبعاثه العظيمة في بلاده كشركاء متساوين. >> [٣]

وهكـذا، كانـت محاولـة الإيحاء بالانتماء اليهودي القديم لعرب فلسطين في تلك المرحلة من المظاهر التى جسد فيها الأدباء العبريون طبيعة العلاقات بين اليهود والعرب الفلسطينيين في محاولـة مـنهم لاسـتقطاب عـدد كـبير مـن الـيهود في بـلاد الشتات إلى أرض فلسطين من ناحية، ولاسترضاء عرب فلسطين لمجيء اليهود إلى أرضهم من ناحية أخرى.

(٣) الاهتمام بتناول حياة عرب فلسطين في الكتابات الأدبية :

اهـتم عـدد كـبير مـن الأدبـاء العـبريين بتصـوير حـياة العرب الفلسطينيين في أعمالهم الأدبية، وكان احتكاكهم بالفلسطينيين بصورة يومية، ومعايشتهم لهم جنباً إلى جنب، سبباً رئيسـياً في وصف أدق تفاصيل الحياة العربية الفلسطينية على أرض فلسطين. وقد تناولوا في

---

(١) د. رشـاد عبدالله الشامي: الفلسطينيون والإحساس الزائف بالذنب في الأدب الإسرائيلي، مرجع سابق، (ص ١٥١).

(٢) ايهـود بـن عيـزر: "بموليدت هاجعجوعيم هامنوجاديم، هاعرفى باسفروت هاعفريت" (فى وطن الأشواق المتناقضة، العربى فى الأدب العبرى)، مرجع سابق، (ص١٥).

(٣) أنطوان شلحت: شخصية العربي في الأدب العبري، دار ابن رشد، عمان، ١٩٨٥، (ص ٣٩).

تلك الأعمال طبيعة الحياة العربية وعلاقاتهم فيما بينهم من زواج وطلاق، وحب وكراهية، وعادات وتقاليد، وصراعات وشجارات. . الخ.

وكـان " موشيه سميلانسكى " أحد هؤلاء الأدباء الذين تأثروا بواقع الحياة العربية في فلسطين، حيث هاجر إليها في عام (١٨٩١). وكانت له علاقات وطيدة مع العرب، وكانت أغلب إنتاجاته الأدبية عن العرب، حيث كتب العديد من القصص التى تدور عن طبيعة الحياة العربية وكان يوقع عليها باسم " الخواجه موسى ".

وقد أشاد " موريس سيمون " لدى تقديمه للترجمة الإنجليزية من قصص " سميلانسكى " بقدرته على تصوير الحياة العربية بهذه الدرجة من الفهم قائلاً : << لقد تعرف عن قرب على الحياة العربية في فلسطين، ووصفها في كثير من قصصه بتعاطف نادر، واستبصار، ومهارة أدبية يندر أن نجدها عند العرب أنفسهم. >> (١).

وكانت المجموعة الأولى لقصصه تحمل عنوان (أبناء العرب، انطباعات وصور من حياة العرب بفلسطين)، وقد نشرت في أوديسا عام (١٩١١). وكانت قصة (لطيفة) هي من أشهر القصص الرومانسية التى كتبها " موشيه سميلانسكى "، حيث يصف فيها حب القاص اليهودي لصبية عربية جميلة العينين، ولكن أبيها يزوجها لشيخ مسن، فتصبح خلال سنوات قليلة امرأة واهنة وطاعنة في السن.

ويقول " ايهود بن عيزر " عن هذه القصة : << تعتبر قصة (لطيفة) من القصص التى تميز كتابات " سميلانسكى " حول حياة العرب وعلاقاتهم بيهود المستوطنات الجديدة. وفى قصصه يبدو التقارب الرومانسي والإنساني بل والحميم. فاليهودى هو الفلاح، صاحب العمل، ويتواجد في نسيج اجتماعي على مستوى عال أكثر من الفلاح والبدوي. وتجد الرومانسية الشرقية صدى خاص لها في قصصه، وذلك في أحداث مثل البطولة، والحب، والأخذ بالثأر، والتى تحدث بين الأسر والقبائل العربية، وأحياناً على غرار " روميو وجوليت " >> (٢).

وقد كتب " واكسمان " في كتابه " تاريخ الأدب العبري " عن " سميلانسكى " وقصصه حول حياة العرب يقول : << إن قصص (أطفال الجزيرة العربية) هي إنتاج فلسطيني رائع بطابع الروح الشرقية. لقد صور وحشية الحياة العربية من كل جوانبها، وحياة الفلاحين والبدو بشكلها البدائي، الذي لم يتلوث بالحضارة الغربية، أما العلاقات

---

(١) ريزا دومب: مرجع سابق، (ص٧٦).

(٢)ايهود بن عيزر: "بموليدت هاجعجوعيم هامنوجاديم، هاعرفى باسفروت هاعفريت" (فى وطن الأشواق المتناقضة، العربى فى الأدب العبرى)، مرجع سابق، (ص١٧).

مـع الـيهود فقـد صـورت بشـكل سـلمى حتـى أن العربـي يعـبر عـن دهشـته لإنجـازات اليهود >>[١] .

وعلـى الـرغم مـن أن " سميلانسكى " حـاول في كـتاباته تقديم الجانب الرومانسي في العلاقـات بـين الـيهود والعـرب وتصوير حياتهم، إلا أنه لم يخف نزعته أو هدفه من إظهار تفـوق اليهود وتخلف العرب، ومدى الاستفادة التى عادت عليهم بعد أن قدم اليهود إليهم، ويظهـر ذلك في مقال له بعنوان " أعمالنـا " كتبـه بعـدما تغـيب عـن فلسطين خـلال الأعوام (١٩٠٩ ـ ١٩١١) :

<< عـندما عـدت إلى فلسـطين لم أعـرف ابـن البلاد. فخلال زمن قصير مضى منذ أيام الـثورة الدولـية (الخاصـة بالأتـراك الشـبان ١٩٠٩) وحتـى الآن، تغير العرب تغيراً تاماً، وتغير العامل في المستوطنة، وتغير أيضاً البدوي المتجول قياساً بتغير العربي الحضري. . فقد اسـتيقظ العربي من سبات نوم عميق، استمر مئات السنين على قوة كبيرة هي قوة إحساسه بنفسـه وبقيمته وبمستقبله. إننا نقف الآن عشية الانتفاضة العربية، ليـس فقط السياسية، بل الانتفاضة الاقتصادية والروحانية. >> [٢] .

وهكـذا، كانـت الحـياة العـربية بطبيعـتها وركائـزها محـور اهـتمام عدد كبير من الأدباء العـبريين ـ أدبـاء مـرحلة مـا قـبل قـيام الدولة ـ على نحو أظهرت فيه تلك الكتابات الأدبية أسـلوب الحـياة العـربية الفلسـطينية بكل مميزاتها وعيوبها في صيغة قصصية، وحبكة درامية ظهرت فيها طبيعة العلاقة بين العرب واليهود.

(٤) إدارك حقيقة الوجود الجذري للفلسطينيين في فلسطين :

أدرك الأدبـاء العبريون جذرية الوجود العربي الفلسطينيعلى أرض فلسطين، وذلك مع توالى الأحداث وإدراك العرب لحقيقة التواجد الصهيوني على أرض فلسطين، فحدث ذلك الصـدام بـين أمـال المهاجـرين في إقامـة الدولـة وبـين حقـوق الشعب الفلسطيني، ونشبت الصـراعات والمعارك بين اليهود والعرب، وتحول العربي في الأدب العبري خلال تلك الفترة من صورة إيجابية ومن بطل مغوار إلى عدو يقف بالمرصاد لهؤلاء اليهود.

ومـن هـنا عبر الأدب العبري الذي كتب في فلسطين قبل قيام الدولة عن الفجوة العميقة التـى تفصـل بين المصالح العربية الفلسطينية وبين المصالح الصهيونية. كما تناول، وبخاصة القصـة والـرواية، الصـدامات المستمرة بين الطرفين والتأثيرات السلبية لذلك على اليهود في فلسـطين. . . وربمـا الشـيء الجديـد الوحيد في تلـك القصـص التـى تناولت الصراع، هو

---

(١) ريزا دومب: مرجع سابق، (ص٧٧).

(٢)ايهـود بـن عيـزر: "بموليـدت هاجعجوعـيم هامـنوجاديم، هاعرفـى باسـفروت هاعفريت" (فى وطن الأشواق المتناقضة، العربى فى الأدب العبرى)، مرجع سابق، (ص١٩).

حديث الكثير منها عن العربي الفلسطيني الذي يتصدى بما أوتى من قوة للتواجد الصهيوني في بـلاده، لأنـه ابن المكان الذي تعيش الأقلية اليهودية الوافدة في صدام مستمر معه، بل هو يمـثل في تلـك القصـص بيئة تـرفض الرضـوخ لمحاولات اقتحام خارجية، وقد أجـبر هذا الوضـع بعـض المفكرين اليهود في ذلك الوقت على الاعتراف بأن الشعب الفلسطيني شعب موجـود وحـي ولا حاجـة بـه إلى بعـث جديد لأنه لم يمت أبداً [1]. وهو الأمر الذي جعل " إسـحاق ابشـتاين " يحذر المستوطنين اليهود من هذه الحقيقة قائلاً: << إذا كنا نشعر بحب جياش تجاه أرض الأبـاء، فإنـنـا ننسـى أن الشـعب الذي يقيـم هنـاك الآن لديـة قلـب حساس وروح محبه تجاه هذه البلاد. >>[2].

وقـد تـرجم هذا الواقع الجديد صورة مناصبة العداء الأدبي للآخر (الفلسطيني)، فصار العربـي جـرثومة في صـورة إنسان يحمل الكثير من صفات التخلف والفقر، ويؤمن بعادات وتقاليد في منتهى القسوة كما يبدو ذلك في قصة (لطيفة) لـ " سميلانسكى "، وبأخذ الثأر كمـا في قصة (أبو الشوارب) لـ " يتسحاق شامي (*) "، ويرمز إليه بالحيوان كما في قصـة (الضـيف) لــ " موشـى سـتافى (ستافسـكى) (*) " التى تشير إلى وصول كلب مريض إلى إحدى القرى العربية وبالطبع كان الكلب هو الضيف العربي. كما أنه يؤمن بالخرافات كما يـبدو ذلـك في قصة (انتقام الأباء) لـ " شامي "، فنجد النساء العواقر تستعمل تعاويذ ضد العين الشريرة التى يعتقدن أن أعدائهن ينظرون إليهن بها، وكذلك ضد دعاة السوء.

وهكـذا يمكـن القـول، أنـنا لا نستطيع أن نجزم بأن القصص أو الروايات التى نظرت إلى العربـي نظـرة إيجابـية، قـبل حـدوث الصدام بين العرب واليهود، قد خلت تماماً من بعض الإشـارات التـى اعتاد الأدب العبري على ترديدها حول العرب، مثل التخلف الذي اجتاح الحـياة العـربية، ومثل البيوت الطينية التى كانوا يعيشون فيها، ومثل قسوة وعادات وتقاليد العـرب، ومـثل المسـتوى المتدنـي الذي انغمس فيه هؤلاء العرب. وعلى سبيل المثال، فإن

---

(١) د. محمـد محمـود أبو غدير: صورة الفلسطيني في القصة العبرية بعد الانتفاضة، مجلة إبداع، العدد الثاني، فبراير ١٩٩٥، (ص٧٤، ٧٥).

(٢) د. رشاد عبدالله الشامي: الفلسطينيون والإحساس الزائف بالذنب في الأدب الإسرائيلي، مرجع سابق، (ص ١٥٤).

(*) **يتسـحاق شـامي**: ولـد في مدينة الخليل عام (١٨٨٨)، وتوفى في حيفا في عام (١٩٤٩). درس في مدرسة المعلمـين بالقـدس، ويعتـبر مـن أكثـر أدبـاء الأدب العبري الفلسطيني الذين كتبوا عن العرب قبل قيام دولة إسرائيل في عام (١٩٤٨).

(*) **ستافسـكى**: ولـد في لتوانـيا. كـان مـن المـتوقع أن يصبح تاجـراً، إلا أنه بدأ في سن الثانية والعشرين كتابة القصـص فـي عدد مـن الصـحف الناطقة باليديشية. هاجر إلى فلسطين عام (١٩١١)، ومنذ ذلك الوقت وهو يكتب بالعبرية حول أساليب الحياة اليهودية البسيطة الرعوية، وحول الخرافات والقصص الشرقية. (أنظر: ريزا دومب، مرجع سابق، ص ٦٩).

قصـة (لطـيفة) لـ " سميلانسكى " التى تعتبر من أشهر القصص الرومانسية التى جمعت بين فـتاة عـربية ويهودي في قصة حب رائعة، قد أشارت بين صفحاتها إلى قسوة الأب وتخلفه، وجانب من جوانب الحياة البدائية المتخلفة للعرب.

وعلـى سـبيل المـثال أيضـاً، وصف " ناحوم يروشاليمى [*] " في قصة (ميركادو سائق الحمـار) حـب جميل أفـندي لــ " اليجـرينا " ابنة الحاخام. ولكن ذلك الحب بلا مستقبل أيضـاً، لقـد أعجـب بشكلها الخارجي وكان يحاول تقبيلها بالقوة. وقد تم تصويره تصويراً بشـعاً، وصـورت رغبـته بشـكل يثير الاشمئزاز في نفس القارئ. ولكن ما يستنتج من هذه القصة أن الجماعة اليهودية لم تكن تتسامح بشأن حب أحد أفرادها والعرب [1].

وكـان " سميلانسـكى " أيضاً من الأدباء الذين تميزوا بنظرة التعالي ضد العرب، حيث كـان علـى وعى كبير بالصراع، وقد دونه صراحة في قصصه. ولكنه تمسك أساساً بالنظرية الصهيونية التى دعا إليها، تلك النظرية التى ترى أن على العرب أن يشعروا بالامتنان لمجيء الـيهود إلى فلسطين لأنهم ادخلوا التقدم إلى الشرق الأوسط. ومن الأهمية بمكان الإشارة إلى أنه كان متحيزاً تماماً لوجهة النظر الصهيونية، لذلك فهو عندما يعبر اهتماماً لمخاوف العرب من نوايا المهاجرين اليهود، فإنه يفعل ذلك من زاوية مناسبة لغرضه [2].

كمـا عالجـت روايـة (قـرية سـلوان) لـــ " يسـرائيل زارحـى " (١٩٠٩ ـ ١٩٤٢) تلك العداوة التى نشأت بين العرب واليهود، والتى وصلت إلى ذروتها في مذبحة (١٩٢٩) بشكل جعل العرب حذرين ويعارضون الهجرات الصهيونية والاستيطان اليهودي في فلسطين.

وهكـذا يمكـن القول، أن التواجد العربي والصهيوني جنباً إلى جنب على أرض فلسطين أظهـر عـدة اتجاهـات، في مـرحلة مـا قبل (١٩٤٨)، يمكن أن نلمسها في الأدب العبري في فلسـطين مـع نهايـة القـرن التاسـع عشر، وبداية القرن العشرين، حيث يقول " ايهـــود بن عيـزر" : كـان لقـاء رجـال الهجـرة الأولى والثانـية، وبالطـبع الأدبـاء الذين صاحبوا هذه الهجـرات مـع الشـرق ومـع العـرب القاطـنين هـذه الـبلاد، لقـاءً صـاحبه ظهـور أساطير عديدة [3]:

(*) ناحـوم يروشاليمى: ولد في روسيا، وهاجر إلى فلسطين في عام (١٩٠٥) عمل محامياً ثم مدرساً، وفى عام (١٩٤٥) نظـم أول مجمـوعة صـهيونية مـن الـيهود التونسيين للذهاب إلى فلسطين. تدور كتاباته حول حياة اليهود الشرقيين، على الرغم من أنه إشكنازى الأصل.

(أنظر: ريزا دومب: المرجع السابق، ص ٧٨).

(١) ريزا دومب: مرجع سابق، (ص١٥٢).

(٢) نفس المرجع، (ص١٥٣).

(٣)ايهـود بـن عيـزر: "بمولـيدت هاجعجوعـيم هامـنوجاديم، هاعرفـى باسـفروت هاعفريت" (فى وطن الأشواق المتناقضة، العربى فى الأدب العبرى)، مرجع سابق، (ص١١).

(أ) الموطن السامي المشترك لكلا الشعبين، وتقارب اللغات السامية. ولم يكن هذا التقارب أمراً جديداً بالنسبة لليهود الذين خرجوا من بلاد المغرب والشرق الأوسط.

(ب) التأثر بطبيعة الشرق الصحراوية، وهذا التأثر نجده في رواية (إلى أين) لـ " فاينبرج " الذي لم يصل أبداً إلى فلسطين، ولكن ندائه " إلى الشرق، إلى الشرق " عبر عن التطلع لبناء عالم جديد في الشرق في مقابل العالم الغربي والأوربي الفاسد، فالصحراء نقية ومن الممكن أن نبني فيها حاضراً جديداً.

(جـ) استعراب يهود فلسطين، فقد تساءل الرومانسيون هل العرب من مواطني فلسطين هم إخواننا من نسل العبريين أو اليهود القدامى ؟ وهل نعيدهم إلى أصلنا المشترك ونبني سوياً معهم ثقافة عبرية واحدة وجديدة ؟

(د) المحافظة على شخصية العربي، وتجسيدها لشخصية العبري القديم التى تعود إلى فترة " المقرا "*. فقد صور " ناحوم جوتمان " أساطير " المقرا " لـ " بياليك " في شخصيات العرب. ومن الممكن أن نجد في أدب هذه الفترة الكثير من النماذج التى تهدف إلى ذلك.

ثانياً : مرحلة ما بعد قيام دولة إسرائيل (١٩٤٨) :

كان من الطبيعي أن تتغير نظرة الأدب العبري إلى الآخر (الفلسطيني) بعد قيام دولة إسرائيل، حيث أصبح لليهود دولة خاصة بهم لها مؤسساتها وأجهزتها المختلفة ولها جيش خاص بها. فقد تبعثر الفلسطينيون في أماكن عدة، حيث استقرت الغالبية منهم خارج إسرائيل، وظلت قلة منهم تعيش داخل إسرائيل أطلق عليهم اسم " عرب إسرائيل " للتفرقة بينهم وبين الفلسطينيين الذين يعيشون في أماكن أخرى في العالم العربي. وقد تعرض الفلسطينيون الذين بقوا في إسرائيل لإجراءات شتى استهدفت محو هويتهم وتحويلهم إلى مواطنين من الدرجة الثانية عليهم أن يكتفوا بما توفره لهم مؤسسات الدولة من أماكن عمل محدودة، ومصادر عيش طبيعية، وبدون طموحات سياسية [(١)].

ويمكن القول، أن حرب (١٩٤٨) تعد بمثابة نقطة تحول كبيرة على المستوى الشخصي والإنساني بالنسبة لبعض الأدباء الإسرائيليين بعد قيام الدولة، حيث وجد هؤلاء أنفسهم، مع بدء المعارك العسكرية التى خاضها الإسرائيلي ضد الآخر (الفلسطيني)، متأرجحون ما بين المثل العليا والأخلاق الإنسانية وبين الواجب العسكري الذي يلزمهم بالقيام بأعمال

(*)العهد القديم (التوراة).

(١) د. محمد محمود أبو غدير: صورة الفلسطيني في القصة العبرية بعد الانتفاضة، مرجع سابق، (ص٧٥).

القتل والطرد وسفك الدماء ضد المواطن العربي الذي عاش معهم جنباً إلى جنب قبل قيام الدولة وبدء العمليات العسكرية ضد القرى العربية.

وقد انعكس هذا الأمر في بعض أعمال عدد من الأدباء الذين عبروا عن هذا الوضع الشائك الجديد. ومن هنا أصبح الآخر (الفلسطيني) بالنسبة للأدباء الإسرائيليين بعد حرب (١٩٤٨) وقيام الدولة هو " مشكلة أخلاقية " يصعب حلها أو حتى الفكاك منها.

وقد كان من أشهر الأدباء الذين عبروا عن هذه الورطة الأخلاقية، الأديب الإسرائيلي "ساميخ يزهار " الذي كان واحداً من الذين خاضوا غمار حرب (١٩٤٨) وشارك في عدد من العمليات الإرهابية الصهيونية التى كانت تستهدف طرد الفلسطينيين من قراهم في إطار مخطط الصهيونية للسيطرة على مزيد من الأرض الفلسطينية وضمها إلى الدولة.

وكانت قصة (الأسير) هي من أصدق القصص التى عبرت عن هذه الورطة الأخلاقية التى وقع فيها بطل يزهار المعذب. وتصف هذه القصة إحدى العمليات العسكرية التى يقوم بها بعض الجنود الإسرائيليين في قرية عربية، وذلك في الفترة الأخيرة من حرب (١٩٤٨) وفى غمرة الخواء النفسي الذي عاش فيه الجنود الإسرائيليون، وفى محاولة لقتل الملل الذي أحاط بهم في هذه المهمة العسكرية التى لم يعرفوا متى ستنتهي، ينتهي الأمر بالقبض على راع عربي والتحقيق معه بتهمة التجسس، وهى فرصة لتبديد ذلك الجو الهادئ والممل.

ويتم وصف عملية صيد الأسير العربي البريء وكأنها عملية عسكرية عظيمة تتم ضد إحدى كتائب العدو، وليس ضد إنسان أعزل وبرئ، وهو ما يعكس سخرية القاص من هذا العمل الشرير [1]. وبعد التحقيق معه في مقر العملية العسكرية وركله ولكمه وضربه عدة مرات بصورة وحشية وحيوانية، يتم نقله إلى مقر القيادة العامة للتحقيق معه، وذلك بصحبة أحد الجنود الإسرائيليين. وهنا يقع ذلك الجندي الذي يقوم بدور القاص في "ورطة أخلاقية " ويتأرجح ما بين كونه إنساناً يرى في ذلك الراعي البريء إنساناً يعول زوجته وأبنائه، ولذا يجب الإفراج عنه وتركه إلى حال سبيله، وبين كونه جندياً يعبر عن " النحن " وليس عن "الأنا"، ويظل طوال الطريق في التفكير ما بين تركه للأسير وبين الاحتفاظ به. وتنتهي القصة دون توصل ذلك الجندي إلى حل يرضى ضميره، ويبقى ممزقاً نفسياً لا يستطيع أن يفعل شيئاً في النهاية.

وفى هذا الصدد، يقول " بن عيزر" : << إن قصة (الأسير) الذي صدرت لأول مرة عام (١٩٤٨) تعتبر من أشهر قصص التخبط الأخلاقي، فقد وصفت بشدة تخبطات القاص

(١) د. رشاد عبدالله الشامي: " الأسير العربي " والعجز الإسرائيلي عن الحسم الأخلاقي في قصة (الأسير) لساميخ يزهار، مجلة الدراسات الشرقية، العدد الثاني، يوليو ١٩٨٤ ، (ص١٣).

الـذي تعلـم كـيف يحـترم حياة الإنسان والنفس والحرية والاستقلال، ولكنه يعجز عن فعل شـئ تجاه ما يقع أمامه، حيث يسيرون لقتل راع عربي مسن وقع في الأسر . . . كما أن دائرة القـاص لم تـتقاطع أبـداً مـع مصـير الأسير، ولم تكن هناك علاقة شخصية بينهما. فالفرد العربـي قـائم فقـط كمعضـلة أخلاقية تقف أمام الجندي الإسرائيلي. ولكن القاص لم يكن مهيأ لاتخاذ أي موقف إيجابي تجاه مقتل الأسير أو تجاه طرده وإبعاده عن أسرته . . . وجاءت نهايـة القصـة نهايـة مفـتوحة، وموت الأسير غير موصوف بها، ولكن من المعقول أن ذلك سوف يحدث >> (١)

ويقـول الـناقد الإسـرائيلي " م. دوبشـانى " عـن قصـة (الأسـير) : << ربما كانت من أحسن قصص يزهار التى استنكر فيها بواسطة القصة الفنية العيوب النفسية والأخلاقية التى وقـع فيها كل منتصر ومحتل، والتى ظهرت في الحرب. >> ويرى " أ. ب. يافه " أن يزهار يصـف في هـذه القصـة، وبصـورة حـرة للغايـة، التفسخ الخلقـي الـذي يحدث للجنود في الخنادق، والحالة النفسية التى قد تحدث لهم بسبب حياتهم (٢).

وهكـذا، تنتهـي القصـة بخاتمـة ذات مغـزيين، مغـزى اسـتمرار المحنة والحزن العميق، ومغـزى استمرار " الأسير " بين يدي من قبضوا عليه ولم يطلقوا سراحه أو يحسموا مصيره واحـتفظوا به لديهم، الإنسان والأرض (٣). وكذلك فقد صور الصراع الداخلي الذي يدور بـين الجندي المرافق وقرارة نفسه. فهو جندي من جهة، وإنسان من جهة أخرى. فهو يعلم أن علـى الجـندي أن يتحلـى بالانضـباط، ويطـيع الأوامر العسكرية، ويقوم بالمهمات التى يكلف بها حتى ولو كان ضميره يحثه على التمرد والعصيان ضد هذه الأوامر (٤).

وبالتالـي، كـان " الأسـير " العربـي هـو بمـثابة " مشـكلة أخلاقية " ليزهار ولعدد من الأدباء الإسرائيليين. وهناك من يرى أن هذه القصة تسير في الاتجاه الذي يتعاطف مع الآخر (الفلسطيني) تعاطفاً رومانسياً يتجاوز الواقع ويتجاهله. ولكننا نرى أن هذه القصة لم يكن بهـا ثمة تعاطف من جانب الأديب مع الأسير العربي، لأنه وبكل بساطة يحاول أن يظهر فقط الجانب الأخلاقي في المقاتل الإسرائيلي وكذلك الجانب الإنساني، وحتى لا يكون آلة مبرمجة للقـتل والطـرد وسـفك الـدماء فقـط. ولعـل مـا يـدل علـى ذلـك هـو فشل ذلك الجندي

---

(١) ايهـود بـن عيـزر: "بموليدت هاجعجوعيم هامنوجاديم، هاعرفى باسفروت هاعفريت" (فى وطن الأشواق المتناقضة، العربى فى الأدب العبرى)، مرجع سابق، (ص٢٨).

(٢) د. رشـاد عـبدالله الشامي: " الأسير العربي " والعجز الإسرائيلي عن الحسم الأخلاقي، مرجع سابق، (ص ٣٠).

(٣) نفس المرجع، (ص٢٩).

(٤) غـانم مـزعل: الشخصية العربية في الأدب العبري الحديث (١٩٤٨ – ١٩٨٥)، دار الجليل للنشر، عمان، ١٩٨٦، (ص٥٦).

الإسـرائيلي في إطـلاق سراح ذلك الأسير على الرغم من علمه بأنه برئ ويعول أسرة مكونة مـن زوجـة وأبناء. ولعل ما يدل على ذلك أيضاً نظرة التعالي، التى نظر بها يزهار إلى ذلك الراعـي الـذي وصـفه بأبشع الصفات. فكيف يتعاطف إنسان مع آخر، وفى نفس الوقت، يكـيل لـه أبشـع وأقـذر الصـفات، ولـيس هو فقط بل والقرية التى يعيش فيها ذلك الأسير البدوي، حيث يقول واصفاً هذه القرية :

<< لقـد أخـذت معـالم الموقـع تتضـح : قـرية عربية متقطعة الأصداء، تل مهجور من الـنمل عفـــن مـن كثـرة الإهمـال، وجـود ذو رائحـة كريهة ملئ بالبراغيث والقمل. فقر وبلاهة القرى البائسة. >> (١).

وكانـت قصـة (خربة خزاعة) لـ " ساميخ يزهار " أيضاً من القصص التى عبرت أيضاً عن تلك " المشكلة الأخلاقية " التى جابهت الفرد الإسرائيلي عند اصطدامه قتالياً بالآخر (الفلسـطيني)، وأوقعـته في صـراع داخلـي يتجلـى في كيفية الحسم الأخلاقي لهذه المشكلة. وتـدور قصـة (خـربة خـزاعة) حـول صـدور أمـر لفصـيلة من فصائل الجنود الإسرائيليين بالاستيـلاء على قريـة عربية تدعى " خربة خزاعة " وذلك بعد طرد سكانها العرب. وكان " يـزهار " نفسـه واحـداً من الجنود الذين ضمتهم هذه الفصيلة حيث قام بالاشتراك في هذه العملـية. وكانـت مهمـة هـذه الفصـيلة تـتلخص في جمـع سـكان هذه القرية، وشحنهم في العـربات، ونقلـهم خلـف الخطوط اليهودية، ونسف المنازل وحرق البيوت، والقبض على الشباب المشبوهين .

وتـبدأ عملـية تنفيذ الأمر القتالي بقسوة، فتنسف المنازل، ويتم جمع السكان وشحنهم في السـيارات. ويشـترك الـبطل القاص في تنفيذ المهمة بقلب محطم ونفس ممزقة، دون أن يجرؤ علـى الاحـتجاج لوقـف الجـريمة التـى تتم على مشهد منه بأسلوب لا إنساني، وبالرغم من احـتجاجه الداخلـي على مشاهد الإرهاب وسماعه لنحيـب النســاء وصراخ الأطفال (٢). ويـبدى " يـزهار " في قصته هذه اعتراضه على طرد العرب وتهجيرهم. إنه يكره التهجير، وأحشـاؤه تتمـزق وهـو يرى موكب المهجّرين. ولكنه يتخاذل كما تخاذل في قصة (الأسير) فلا يقدم على عمل يمنع ذلك (٣).

ويقول " عاموس عوز " عن هذه القصة معبراً عن هذه " الورطة الأخلاقية " :

---

(١) ساميخ يزهار "شبعاه سيبوريم" (سبع قصص)، دار نشر هاكيبوتس همئوحاد، القدس، ١٩٧١، (ص٩٤).

(٢) د. رشاد عبدالله الشامي: الفلسطينيون والإحساس الزائف بالذنب في الأدب الإسرائيلي، مرجع سابق، (ص ١٠٣).

(٣) غانم مزعل: مرجع سابق، (ص٦٣).

<< إن موضـوع هـذه القصة ليس هو الصراع الإسرائيلي العربي، ولكنه بكل خجل هو الصـــراع الإسرائيلي الإسرائيلي. وبدقة أكثر : الصراع بين أحد شبابنا المقاتلين وبين نفسه الممزقة. >>(١)

وقـد كـتب الناقد الإسرائيلي " شالوم كرامر " يقول : << إن الطريقة التى طرحت بها القصـة المشـكلة الإنسـانية السحيقة لمواقفنا من العرب، وتجريدهم من حريتهم، والاستيلاء علـى أملاكهـم وطـردهم من البلاد، تثبت كيف أن الوعي اليزهاري قد تسامى هنا إلى رثاء أخلاقي سام. ومرة أخرى توقف صمتنا. ومرة أخرى، نحن حيارى وخجلون. >>(٢)

ويتجلـى الموقف من الآخر (الفلسطيني) عند " يزهار " في تلك الجمل التى وردت على لسان القاص المعذب، حيث يقول :

<< (مالنا وكل هذه الورطة) اندفعت هذه الكلمات من فمى بلهجة احتجاجية >>(٣).

وبالطـبع، لم تخلـو هـذه القصـة أيضـاً مـن الصـفات الممقوتة التى اعتاد الأدب العبري إلصـاقها بالعـرب الفلسطينين، وبالأرض الفلسطينية التى يصفها بالتخلف ليمهد بذلك لما سـوف تصـبح علـيه من تقدم عندما تتحول من " خربة خزاعة العربية " إلى " خربة خزاعة العبرية " :

<< كـــان مـن الأفضـل أن تقـف أو تسـير طوال اليوم حتى لا تجلس على هذه الأرض، والتـى هـى ليسـت أرض حقـول، بـل قطعـة تراب عفنه وموبوءة بسبب الازدراء، بصقوا علـيها أجيال، وألقـوا علـيها بولهم وبرازهم وروث أبقارهم وجمالهم. تلك البقعة الترابية على جانبى الأكواخ، المصابة بنتن بقايا مساكن إنسانية متراصة وفقيرة. كان كل شئ عفناً، وتشمئز أن تمسك شيئاً بيديك. >>(٤).

وفـيما يـتعلق بالآخـر (الفلسـطيني) كمشـكلة أخلاقية أيضاً، وعلى غرار ذلك الجدل الأخلاقـي والإحسـاس بالـذنب الـذي ميـز قصـة (الأسير)، كتب ذلك الجيل من الأدباء الإسـرائيليين عـدداً مـن الإنـتاجات التى سارت على نفس النهج. ومن ذلك، على سبيـل المثال، قصـة (مـباراة سـباحة) لـ " بنيامين تموز (*) " التى تعكس احتدام الأزمة النفسية والأخلاقية الناجمة عن إصرار ذلك العربي على البقاء.

---

(١)عامـوس عـوز: "بـأور هاتيخيليـت هاعـازاه، مأمـاريم أورشـيموت" (فـى الضـوء الأزرق السـاطع، مقـالات وانطباعات)، دار نشر كيتر، القدس، ١٩٩٠، (ص١٥٧).

(٢)د. رشـاد عـبدالله الشـامي: الفلسطينيون والإحساس الزائف بالذنب في الأدب الإسرائيلي، مرجع سابق،(ص ١٠٨).

(٣) ساميخ يزهار "شبعاه سيبوريم" (سبع قصص)، مرجع سابق، (ص٨٣).

(٤) نفس المرجع، (ص٤٠).

(*) **بنيامين تموز** (١٩١٦– ١٩٨٩): ولـد في روسيا وهاجر إلى فلسطين في عام (١٩٢٤). عندما بلغ من العمر خمس سنوات تعلم في مدرسة " تحكمونى " بتل أبيب، وتعلم في الثانوية في مدرسة " هرتسـليا "، وأكمل=

وتحكـي هـذه القصة عن صداقة جمعت بين أسرة يهودية وأخرى عربية في مدينة " يافا "، حـيث كانـت هـناك زيـارات متبادلة بـين الأسرتين. وكانت الأسرة العربية تمتلك بيتـاً في مـنطقة " تـل الـريش "، وحـدث أن جـرت مباراة سباحة بين " عبد الكريم " ابن الأسرة العـربية والقـاص الشاب الذي ينتمي للأسرة اليهودية، وفاز فيها الشاب العربي على جاره الـيهـــودي. وفـي حـرب (١٩٤٨) يجـد القـاص نفسه ضمن أحد الفيالق التى تتجه نحو منطقة " تل الريش " حيث تقيم الأسرة العربية الصديقة، ويدور قتالاً مريراً في تلك المنطقة يقـع بعـدها " عـبد الكـريم " في الأسـر بعد احتلال بيت أسرته وبركة السبـاحـة. ويعود القاص ويلتقى به في معسكر الأسرى، ويذكره بما قاله له منذ سنوات بعد فوز " عبد الكريم " عليه :

(سوف يأتي ذلك اليوم الذي سأكبر فيه وانتصر عليك أيضاً في البركة) [1].

ويـنـزل القـاص الشـاب في الـبركة، وفي تلك اللحظة يطلق أحد الجنود الرصاص على صديقه " عبد الكريم " فيرديه قتيلاً. فيقترب القاص إلى جثته ويقبلها قائلاً :

<< يهـيأ لـي أنه رآني قبل لحظات، بعيني روحه، وأنا أسبح في البركة، ولم يكن وجهه وجه إنسان مهزوم. فهنا في هذه الساحة، كنت أنا وكنا جميعاً المهزومين >> [2].

وهكذا، نستطيع أن نلاحظ ومن خلال الجملة الأخيرة التى ختم بهـــا " تموز " القصة (كـنا جـميعاً المهـزومين)، مـدى كراهية أدباء هذا الجيل للحرب، وكيف أنها تزيد من محنة الفـرد الإسـرائيلي وتـثقله بالأهـوال وبالمـزيد مـن الإحساس بالذنب، بالإضافة إلى افتقاده الأمـان الـذي هـو في حاجـة إليه: إن بطل القصة يقع بعد موت صديقه العربي في " الورطة الأخلاقـية " التى نجمت عن احتلاله لبيت وبركة صديقه، وقتله في نفس الوقت. وهكذا، ظـل العربـي الفلسـطيني بمـثابة "مشـكلة أخلاقية " جابهت ذلك الشاب الإسرائيلي، فهو يقتل وينسف ويحتل قرية عربية، وفى نفس الوقت يأسف لموت ذلك العربي.

وتـتـرد مثل هذه النغمة في قصة (الكنز) لـ " أهارون ميجد [*] "، حيث تحكى عن عودة عربي إلى بيته وقريته متستراً في الليل بعد أن هجرهـــا في أعقـــاب حرب (١٩٤٨) للبحث

= تعليمه الجامعي بجامعـة السربون بـباريس، حـيث درس تـاريخ الأدب والفـن. ومـن أعمـالـه: (الرمال الذهبية)١٩٥٠، (حياة الياقيم) ١٩٦٣، (البستان) ١٩٧٦، (ليلة على الضفة الغربية)، (حديقة مغلقة) ١٩٤٧.

(١)ايهـود بـن عيـزر: "بموليـدت هاجعجوعـيم هامـنوجاديم، هاعرفـى باسـفروت هاعفريت" (فى وطن الأشواق المتناقضة، العربى فى الأدب العبرى)، مرجع سابق، (ص٢٩).

(٢)نفس المرجع (ص٣٠).

(*) أهـارون مـيجد: ولـد في بولـندا عـام (١٩٢٠)، وهاجـر إلى فلسـطين مـع والديه عام (١٩٢٦) . درس في المدرسة الثانوية " هرتسليا " بتل أبيب، وكان عضواً في كيبوتس " سادوت يم قيســـرية " ثم تـركه عـام=

عـن كنـز دفـنه في ناحـية مـن القـرية بعـد أن أصـبح فقـيراً معدماً من جراء استيلاء القوات الإسـرائيلية على قريته وبيته، وعند اقترابه من بيته يجد أن امرأة يهودية تسكن فيه، فيغضب ويثور ويلقبها بالزانية.

ويعتـبر العربـي في هـذه القصـة بمثابة " مشكلة أخلاقية " بالنسبة للأديب نفسه، وليس بالنسبة للقاص لأنها تحكى من وجهة نظر اللاجئ العربي، حيث حاول " ميجد " أن يظهر تعاطفـه مـع الآخـر (الفلسطيني) لإحساسه بالذنب تجاه ما حدث له من تهجير وطرد، فهو يقول على لسان العربي في هذه القصة :

<< أيـتها الزانية. . . كيف تدخلين بيتي الذي ولدت فيه أنا وأبى وجدودي منذ القدم ؟ وهنا أكلنا، ونمنا، وهنا كانت زوجتي أم أولادي تستيقظ كل يوم لتطحن الحبّ، وهنا كان يلعب أولادي ويضحكون، وهنا نمت. . فكيف تضعين باباً جديداً في ملك بيتي >> [1].

إن كـل كلمـة مـن العـبارات السـابقة تعـبر عن مدى تعاطف الأديب مع ذلك العربي، وإحساسـه بالـذنب تجاهه. كما أن كلمة " هنا " التى تكررت عدة مرات في كل جملة تؤكد علـى جذريـة الوجـود العربـي في هـذا البيت الذي اغتصب منه عنوه، كما أن سباب ذلك العربـي لتلك المرأة اليهودية يعبر عن مدى الظلم الذي وقع على هذا الرجل العربي واستيائه منه.

ويقول " ايهود بن عيزر " عن هذا الموقف الذي يتعاطف فيه " ميجد " مع العربي :

<< في الحقـيقة يعـد ذلـك الموقف توافقاً غريباً للأديب مع بطله، فهو يدفع ضريبة الآلام لتخبطاته الأيديولوجية، أو ضريبة أيديولوجية لتخبطاته الأخلاقية. >>[2]

وبالـرغم مـن أن الكاتـب يظهـر تعاطفه مع العربي الفلسطيني، فإنه سرعان ما يحيد عن ذلـك ويظهـر كـراهية ذلـك العربي لليهود وتطلعاته للانتقام منهم، وهو ما يعكس احتداماً للأزمـة النفسية التى اجتاحت جيل (١٩٤٨) من الأدباء الإسرائيليين والتى مثل فيها العربي الفلسطيني ما هو بمثابة " ورطة أو مشكلة أخلاقية " .

وهكـذا، تعـد حـرب (١٩٤٨) بمـثابة نقطـة تحول حقيقية في موقف الأدب العبري تجاه العربـي الفلسـطيني، إذ خـرج العربـي مـنذ ذلـك الحـين من طور المثال الرومانسي إلى طور الواقـع الملمـوس الـذي يـتعين علـى الأديـب الـتعامل معـه. وقـد سيطرت على أدب هذه

= (١٩٥٠)، واستقر في تل أبيب ليعمل في صحيفة " في الفجر ". ومن أعماله: (رياح البحور)١٩٥٠، (حدفا وأنا) ١٩٦٤، (الهروب). ومن أشهر أعماله رواية (الحي أفضل من الميت) ١٩٧٠.

(١) ايهود بن عيزر: "بورتسيم فنتسوريم، عيونيم بسفروت هايسرائيليت هاتسعيرا"، مجلة قيشت، دار نشر عم هاسيفر، تل أبيب ١٩٦٨، (ص١٤٣).

(٢) نفس المرجع، (ص١٤٣).

المرحلة، أي أدب الأربعينيات والخمسينيات، روح الصراع بين ممثلي الأيديولوجية الصهيونية الاشتراكية التى دعت إلى التعايش مع العرب وبين ممثلي التيار الصهيوني العدواني الذي ارتكب خلال حرب (١٩٤٨) العديد من المذابح الشهيرة ضد العرب العزل [١] .

وعن هذه الحرب يقول المفكر الصهيوني " أمنون روبنشتاين " :

<< لقد جعلت حرب (١٩٤٨) الإسرائيلي في حالة من الصدام العنيف مع العالم العربي الذي يحيط به. إنها للحياة أو الموت، وقد بدأ ابن البلاد يكتشف مدى الأعماق السحيقة للعداء العربي. إن أدب حرب (١٩٤٨) يعبر عن هذه الصدمة. إنها تتسم بالقسوة التى رمى إليها ابن البلاد. ولكنها لا تكشف عن مدى قوة العداء فحسب، بل كذلك عن الإحساس بالذنب تجاه العربي ابن البلاد اللاجئ، والضحية، والأسير. >> [٢]

وهكذا، يمكننا القول في هذا المجال أن صورة الآخر (الفلسطيني) في الأدب القصصي العبري الذي تناول حرب (١٩٤٨)، كانت على صلة وثيقة بتلك " الورطة الأخلاقية " التى كان يواجهها الأديب حينما كانت تضطره ظروف الحرب لطرح قلمه جانباً والتخلي عن مشاعره وأحاسيسه، وارتداء البزة العسكرية.

وكان ظهور العربي، قبل كل شئ، يعرض كشخصية بسيطة، وكمشكلة أخلاقية وأيديولوجية تقف أمام المقاتل الإسرائيلي وتجعله في اختبار مع قيمه وتعاليمه المتحضرة. ومن هذا الاختبار يخرج البطل الإسرائيلي بإحساس صعب للغاية، حيث يتحطم عالم القيم بملامسة الواقع، ولذا كانت هناك عواقب كثيرة في نفسيته وفى أدب ذلك الجيل، وذلك من خلال المواجهة مع شخصية الآخر (الفلسطيني)، ومع المسألة العربية [٣] .

ثالثاً : مرحلة ما بعد حرب يونيو (١٩٦٧) :

تجئ حرب يونيو (١٩٦٧) التى خاضتها إسرائيل ضد ثلاث دول عربية (مصر ـ سوريا ـ الأردن)، واحتلت على أثرها أجزاء عديدة من أراضى هذه البلاد، لتمثل محنة جديدة من المحن التى أثقلت كاهل النفسية الإسرائيلية. فعلى الرغم من الانتصار الكبير الذى حققته العسكرية الإسرائيلية، إلا أنها أضافت أزمة جديدة من الأزمات التى تفجرها بعد كل حرب تجاه المسألة العربية، وهى أزمة " الكابوس الوجودى " والذى بات العربى يمثل عناصرها بكل قوة بعد هذه الحرب.

---

(١) د. جمال أحمد الرفاعى: تطور صورة العربي في الأدب الإسرائيلي، صحيفة الأهرام، ١٠/١٠/١٩٩٧، (ص٤).

(٢) د. رشاد عبدالله الشامي: الفلسطينيون والإحساس الزائف بالذنب في الأدب الإسرائيلي، مرجع سابق، (ص ٨٢)

(٣)ايهود بن عيزر: "بموليدت هاجعجوعيم هامنوجاديم، هاعرفى باسفروت هاعفريت" (فى وطن الأشواق المتناقضة، العربى فى الأدب العبرى)، مرجع سابق، (ص٣٠).

وقـد فجـرت نتائج هذه الحرب مخاوف عظيمة فى قلوب قطاعات واسعة داخل المجتمع الإسـرائيلى، وبخاصة فى دوائر المثقفين والمفكرين والأدباء. وظهر الفلسطينى بعد (١٩٦٧) فى القصة العبرية فى صورة العدو الذى لا يجب أن تخدعك مظاهره الخارجية، فهو يمكن أن ينقض عليك فى أى لحظة [١]. وشكلت حرب (١٩٦٧) أيضاً من نواحى معينة، تغييراً ملموساً فى الموقف من العرب الفلسطينيين، لم يكن ملموساً من قبل، لدى أى قطاع من قطاعات المجتمع الإسرائيلى [٢].

ويقـول " ايهـود بـن عيـزر " عن تلك المرحلة الجديدة: << إذا كان جيل (١٩٤٨) قد صـور الشخصـية العـربية كمشـكلة أخلاقـية، فها هى السنون تمر وتصبح إسرائيل محاصرة ومحاطـة بسياسة معادية ومتصارعة، وذلك من خلال أعمال تخريبية داخل حدودها، ويقوم جيل جديـد مـن الأدبـاء ليترجم فى قصصه إحساساً بالحصار، وينظر إلى شخصية العربى كجزء من الكابوس الوجودى للإنسان الإسرائيلى. >>[٣]

وقـد عكـس الأدبـاء الإسـرائيليون هـذا الوضـع الجديد والذى تمخض عن حرب يونيو (١٩٦٧)، فـى إنـتاجاتهم الأدبية، بشـكـــل نسـتطيـــع مـن خلاله أن نتعرف كيف مثل الآخـر (الفلسـطينى) كابوسـاً وجـودياً بالنسبة للفرد الإسرائيلى، وذلك من خلال بعض الأعمـال الأدبـية مـثل " النوفـيلاه " أو الـرواية القصـيرة (نمـل) ١٩٦٨ لــ " أسـحاق أوربـاز [*] ". وتحكى هذه الرواية قصة زوجين إسرائيليين يعيشان فى شقة بتل أبيب، وهذه الشـقة فـى انهـيار متـزايد، وذلـك من جراء هجوم غريب من النمل الذى يقرض حوائطها تدريجياً، ويظل " يعقوب " الزوج يتصارع مع النمل، ويبنى حائط أمام حائط دون يأس، وفـى مقابـل ذلك تبدأ مسيرة الصراع والانهيار المتبادل بينه وبين زوجته " راحيل ". ويبدو مـن خـلال الأحداث أن الزوجة تجد متعة فى مسيرة الهدم، كما لو أن هناك عهد خفى بينها وبين النمل.

ولا شك أن هذه الرواية القصيرة تحتوى على معانى رمزية عديدة، قصد منها الكاتب أن يظهر الآخر (الفلسطينى) ككابوس يمثل الحصار والعداء للإسرائيليين.

---

(١) د. محمد محمود أبو غدير: صورة الفلسطينى فى القصة العبرية بعد الانتفاضة، مرجع سابق، (ص٧٥).
(٢) د. رشاد عبدالله الشامى: عجز النصر، الأدب الإسرائيلى وحرب ١٩٦٧، مرجع سابق، (ص١٣٧).
(٣) ايهـود بـن عيـزر: "بموليدت هاجعجوعيم هامنوجاديم، هاعرفى باسفروت هاعفريت" (فى وطن الأشواق المتناقضة، العربى فى الأدب العبرى)، مرجع سابق، (ص٣٠).
(*) **أسحاق أوربـاز**: ولد فى روسيا عام (١٩٢٣)، وهاجر إلى فلسطين عام (١٩٣٨)، وكان عضواً بعد عامين من هجرته فى " كيبوتس شامير ". خدم كضابط فى الجيش الإسرائيلى لمدة أربعة عشر عاماً، ودرس الفلسفة والأدب فى جامعة تل أبيب. ومن أعماله: مجموعة قصصية بعنوان (العشب البرى) ١٩٥٩، (جلد فى مقابل جلد) ١٩٦٢، رواية (موت ليساندا) ١٩٦٤، رواية (نمل) ١٩٦٨.

ويقول " ايهود بن عيزر " فى تحليله للمعنى الرمزى لهذه الرواية :

<< يبدو أنه من الصعب أن نخطئ فى تحديد المعنى البارز الذى يدل عليه النمل ، ذلك المعنى الذى يهتم بتلك المنطقة الوجودية للمحنه العاتية الذى يحدث فيها كابوس انهيار " حنة جونين " فى رواية (عزيزى ميخائيل) لعوز ، ويحدث كابوس حرق الغابة فى قصة (فى مواجهة الغابات) لـ " يهوشواع " . أما كابوس النمل لـ " أورباز " ، إلى جانب كونه يشير إلى حياة رجل وزوجته على حافة الإنهيار ، فهو كابوس مغروس بصورة واضحة فى إحساس الحرب والحصار بالنسبة للشخصية العربية كعدو ، وفى الإرهاق من الوضع الوجودى الذى يصل إلى درجة كابوس الانهيار النفسى والإحساس بالضياع والهلاك >>(١)

وهكذا ، كان النمل ـ الآخر (الفلسطينى) ـ فى هذه الرواية يمثل كابوساً وجودياً بالنسبة للزوج ، حيث أنه يأخذ فى تقويض الحوائط تدريجياً ويقوم بأعمال تخريبية ، ويمثل كابوساً يسلب الراحة والأمان من الإسرائيليين . وقد يكون " الزوج " يمثل هنا " الدولة " التى تشعر بالحصار والعداء من هذا " النمل " ، وتحاول بشتى الطرق تأمين نفسها منه ببناء الحوائط ولكن دون جدوى . فالنمل أو الآخر (الفلسطينى) لم يصمت ، فهو يحاول تقويض أركان هذه الدولة حتى وإن كان ضعيفاً . ولعل اختيار " أورباز " للنمل كرمز للعربى الفلسطينى قد يكون إشارة إلى أنه على الرغم من ضعف الطرف الآخر فى الصراع ، إلا أنه سيستمر فى " تقويض الحوائط " حتى يقع " السقف " على ساكنيه .

وبالتالى ، حين كان " أورباز " يشير فى هذه الرواية إلى وجود عهد خفى بين الزوجة والنمل ، فهو يرمز للزوجة بالأرض ، والأرض تلعب لعبة الصراع مع أصحابها . وقد يقصد " أورباز " من هنا أيضاً أن الأرض تتعاطف مع النمل (العرب الفلسطينيين) لشعورها بأنه على حق فيما يفعله من أعمال تخريبية كما يقول الزوج (الدولة) . ويتضح ذلك من ذلك الحوار الذى دار بين الزوج والزوجة :

<< (تلك أعمال تخريبية بغيضة) يصف " يعقوب " هكذا النمل ، وترد الزوجة " راحيل " ورائه (تلك أعمال تخريبية بغيضة) وبعد ذلك تضيف قائله فى هدوء غريب (رائع) >>(٢) .

ولعل كلمة (رائع) التى قالتها الزوجة ـ الأرض ـ تدل على موافقتها الضمنية للنمل ـ العرب ـ فيما يحدث منهم تجاه الدولة الجديدة التى أقيمت عليها . كما أن إصرار الزوج

---

(١) ايهود بن عيزر: "بموليدت هاجعجوعيم هامنوجاديم، هاعرفى باسفروت هاعفريت" (فى وطن الأشواق المتناقضة، العربى فى الأدب العبرى)، مرجع سابق، (ص٣٧-٣٨).

(٢) يتسحاق أورباز: "نماليم" (نمل)، رواية، دار نشر عم عوفيد، تل أبيب ١٩٦٨ ، (ص٣٨).

علـى بـناء حائط أمام حائط يدل على مدى الخوف الذى يسببه له الآخر (الفلسطينى) على الرغم من ضعفه. وإصرار الزوج على بناء الحوائط دون يأس، يقابله إصرار من النمل على تقويـض هذه الحوائط دون كلل. وهو ما يؤكد عليه " أورباز " كأديب بأن العـربـى مخرب و " كابوس وجودى " قائم لا محالة.

وتعكـس قصـة (فـى مواجهة الغابات) ١٩٦٨ للأديب الإسرائيلى " أ. ب يهوشواع " أيضـاً ذلـك الوضـع الجديـد الـذى تمخـض عـن حـرب يونـيو (١٩٦٧) بالنسـبة للفـرد الإسـرائيلى. فهـى تعكـس جذرية الوجود العربى على أرض فلسطين، والتشكيـــك فيما يسـمى " الحـق الـيهودى " فـى فلسـطين، كـواحد مـن التعبيرات عـن عقـدة الإحساس بالـذنب[1] وأزمـة " الكابـوس الوجـودى " التـى يمثلها الآخر (الفلسطينى)، وهو الاتجاه الجديد الذى عكسه الأدباء الإسرائيليون بعد هذه الحرب.

وتحكـى هـذه القصـة عـن طالـب إسرائيلى يعيش حياه مستهترة بلا هدف، وبلا مصدر دائـم للـرزق، يستطيع من خلال أصدقائه أن يحصل على وظيفة حارس لإحدى الغـــابات التـى أقامهـا " الصـندوق القومـى الإسـرائيلى [*] " وذلـك حتى يستطيع الانتهاء من بحثه الختامـى لدراسـته الجامعية مثل بقية زملائه والذي يدور عن الحملات الصليبية. وفى الغابة يقـيم فـى غرفة صغيرة بالقرب من عربى أخرس مقطوع اللسان. وعلى مدار القصة يعرف الحـارس الإسـرائيلى أن هـذه الغابـة أقيمت على أنقاض قرية عربية، هى قرية ذلك العربى الأخـرس، وقـد دمـرها الاحتلال الإسرائيلى. ويقيم ذلك الطالب علاقة ودية مع العربى، يكتشـف بعـدها نـية هـذا العربـى فـى إحـراق الغابة، فيساعده فى جمع صفائح النفط لهذا الغـرض، ويـنفذ العربـى خطـته ويقـوم بإحـراق الغابـة، فتظهر القرية العربية القديمة على أنقاضها. ويتم بعدها اعتقال العربى الأخرس، وفى نفس الوقت يهتم الطالب الذى رفض الشـهادة ضـد العربـى الأخـرس بابـنة ذلك العربى، ويعود بعدها إلى حياة العزلة التى كان يعيش فيها فى المدينة دون أن يكمل بحثه الدراسى.

ولعلـنا نسـتطيع أن نقـول، مـن خلال أحداث هذه القصة، أنها تحمل فى طياتها معانى جديـدة ورمـوز عديـدة تعكـس طبيعة الصـراع، وتنظـر للعـربـى علـى أنـه " كابـــوس وجودى " و " مخرب " من شأنه أنه يكون فى أى مكان حتى ولو كان لا حول له ولا قوة.

---

(١) د. رشاد عبدالله الشامى: عجز النصر، الأدب الإسرائيلى وحرب ١٩٦٧، مرجع سابق، (ص ١٣٨).

(*) الصـندوق القومـى الإسـرائيلى: هـو صندوق أقامـته المـنظمة الصهيونية العالمية من أجل شراء الأراضى فى فلسطين، وإعدادها للإستيطان. تأسس عام (١٩٠٢).

ويقـول " ايهـود بـن عيـزر " عـن هـذه القصـة : << جاءت هذه القصة لتعبر عن هذا الإيقـاع الوجـودى بالنسـبة لعلاقاتـنا مع العرب. . . وكانت طبيعة الأرض فى هذه القصة صعبة ومؤلمة ومهددة ومأساوية وحبلى بالكوارث، وتفتقد للرقة الرومانسية والمثالية. وهى طبيعة تعـبر عـن الشـر، شـبيهة بما نجده فى الأدب القصصى لـ "عاموس عوز " . . . هذا بخـلاف رؤيتـنا لأنفسـنا كأسـاس " غريب " ، أوربى، ونبت غريب، وذلك بسبب معاداة الطبيعة وبسبب الحياة الإسرائيلية المغلقة التى شكلت جيلاً كاملاً منذ حرب (١٩٤٨) من خلال الإحساس بالحرب والحصار المستمرين. وتحول العربى إلى شخصية كابوسية شيطانية تعـبر فـى نهايـة الأمـر عـن الجانـب المدمـر والتخريبـى الـذى يكمـن فـى نفسـيتنا كأفـراد وكجمهور. >>[١].

إن وجـود الشخصـية العـربية فـى هذه القصة والتى يمثلها رجل كهل أخرس بجوار ذلك الشاب الإسرائيلى الصغير، قد تكون محاولة من الأديب لإظهار عدة حقائق، وهى :

(١) ظهور الآخر (الفلسطينى) فى هذا السن فى مقابل صغر سن الطالب الإسرائيلى، هى إشارة إلى جذرية الوجود العربى على هذه الأرض، وحداثة الوجود الإسزائيلى.

(٢) وجـود الآخـر (الفلسـطينى) فـى هذه القصة وهو أخرس، هو تعبير من الأديب حول صـعوبة الـتحاور أو وجـود لغـة مشـتركة بين صاحب الأرض المسلوبة وبين مغتصبها، وذلك على الرغم من تعاطف الشخصية الإسرائيلية ـ الطالب ـ مع شخصية العربى.

وقـد يكـون ذلـك إشـارة إلى أن الشخصـية العربية رغم عجزها وقهرها إلا أنها لا تزال قادرة على إزعاج الجانب الأقوى فى النزاع وإلحاق الضرر بممتلكاته[٢].

(٣) هناك تقارب خفى بين ذلك الشاب الإسرائيلى الذى يشعر بجوالغربة والانطواء والعزلة وبين الكهل العربى الذى يشعر بالاضطهاد بعد سلب قريته وقتل زوجته.

ويـبدو ذلـك الـتقارب فـى محـاولات البطل لإشعال النار فى الغابة، والتى تبدو وكأنها محاولة منه للتحاور بواسطة النار مع الشخصية العربية، والتنفيس بذلك على شحنة المشاعل المتضاربة التى تعتمل فى نفسه[٣].

كمـا أن المعنـى الرمـزى للغابات واضح أيضاً، فهى تشير إلى دولة إسرائيل التى أقيمت على أنقاض القرية العربية بعد هدمها وتشريد مواطنيها. وظهور القرية من جديد بعد حرق الغابـة يشـير إلى شـبح الوجـود العربـى الـذى يمـثل تهديـداً وكابوسـاً لـلبطل الإسـرائيلى

(١)ايهـود بـن عيـزر: "بموليدت هاجعجوعيم هامنوجاديم، هاعرفـى باسـفروت هاعفريت" (فى وطن الأشواق المتناقضة، العربى فى الأدب العبرى)، مرجع سابق، (ص٣٢).

(٢) د. على عبد الرحمن: القصـة العبرية المعاصرة بين الحلم الصهيونى والكابوس الصليبى، مجلة ابداع، العدد السادس، يونيو ١٩٩٨، (ص٧٩).

(٣)د. على عبد الرحمن: مرجع سابق (ص٧٩).

فى القصة، وقد يعكس ذلك من خلال وجود الطفلة العربية على قيد الحياة، والتى تشير إلى استمرار هـذا الكابـوس الوجـودى (العربـى الفلسطينى) فهو حاضراً ومستقبلاً، كما كان ماضياً.

ومما يؤكد على مشاعر الخوف التى تجتاح البطل من ذلك الكابوس الوجودى الذى ينوى الانـتقام، حتـى وإن كان يتعاطف معه ويساعده على حرق الغابة ما أورده القاص عن ذلك البطل حيث يقول :

<<نزل للبحث عن العربى ليقول له صباح الخير، إنه ملزم بأن يبين وجوده اليقظ، فربما يقتله هذا فى صباح يوم ما، بين غفلة ونعاس>>(١)

وهكـذا، يـبين هذا المقطع مدى الخوف والرعب الذى يمثله العربى بالنسبة لذلك الشاب وكـيف أنـه يمـثل كابوسـاً مخيفاً حتى فى أدنى المراحل من ضعفه. كما أن وجود الطفلة ابنة العربـى فـى القصـة يـؤكد علـى استمرار ذلك الكابوس المخيف مستقبلاً، وخروج البطل للـبحث عـنها بعـد اعـتقال والـدها يـبين مدى حرص ذلك البطل على معرفة مكانها حتى يتجـنب الصـدام معهـا، ويحـاول كسـب ودهـا نـتيجة لإحساسه الزائف بالذنب تجاه ذلك العربى وتلاقى مشكلاتهما سويا فى نقطة واحدة.

ومـن ناحـية أخرى، لم تخلو هذه القصة أيضاً من إشارات إلى تخلف العربى مثل (حافياً يتمشـى العربـى)، وإشارات إلى البيوت الحجرية التى يسكن فيها، وغير ذلك من الصفات التـى دأب الأدبـاء الإسـرائيليون علـى إلصـاقها بالآخـر (الفلسـطينى) علي مدار كتاباتهم الأدبية.

وهكـذا، عـبر بعـض الأدبـاء الإسرائيليين عن المحنة الجديدة التى خلفتها هذه الحرب، وبـدأ الآخـر (الفلسـطينى) يظهـر فى أعمال الكثير منهم ككابوس وجودى يهدد كيانهم، وقد عبر عن هذه الأزمة " ايهود بن عيرز " قائلاً :

<<إن التعـبير عـن المحـنة الوجـودية لدى أدباء مثل " عاموس عوز " و " يهوشواع " وآخـرين تقـف دليلاً على كون العربى كابوساً بجانب " الظل " لنفس ذلك الجزء المظلم من الحياة الـذى نلـقـى علـيه نحـن خوفـنا مـن الرعـب والفزع الموجوديـن فى نفسيتنا. ومرة أخـرى، فالعربـى لم يظهـر كفـرد ملمـوس ولا كممثل لمشكلة أيديولوجية وأخلاقية، بل كجـزء من الكابوس الإسرائيلى. فليس للعربى كيان من تلقاء نفسه، كيان اجتماعي قومى يومى، بل هو أثر مخيف يخرج من النفسية المعذبة للبطل الإسرائيلى. والأكثر من أنه مخيف،

---

(١) حسن على حسن: مفاهيم ومشاعر الصراع والسلام فى أدب أ.ب. يهوشواع مع ترجمة قصة (فى مواجهة الغابـات)، رسالة ماجستير غير منشورة، قسم اللغة العبرية، كلية الأداب، جامعة عين شمس، ١٩٨٨، (ص١٥٣).

أنـه يمثل عنصر ضيق ولا يسمح للإنسان الإسرائيلى بأن يعيش حياته كما يريد وبعيداً عن المواجهة الدائمة مع النزاع والحروب التى تنبع منه. >>[1]

وهكـذا، كـان الآخـر (الفلسـطينى) بعـد حـرب (١٩٦٧) واتسـاع دائرة الحدود لدولة إسـرائيل، يمـثل محـنة جديـدة تضاف إلى محن الانطواء والعزلة والإحساس بالاغتراب لدى نفسـية الفرد الإسرائيلى، وهو ما عكسه الأدباء الإسرائيليون من خلال أبطالهم الذين فقدوا سـلامة الاتجاه، فشعرو بالذنب تجاه الآخر (الفلسطينى) تارة، وبالالتزام الأيديولوجي تجاه الدولة تارة أخرى. وترتب على ذلك ظهور العربى الفلسطينى فى أبشع الصفات الممقوتة، فى محاولة لإظهار تخلفه وحقارته فى مقابل تمدن وحضارة اليهودى الإسرائيلى.

رابعاً : مرحلة ما بعد حرب أكتوبر (١٩٧٣) :

جاءت حرب أكتوبر (١٩٧٣) لتغير من مفاهيم واتجاهات عديدة تجاه مسألة الصراع بين الأنـا (متمـثلة فـى الأدبـاء الإسـرائيليين) والآخـر (متمـثلاً فى العربى الفلسطينى) حيث سـاهمت هـذه الحـرب فى رسم صورة جديدة لجدلية العلاقة بين " الأنا " و " الآخر " فى الكتابات الإسرائيلية المعاصرة.

لقـد أظهـرت هـذه الحرب أن العربى لم يكن إنساناً جباناً يهرب من ساحة القتال بل هو محـارب نـد للجندى الإسرائيلى، وهو طيار يقود أحدث المقاتلات والقاذفات، وهو جندى جسـور يقـتحم المواقع الإسرائيلية الحصينة، ويأسر الآلاف من الجنود الإسرائيليين [2]. ولم يعـد أيضـاً ذلـك الإنسـان البدائـى المـتخلف والساذج الذى دأب الكتاب الإسرائيليون على إظهـاره فـى هـذه الصـورة السلبية قبل هذه الحرب، فقد صار إنساناً مثقفاً هادئاً يدرك تماماً قدر نفسه، ويعرف بالضبط ما هى قضيته، ويتصرف بحكمة واقتدار.

لقـد دفـع الواقـع السياسـى الـذى أعقـب هـذه الحـرب الكـثير من الكتاب الإسرائيليين وبمطواعية أكبر على معايشة العمق الداخلى النفسى للبطل العربى، ولكن تبقى بين المعايشة وبين تقديم العربى بالسمات الإنسانية التى يستحقها إنساناً وصاحب حق، هوة كبيرة [3].

ويقـول " ايهـود بـن عيـزر " عـن الآخـر (الفلسـطينى) الـذى ظهـر فى أعمال الأدباء الإسرائيليين بعد حرب أكتوبر (١٩٧٣) :

---

(١)ايهـود بـن عيـزر: "بموليـدت هاجعجوعـيم هامـنوجاديم، هاعرفـى باسـفروت هاعفريت" (فى وطن الأشواق المتناقضة، العربى فى الأدب العبرى)، مرجع سابق، (ص٣٦).

(٢) د. محمـد محمـود أبـو غديـر: " صورة الإسلام والمسلمين فى الكتابات العبرية الحديثة "، ورقة عمل ضمن المؤتمـر الدولى للدراسات الإسلامية عند غير العرب، جامعة الأزهر، فى الفترة من ٢٠ – ٢٢ / ٥ / ١٩٩٧، (ص٧).

(٣) أنطوان شلحت: مرجع سابق، (ص٤٧).

<< لم يعـد العـربـى فـى المـناطق المحـتلة يمـثل إطـارا مـن الكابـوس بالنسـبة للـبطل الإسرائيلى، ولم يعد جزءاً من الحاضر المهدد، بل وصف كفرد وكإنسان. >>[١]

ونسـتطيع أن نلمـس هذا التغير الملحوظ فى مفهوم الأدباء الإسرائيليين عن (الآخر) بعد حـرب (١٩٧٣) فـى رواية (العاشق) ١٩٧٧ لـ " يهوشواع " ، والتى تدور حول "نعيم " العربـى الـذى ينتمى إلى قرية " البقيعة " فى الجليل، حيث تسوقه الأحداث إلى الإقامة عند عجـوز يهـودية تدعى " فدوتشا " ، ويعمل فى جراج يمتلكه يهودى يدعى " آدم " المتزوج مـن امـرأة مثقفة تدعى " أسيا " تخرجت فى الجامعة وتعمل مدرسة للتاريخ بعكس زوجها الذى لم يكمل تعليمه ويتملك ورشة لإصلاح السيارات. تقع " دافى " ابنتهما فى حب " نعـيم " ، وهـو الأمـر الـذى لا يـريد الأب استمراره، ولذا فهو يعيد " نعيم " إلى قريته فى الجليل بعد أن يعلم بأمر مضاجعته لابنته التى تطلب من أبيها عدم إيذائه.

ويقـول " مـزعل " عـن هـذه الـرواية : << يظهر الكاتب فى هذه الرواية ثلاثة تيارات مخـتلفة فـى المجـتمع الـيهودى بالنسـبة لنعـيم، العجـوز " فدوتشـا " وتمثل الجيل المحافظ المتعصـب ضد العدو، كما يمثل الأب الاتجاه نفسه ولكن بحدة تقل عن حدة العجوز، أما " دافـى " فتمـثل الجـيل الـيهودى الجديـد الـذى كـان بعض أفراده أقـل تعصـباً وكـراهية للعرب من الأجيال السابقة. >>[٢].

كمـا أنـنا نجـد " يوسـف أورن " الـناقد الأدبـى الإسرائيلى ينظر إلى هذه الحرب وتلك الرواية على أنها نقطة تحول ودليلاً على فشل الصهيونية قائلاً :

<< إن هذا الشعب نصب لنفسه الفخ. >>[٣].

ولعـل " أورن " يقصد من هذا أن هذه الحرب غيرت من مفهوم الأدباء الإسرائيليين عن الآخـر (الفلسـطينى) التـى دأبـت الصهيونية على الترويج لتخلفه وسذاجته، وذلك لتمهد للاسـتيلاء علـى أرضه بحق الجدارة. ولعله أيضا أدرك أن الآخر (الفلسطينى) قد طرأ عليه تغـير ملحـوظ فـى هـذه الـرواية عمـا كان يتصف به من صفات وسمات فى الأدب العبرى الإسرائيلى قبل هذه الحرب. ونستطيع أن نلمس هذا على لسان العجوز " فدوتشا " عندما أتى " نعيم " الفتى العربى ليقيم معها:

---

(١) ايهـود بـن عيـزر: "بموليـدت هاجعجوعـيم هامـنوجاديم، هاعرفـى باسـفروت هاعفريت" (فى وطن الأشواق المتناقضة، العربى فى الأدب العبرى)، مرجع سابق، (ص٤٦).

(٢) غانم مزعل: مرجع سابق، (ص١٥٣).

(٣) يوسف أورن: "هاهيتبخحوت بسيبورت هايسرائيليت " (الصحو فى الأدب القصصى الإسرائيلى)، دار نشر ياحد، إسرائيل، ١٩٨٣، (ص٣٧).

>> . . فـى الحقيقة، كـان مصـدر سـعادة بالنسبة لى . . أخذتـه مـن يـده وأدخلـته إلى حجـرته، وأعطـيت له وجبة طيبة، فأتى على الطبق . . . كان رجلاً صغيراً، حتى ولو كان عربيـاً فالأسـاس أنـه شخص ما . شاب هادئ، يعرف جيداً ماذا يريد >> (١) .

وتقول هذه العجوز عنه أيضاً مشيرة إلى قوته وجسارته :

>> كـان يتأملنـى فـى ارتـياب، ولم يخافنى، متماسك، يعرف كيف يدافع عن نفسه، حتى وإن كان لا يجيب على ملاحظاتى اللاذعة >> (٢).

وتقول أيضاً مشيرة إلى هدوءه وثقافته الواسعة :

>> إننـى أراه يعمـل بصورة جيدة، فى هدوء . . . وبدون ضجيج . . . إنه يعرف قراءة الصحف . . فى الحقيقة، لقد أحضر " آدم " لى لقية >> (٣) .

وكـان هـذا الفتـى الماهر الذى حاز إعجاب هذه الجدة العجوز سبباً فى تغيير مفهوم هذه الجدة عن العرب بصفة عامة :

>> لم يعودوا بلداء مثلماً كانوا مع إقامة الدولة . >>(٤) .

وهكـذا، نلاحـظ مـن خـلال هـذه العبارة مـدى الـتغير الذى طرأ حول مفهوم الأدباء الإسـرائيليين عـن الآخر (الفلسطينى) بعد هذه الحرب، حيث كان يتصف بالغباء والجبن، والآن صـار يمـتلك مـن الحكمـة والفطـنة مـا يدعـو للإعجـاب بـه وتقديره . وقد حاول " يهوشـواع " التأكيد على ذلك من خلال هذه الرواية، حيث يقول على لسان " دافى ابنه " آدم " عندما شاهدت " نعيم " الفتى العربى :

>> كـان يبكـى بـالأمس ويولول مثل كلب مسكين، أما الآن فهو يجلس منتصباً وممتلئاً بالفخـر، يأكـل مـثل سـيد مهـذب وفمـه مغلـق، يأخـذ هـذا ويـرفض ذاك . ولديـه رأى مستقل >>(٥) .

ونلاحـظ هـنا، أن " يهوشواع " يعقد مقارنة بين صورة العربى الفلسطينى فى الماضى، والصـورة التـى صـار علـيها بعـد حـرب (١٩٧٣)، حيث دأب الأدباء الإسرائيليون على إلصـاق صفة الحيوان به فى مجمل كتاباتهم . وهو ما يدل على التغير الملحوظ الذى طرأ على هذه الشخصية التى جمعت فيها كل الصفات السلبية فى الماضى . ويقول " ايهود بن عيزر " مؤكداً على هذا التغير الملموس :

>> مـن الممكـن أن نـرى فى هذه الرواية ثمرة عشر سنوات من التعايش سوياً مرت على الـيهود والعـرب فـى إسرائيل، وذلك فى المناطق المحتلة منذ (١٩٦٧)، فالمسافة كبيرة بين

---

(١) أ.ب.يهوشواع : "هامئهيف" (العاشق)، رواية، دار نشر شوكن، القدس وتل أبيب، ١٩٧٩، (٢٥٩-٢٦٠).

(٢) نفس المرجع (ص٢٦٠).

(٣) نفس المرجع (ص٢٦٠).

(٤) نفس المرجع (ص٤٢٨).

(٥) نفس المرجع، (ص٢٣٥).

شخصـية العربـى الـذى يضمر الشر ومقطوع اللسان فى رواية (فى مواجهة الغابات) وبين شخصية "نعيم " الهادئة، إلى هذه الدرجة، فى رواية (العاشق). >>(١)

ويقول " جرشون شاكيد " أيضاً مؤكداً على ذلك :

<< لقـد أظهـر "يهوشـواع " قـدرة غـريبة فى صياغة شخصية " نعيم " ، ذلك الصبى العربـى الـذى يتميـز بلغته وطريقة تفكيره، سواء كشخصية لم تتكرر أو كشخصية تعكس تلك الشريحة الاجتماعية التى يمثلها. >>(٢)

ولعل ذلك هو ما يبدو من خلال هذه الرواية فى تلك العبارات :

<< إنه عربى واسع الأفق للغاية >> (٣).

<< ممتلئ بالثقة >>(٤).

<< يـرتدى ملابس جديدة، حذاؤه مُلمع، مبسوط من نفسه، غير قلق، لم يكن قروى مضطرب. إنه إنسان مختلف. . . يديه فى جيوبه >> (٥).

هـذا، ولم يـأت الآخـر فـى هذه الرواية كراع للغنم أو شخصية بدائية ساذجة، بل جاء شخصـية مـثقفة تتمـتع بعقـل طيب ـ علـى حـد قـول " يهوشـواع " فى الرواية ـ وتسعى لتحصـيل العلـم والمعـرفة، حـيث يطالعـنا " يهوشـواع " فى هذه الرواية " بأن نعيم أنهى دراسـته الابتدائـية بـتفوق بالـغ ويحفظ ما يقرب من عشر قصائد لـبياليك، ولكنه لم يكمل دراسـته وعمـل ميكانيكـياً كرغبة أبيه، وهو من أسرة بسيطة تضم إلى جانب والده ووالدته اثـنين مـــن الأخـوة. الأكـبر " فايـز " ويدرس الطب فى إنجلترا، والثانى " عدنان " وقد سـجل اسمـه فـى كلـية الطب فى تل أبيب وفشل فى الالتحاق بها، وسجل اسمه فى طب حيفا ولم يقبل بها. حاول فى القدس وقبل طلبه بالرفـض أيضاً، ذهب إلى " التخنيون " (معهد العلوم التطبيقية) ولكن لم تكن لديه معادلة، كما أن جامعة " بار إيلان " ردت عليه رداً سـلبياً عـندما أراد الالـتحاق بها، وأجرى محاولات عديدة حيث كان مصراً على دراسة الطب أو الإلكترونيات أو ما شابه ذلك. " (٦)

---

(١)ايهـود بـن عيـزر: "بموليـدت هاجعجوعـيم هامنوجاديم، هاعرفـى باسـفروت هاعفريت" (فى وطن الأشواق المتناقضة، العربى فى الأدب العبرى)، مرجع سابق، (ص٤٥).

(٢) جرشون شاكيد: "جل أحير جل بسيبورت هاعفريت " (موجة وراء الأخرى فى الأدب القصصى العبرى)، دار نشر كيتر، القدس، ١٩٨٥، (ص٤٦).

(٣)أ.ب.يهوشواع: "هامئهيف" (العاشق)، رواية، مرجع سابق، (٢٣٨).

(٤)نفس المرجع (ص٣٠٥).

(٥)نفس المرجع (ص٣٠٥).

(٦) حسن على حسن: مرجع سابق، (ص٢٦٨).

وعلـى الـرغم من هذه الصورة الإيجابية التى رسمها " يهوشواع " للآخر (الفلسطينى) فـى شخصية " نعيم " وأخـوته فـى هـذه الـرواية، وهى صورة تخضع للواقع وتبتعد عن الصـور التـى اعـتاد الأدبـاء الإسـرائيليون على إلصاقها بالآخر، إلا أننا نجده أشار فى هذه الـرواية إلى بعـض الصـفات السـلبية التـى تشـيع عـن العربى فى الأدب الإسرائيلى، بصفة عامة، على لسان الجدة العجوز " فدوتشا " حيث تقول عن " نعيم " :

<< يعـود العربى فى نهاية الليل متسخاً، حذاؤه يمتلئ بالوحل، لكنه تعلم أن يخلعه عند المدخل، وأن يدخل بجواربه فقط إلى الشقة >>(١).

وتقول له أيضاً عندما تراه فى منامته : << من أين سرقت هذه البيجامة ؟ >>(٢)

والمعـروف أن السـرقة مـن الصفات التى أشاعها الأدب العبرى عن الآخر (الفلسطينى) بصفة عامة.

ولعلـنا نتسـاءل لمـاذا أورد " يهوشواع " هذه الصفات الذميمة عن " نعيم " ذلك الفتى العربـى الـذى جـاء أيضـاً بصـفات حسنة وكثيرة للغاية عنه ؟ وهو أمر يجزم بوجود جدلية للمتناقضـات حـول هذه الشخصية فى هذا العمل الأدبى. وقد لا يكون هناك تناقضاً، وإذا كان الأمر كذلك، فماذا يقصد من هذا التناقض حول شخصية واحدة بعينها ؟

إننا إذا تأملنا هذه الصفات السلبية التى أوردها " يهوشواع " فى هذه الرواية سنجد أنها وردت علـى لسـان الجـدة العجـوز " فدوتشـا "، وهى تمثل جيل الأباء، وبذلك قد يكون مقصـده مـن ذلـك بـأن نظـرة الجيل القديم ـ جيل الأباء ـ إلى الآخر (الفلسطينى) لم تتغير، بعكس جيل الأبناء الجديد المتمثل فى " دافى " ابنة " آدم " التى ترتبط بعلاقة حب قوية مع ذلـك الفتـى، وهو جيل أقل تعصباً وكراهية للعرب. ولكن إذا كانت هناك بعض الصفات الإيجابية التى جاءت عن "نعيم " على لسان نفس هذه العجوز أيضاً، فإن ذلك قد يعكس رغـبة " يهوشواع " فى إظهار ذلك العربى كإنسان فرض وجوده، وفرض نفسه حتى على مـن ينظـر إلـيه نظـرة فوقـية، وقـد تحقق ذلك ـ كما يقول " أورن " ـ بفضل حرب أكتوبر (١٩٧٣) التى أثبتت فشل الصهيونية.

كمـا أننا نستطيـع أن نرصد ذلك التغير الملموس لمفهوم الأدبـاء الإسرائيلـيين عن الآخر (الفلسـطينى) الـذى حـدث بعـد حـرب أكتوبـر (١٩٧٣) فـى روايـــة (الطـريق إلى عين حـارود) للأديـب الإسرائيلى " عاموس كينان (*) "، التى تحكى عن وقوع ثورة أو انقلاب

---

(١)أ.ب.يهوشواع: "هامئهيف" (العاشق)، رواية، مرجع سابق، (٢٧٧).

(٢)نفس المرجع (ص٢٤٨).

(*) **عاموس كينان**: ولد فى عام (١٩٢٧) بتل ابيب، كان عضواً فى الحركة السرية (لحى) التى حاربت ضد الانـتداب البريطانى فى فلسطين. يعتبر كينان رساماً وكاتب مسرحيات وروائياً. تتميز كتاباته بالسرياليه من خلال شخصيات تعود إلى فلسطين لإستكشاف ذاتها واسمها وتاريخها الشخصى. يعتبر من رواد الأدب=

علـى أيـدى أحـد الجماعات التى تقوم بقتل من يقاومها ولا يحمل مبادئها. ولأن "كينان" يسـارى يقـوم بالهـرب خشية القتل، حيث داهم بيته رجلان مسلحان نجح فى الفرار منهما بإلقاء مادة غازية عليهما. ويهرب " كينان " من تل أبيب قاصداً " عين حارود " التى تقع بالقــرب مـن " طـبريا " . وفـى أثناء هروبـه يلتقى بـ " محمود " ذلك العربى الذى يهرب أيضـاً لـنفس السـبب، فيسـيران سوياً وتعترضهما المصاعب والمشاكل حيث أن الطريق إلى عـين "حـارود " صـعباً ووعـراً. ثم بعد ذلك يلقى القبض على " محمود " و " كينان " ، ولكـن " كيـنان " يسـتطيع الهـرب، والقـتل يكون مصير " محمود " فى النهاية على أيدي الجنود.

وتعكـس هذه الرواية أيضاً ثمة اهتمام بالآخر (الفلسطينى) وأهميته، فهو لم يعد إنساناً بدائياً، كما كانت صورته فى الأدب الإسرائيلى منذ الأربعينيات وحتى مطلع السبعينيات، فهو هنا يتسم بصفات إنسانية إيجابية ملحوظة. فيطالعنا القاص بأحد ملامح الآخر فى هذه الرواية قائلاً :

<< يجـب أن أجـد عـربياً، فـبدون مسـاعدة العربـى لـن أنجـح فى الوصول إلى "وادى عاره" . إن كل خططى فى الهروب تعتمد على العرب >> (١).

وهكـذا، تـبدو هـنا شخصـية الآخر مهمة، فلكى ينجو القاص من الموت عليه بالبحث عـن عربـى، وهـو هـنا لـيس بالشخصـية الـتافهة الساذجة، وإلا ما اعتمد القاص عليه فى الهرب من وجه تلك الجماعة المسلحة.

كمـا أنـنا نجـد الشـباب والقـوة كانت ضمن ملامح الآخر فى هذه الرواية، حيث يقول القاص:

<< إنـه يصـغرنى بـثلاثين عامـاً، ذو بنـية جـيدة، لم أراه يحمـل سلاحاً، أما أنا فأحمل مسدساً. إنه فى أول معركة له، وأنا فى أخر معركة لى >> (٢).

إن ملامـح الآخـر فـى هـذه الـرواية تنحصر فى : الشباب، القدرة على القتال، وذلك مقابـل "القـاص " الـذى اسـتنفذ كـل عمـره وقـوته فى القتال، والحرب، ولذا فهو يحمل مسدساً، أما العربى فيعتمد على شبابه أكثر (٣).

= العبرى الحـديث الذين طرحوا بإلحاح مسالة الهوية. ومن أعماله (فى المحطة) ١٩٦٣،(النكبة) ١٩٧٥، (واهب فى سوفه) ١٩٨٨.

(١) عامـوس كيـنان: "هـادريخ لعـين حـارود" (الطـريق إلى عين حارود)، رواية، دار نشر عم عوفيد،تل أبيب ١٩٨٧،(ص١٧).

(٢) نفس المرجع،(ص١٧).

(٣) سامية جمعة على: الرواية فى أدب عاموس كينان، رسالة دكتوراه غير منشورة، آداب عين شمس، ١٩٩٧ (ص١٤٥).

والآخـر (الفلسـطينى) فـى هذه الرواية ـ كما يصوره " كينان " ـ شخصية مثقفة ذكية، أنهت دراستها الجامعية، وذلك على غرار ما حدث فى رواية (العاشق) لـ " يهوشواع " .

ويـؤكد " كيـنان " فـى هـذه الـرواية على أن الجبن لم يعد ثمة يتسم بها، فعندما يتقابل القـاص مـع " محمـود " ويطرح عليه السلام، فلا يجيبه لأنه يطرح السلام والمسدس مشهور فى وجهه قائلاً له :

<< لا يطرحون السلام بالمسدس . . >> [1].

وهـنا تـبدو شخصـية الآخـر وهـى رافضـة للسلام المقرون بالسلاح، وهنا يظهر رفض الآخـر (الفلسـطينى) للقوة التى تفرضها إسرائيل حتى فى فرض السلام، فالسلام لا يقترن بالسـلاح، فالسلام يعنى الطمأنينة والأمان، وتلك سمتان لا يقترنان بالسلاح ويعلن الآخر عن ذلك بكل شجاعة.

ويقول " مزعل " فى هذا الصدد : << توجد فى هذه الرواية سخرية لاذعة ممن يؤمنون بمـبدأ فـرض السـلام بالقـوة والسـلاح، ذلك المبدأ الذى يقتنع به كثيرون من الإسرائيليين. وفى الوقت نفسه يعترف الكاتب بأن تصرفات إسرائيل مع العرب، كانت قاسية ظالمة حتى فى حياتهم اليومية. >>[2]

وعلـى الـرغم مـن كل هذه الصفات الإيجابية التى اتسم بها الآخر فى هذه الرواية، التى قلمـا أن نجـد لهـا نظـيراً فـى أدب مـا قـبل السبعينيات، إلا أن " كينان " استدعى فى هذه الـرواية أيضـاً تلـك الملامـح السـلبية التـى كانـت تشيع عن الآخر (الفلسطينى) فى الأدب العبرى، فهو يعرب عن مشاعرة الحقيقة تجاهه قائلاً فى هذه الرواية :

<< سـأخبرك أنـا مـاذا تكـون أنت. أنت لا " محمود " ولا " رافى " . إنك مجرد براز، هذا هو أنت، قطعة براز متعفنة، هذا هو أنت >> [3].

وهكـذا يمكـن القـول بأنـه، وعلى الرغم من أن نشر هذه الرواية فى الثمانينيات، وعلى الـرغم مـن الصـفات الإيجابـية للآخـر التـى تحـدث عنها " كينان " فى روايته هذه، إلا أن صورة الآخر فى الماضى ما زالت قابعة فىعقلية الأدباء الإسرائيليين. وقد رأينـــا ذلك فى روايـة (العاشـق) لــ "يهوشـواع " . وهـو أمـر يجعلنا نتساءل، هل يقع الأدباء تحت تأثير الوضـع العـام المسيطر فـى المجـتمع ؟ وهـل تعكـس أعمـال الأديـب انـتماءاته الفكـرية والأيديولوجـية سـواء فىالماضـى أو فـى الحاضـر ؟ وهل يستطيع أى أديب أن يتخلص من يمينيته الماضية بعد أن أصبح يسارياً ؟ على اعتبار أن " كينان " كان فى الماضى يسارياً. وإذا كـان الأمر سيدور من هذه الزاوية، فهل يعنى ذلك أن حرب أكتوبر (١٩٧٣) لم يكن لها

---

(١)عاموس كينان: "هادريخ لعين حارود" (الطريق إلى عين حارود)، رواية، مرجع سابق، (ص٢٧).

(٢) غام مزعل: مرجع سابق، (ص٨٣).

(٣)عاموس كينان: "هادريخ لعين حارود" (الطريق إلى عين حارود)، رواية، مرجع سابق، (ص٣١).

دوراً فـى استحداث تغير إيجابي ولو طفيف لملامح الآخر (الفلسطينى) التى اقترنت فقط فى الأدب العبرى الإسرائيلى بالصفات السيئة والسلبية ؟

إننا لا نستطيع أن ننكر فضل حرب أكتوبر (١٩٧٣) التى استطاعت أن تغير من مفاهيم عديـدة عـن العـرب لـدى الأدبـاء الإسـرائيليين. لقـد فرضـت عليهم احترام الآخر وذكر إيجابياته وصـفاته الحسـنة، حتـى ولـو كانـت فى مقابل صفاته السيئة. وإذا لم يفعل ذلك الأدبـاء الإسـرائيليون لفقـدوا مصـداقيتهم الأدبية، بعـد أن اعـترف الجميع بقوة وشجاعة وعقلـية وثقافـة الآخـر (العربـى الفلسـطينى)، فكيف سيعيشون فى منأى عن العالم وعن المجـتمع، والأدب هـو مـرآة المجـتمع، وإذا لم يعكـس أى أديـب تـوجهات هـذا المجتمع ومفاهيمه عن الآخر فقلما يكون له وجود صادق وحساس.

وبعـد هـذا العـرض لمـراحل الصـراع بـين " الأنـا " و " الآخـر " فـى الأدب العـبرى الإسـرائيلى مـنذ مـا قـبل قـيام الدولـة وحتى مطلع الثمانينيات، يمكننا القول أن طبيعة هذا الصـراع قـد خضعت للظروف والأحداث التى وقعت بين كلا الطرفين، وترتب على ذلك ظهـور اتجاهات عديدة لدى الأدباء الإسرائيليين فى نظرتهم إلى الآخر (الفلسنطينى) بعد كل حـرب من الحروب التى خاضتها إسرائيل ضد العرب، وكانت كل حرب من هذه الحروب بمـثابة المجهـر الـذى يبـدو تحته الآخـر (الفلسـطينى) فـى ثـوبه الجديـد، عكـس الأدباء الإسـرائيليون كينونته فى محاوله لإظهار جدلية الصراع بينه وبين الفرد الإسرائيلى على ضوء الواقع الجديد الذى انكشف لهم بعد كل حرب.

وعلـى هـذا الأسـاس يمكنـنا أن نوجز اتجاهات الصراع التى صاغها الأدباء الإسرائيليون مع الآخر (الفلسطينى) فى النقاط التالية :

(١) اتجـاه، ظهـر قبل قيام الدولة، نظر إلى الآخر (الفلسطينى) نظرة رومانسية، حيث عبر أدباء مرحلة ما قبل قيام الدولة عن العلاقات الوطيدة التى جمعت بين اليهود والعرب فى تلك الفترة وعن محاولات تشبه اليهود بالعرب بعد أن أسرهم سحر الشرق.

ولكـن هـذه النظرة لم تكن نظرة رومانسية كاملة، حيث أظهر هؤلاء نظرة التعالى وحاولوا إظهار مدى استفادة العرب الاقتصادية والاجتماعية من مجئ اليهود.

(٢) اتجـاه، ظهـر بعـد حرب (١٩٤٨) وقيام الدولة، نظر إلى الآخر (الفلسطينى) على أنه مشـكلة أخلاقية بالنسبة للفرد الإسرائيلى، حيث بدأ الصراع الفعلى بين العرب واليهود علـى الأرض التـى يعيشـون علـيها، وأصبح المقاتل الإسرائيلي فى مفترق الطرق ما بين مجموعة " القيم " التى تلقاها عن الصهيونية وبين أعمال القتل والطرد التى يمارسها ضد العـرب الفلسطينيين، دون أن يقوى على معارضة ذلك. ومن هنا وقع الفرد الإسرائيلى

فـى هـذه " المشـكلة الأخلاقـية " التى مثل أركانها الآخر (الفلسطينى) دون أن يجد لها حلاً.

(٣) اتجـاه، ظهـر بعـد حـرب يونـيو (١٩٦٧)، نظـر إلى الآخـر (الفلسـطينى) علـى أنـه "كابـوس وجـودى " ، حـيث زادت رقعـة الأرض التـى تحتلها إسرائيل وازدادت معها المحـن التى وقـع فـيها الفـرد الإسرائيلى بعد هذه الحرب، ولم يعد الآخر (الفلسطينى) مجـرد مشـكلة أخلاقـية فحسـب، بـل أصبح كابوسـاً وجـودياً يدافـع عـن أرضه ضد مغتصبيها، ويظهر فى صورة كوابيس وأحلام مزعجة بالنسبة للأفراد الإسرائيلين. ومن هـنا أعلـن الأدبـاء الإسـرائيليون عـدائهم الواضـح ضده، وأظهروه فى صورة المخرب وحائك المؤامرات ورجل العصابات، وغير ذلك.

(٤) اتجـاه، ظهـر بعـد حـرب أكتوبـر (١٩٧٣)، نظر إلى الآخر (الفلسطينى) نظره إيجابية بعض الشيء، وظهر كإنسان، وقد كانت هذه النظرة منعدمة تماماً قبل هذه الحرب وصار الآخـر (الفلسطينى) مثقفاً وشجاعاً وهادئاً وخريج الجامعة، بعد أن كان جاهلاً وجباناً ولا يعرف القراءة.

غـير أنـنا لابـد وأن نشير إلى أن الأعمال الأدبية التى نظرت إلى الآخر (الفلسطينى) هذه النظـرة الإيجابـية لم تخلـو تمامـاً مـن بعـض الصـفات السيئة والسلبية التـى اعـتاد الأدبـاء الإسـرائيليون علـى نعـتها لـه، وهو ما يؤكد على أن هذه الصفات مازالت عالقة فى أذهان هـؤلاء الأدبـاء. ومـا يشـيرون إليه من تعـاطف مع الآخر (الفلسطينى) ما هو إلا إحساس زائف بالذنب لا يملكون له حسماً.

وهكذا، يمكن القول أن الاتجاهات الثلاثة الأخيرة تدخلت فيها الحرب بشكل ملموس، وبـات الآخـر (الفلسـطينى) يمـثل واقعـاً جديـداً بالنسبة للفرد الإسرائيلى بعد كل حرب، وانقسم الأدباء الإسرائيليون تجاه ذلك، بصفة عامة، إلى فريقين :

(أ) فـريق ظهـر الآخـر (الفلسـطينى) فـى أدبه فى صورة العدو الذى يهدد تحقيق الأهداف الصـهيونية فى التوسع، فكيل له هؤلاء الأدباء من ذلك الفريق أحط الصفات وأقذرها، وأعلـنوا عـدائهم له، ووضعوه فى قالب ونمط معين من الأنماط البشرية لم يحيدوا عنه. ويـرجع سـبب ذلـك إلى إصـرار الآخـر (الفلسطينى) على حق العيش فى أرضه، فبدا كابوسـاً مخيفاً وعنصـراً مهدد من عناصر الطبيعة، والتى جاهد المهاجرون الصهاينة فى التكيف معها دون جدوى.

(ب) فـريق أبـدى تعاطفـه وإحساسـه الـزائف بالـذنب تجاه الآخر (الفلسطينى) وحقه فى الأرض والحـياة، وأظهـر نفـر قليل من الأدباء حقه على أرضه، وفى إقامة دولته ولكن دون طـرح الحـل، ودون أن يغـيروا مـن الصفات السيئة التى علقت فى أذهانـهم عـن

الآخـر (الفلسـطينى) . وهـو أمـر يجعلـنا نقـول أن هذا التعاطف ما هو إلا محاولة فقط لإظهـار الجانـب الإنسـانى لـدى الشخصـية الإسـرائيلية ، أو لدى الأدباء الإسرائيليين ، وحتـى لا يعـتقد أحـد أن الفرد الإسرائيلى آله مبرمجة للقتل والطرد وسفك الدماء فقط ، ذلـك لأن الأدبـاء الإسـرائيليين بعـدما يظهرون موقفهم الإنسانى والتعاطفى تجاه الآخر (الفلسـطينى)، فسـرعان ما يعودون أدراجهم وإلى موقف الجماعة و " النحن " وتعاليم الصهيونية . وذلك أيضاً لأننا نلاحظ أن الأدباء الذين أبدوا تعاطفهم مع المسألة العربية ، هم أكثر الأدباء الذين شوهوا صورة الآخر فى الأدب العبرى الإسرائيلى .

الفصل الثالث

" الأنا " و " الآخر " فى بعض أعمال عامـــوس عـــوز الأدبيـــة

" الأنا " و " الآخر " فى بعض أعمال عامــوس عــوز الأدبيــة

الأنا الممثلة لـ " اليهودى الصهيونى ":

إذا كانت الصهيونية قد رفضت " اليهودى الجيتوى [*] " من حيث كونه شخصية طفيلية هامشية، فما هى الصورة البديلة التى سعت إلى إحلالها مكانها ؟ ما هذا الكيان المثالى المطلق التى تبشر به الصهيونية، هذا النمط القومى الخالص أو " اليهودى الذى هو يهودى مائة فى المائة " على حد قول بن جوريون ؟. وعندما يحاول المرء الإجابة عن هذه التساؤلات، فإنه يواجه حقيقة أخرى غريبة، هى أن الصهاينة المعارضين للاندماج حاولوا إعادة صياغة الشخصية اليهودية، ووضع اليهود ليجعلوا منهم شعباً مثل أى شعب آخر، على حد تعبيرهم. ولتحقيق هذا الهدف سعوا إلى " تطبيع اليهود " حتى ينتموا للعصر الحديث، أى أنهم حاولوا تحديث الشخصية اليهودية مثلما حاولوا تحديث اليهودية [١].

لقد كان من الأهداف الرئيسية التى سعى إلى تحقيقها رواد الهجرتين الثانية والثالثة، هى خلق نمط يهودى جديد على أرض فلسطين، رغبة منهم فى أن يكون أبنائهم بعيدين بقدر الإمكان عن صورة اليهودى القديم، " يهودى الشتات " [٢] ذلك لأن هذه الشخصية ـ شخصية " اليهودى الجيتوى " ـ لا تتناسب مع الفكر الصهيونى الذى يتطلب شخصية قوية تتحلى بصفات مثل العنف، والرغبة فى التوسع، وفى الانتقام والقتل، وغير ذلك. وبالتالى سعت الصهيونية إلى خلق نمط جديد لشخصية اليهودى، مؤكدة رفضها لشخصية الآخر (اليهودى الجيتوى)، وذلك تمهيداً لظهور المارد الجديد وهو النمط الصهيونى الجديد.

إن الصهيونية واليهودية ليستا شيئاً واحداً، بل شيئين يختلف كل منهما عن الآخر، وربما كانتا شيئين يناقض كل منهما الآخر. وهما على أية حال لم يكونا كذلك، وحينما لا يستطيع شخص أن يكون يهودياً فإنه يصبح صهيونياً [٣].

(*) الجيتو: يعتبر الجيتو أشهر الأشكال الانعزالية اليهودية فى العالم، وهو عبارة عن حى أو عدد من الشوارع المخصصة لإقامة اليهود. أما بالنسبة لأصل الكلمة فمن المحتمل أن تكون قد استخدمت لأول مرة لوصف حى من أحياء البندقية، والذى يقع بالقرب من مسبك لصهر المعادن يسمى "جيتو أو جتو " كان محاطاً بأسوار وبوابات وخصص كمكان لإقامة اليهود عام (١٥١٦).

(١) د. عبد الوهاب المسيرى: الأيديولوجية الصهيونية، دراسة فى علم اجتماع المعرفة، سلسلة عالم المعرفة، إصدار المجلس الوطنى للثقافة والفنون والآداب، الكويت، العدد (٦٠ – ٦١) يونيو ١٩٨٨، (ص ١٧٠).

(٢) د. رشاد عبد الله الشامى: عجز النصر، الأدب الإسرائيلى وحرب ١٩٦٧، مرجع سابق، (ص ٢٣)

(٣) د. رشاد عبد الله الشامى: الشخصية اليهودية الإسرائيلية والروح العدوانية، سلسلة عالم المعرفة ، الكويت، العدد ١٠٢، يونيو ١٩٨٦، (ص٥٦).

ويقـول د. قدرى حفنى فى معرض تناوله للرفض الصهيونى للآخر (اليهودى الجيتوى) وظهور النمط الصهيونى الجديد: << قد تجبر تلك الأقلية على الإقامة قسراً فى أحياء الجيتو ولكـنها لا تجعـل مـن ذلك محلاً مختاراً، وما أن تواتيها فرصة الانطلاق منه حتى تنطلق دون تـردد. بـل إنـه لمـن المفهـوم تمامـاً من الناحية السيكولوجية أن تقدم تلك الأقلية، ما أن تجد سبيلاً إلى ذلـك، علـى التمـرد والـثورة علـى كـل مـا يمـت بصلة لتلك الحياة. . . نظامها الأسـرى. . نظامهـا الدينـى. . نظامهـا التعليمى. . نظامها التشريعى. أى بعبارة أخرى، ولـو شـئنا اسـتخدام التعبير الاصطلاحى فإن تلك الأقلية لابد من أن تتخذ صورة الجماعة الخارجـة علـى التقالـيد، والعـادات، والقيم والأفكـار، والأنمـاط السلوكية الشائعة لدى الجماعـة الأصـلـية التـى تمـثل الأغلبية. وما أن تواتى الفرصة ذلك الخروج الجماعى، حتى يـتخذ لنفسـه صـورة الجماعـة الجديدة التى لا يربطها بالجماعة القديمة الأصلية سوى العداء والتـناقض [1] لـذلك كـان الفكـر الصـهيونى حريصـــاً علـى طمـــس ملامـح الآخـر (الـيهودى الجيـتوى)، والقيام بعملية " إحلال محل "، بمعنى تجريد هذه الشخصية اليهودية الجيـتوية مـن الخصـائص النفسـية السيئة العالقة بها، وخلق خصائص جديدة تتوافق وروح الـتحديث المخطـط للأيديولوجـية الصـهيونية، ومـن هـنا خلقت شخصية " الصبار " [*] Sabra التـى أصبحت بمثابة الشخصية الرئيسية والمحورية فى الأدب العبري الحديث، وهى الشخصـية التـى حلـم بهـا الأباء المؤسسون للاستيطان الصهيونى لتقوم بتحقيق أحلامهم، وألقـوا علـى كاهلـها مهمة أن تحقق فى حياتها نبوءة الأجيال الصهيونية [2] فما هى الملامح التى تتسم بها هذه الأنا الممثلة لـ " اليهودى الصهيونى " ؟

إذا حاولـنا أن نتعـرف على الملامح الخارجية لليهودى الصهيونى الذى يتجلى فى صورة " الصـبار "، سـنجدها تـبدو فـى الملامـح الآتية: طويل، له خصلة شعر على جبينه، قوى

---

(١) د. رشاد عبد الله الشامى: الشخصية اليهودية الإسرائيلية والروح العدوانية، مرجع سابق،(ص٦٧)

(*) الصبار: أخـذ ذلـك المصطلح يـتردد فـى أعقـاب الحـرب العالميـة الأولى مباشرة واستخدم للمرة الأولى فى مـدرسـة " هرتسـليا " الـثانوية فى تل أبيب، وهى مدرسة كانت تضم بين تلاميذها اليهود شباناً من مواليد فلسطين إلى جانب الذين هاجروا مع أبائهم، والذين كانوا غالباً ما يتفوقون على أولئك المولودين فى فلسطين بسبب قدومهم من حضارة أكثر تقدماً. وفى محاولة لتعويض الشعور بالنقص كان اليهود من مواليد فلسطين، يلجـأون إلى الإمساك بثمرات التين الشوكى وتقشيرها بأيديهم، ويدخلون فى مسابقات التقشير هذه مع أبناء المهاجرين، وكانت تنتهى عادة بأن يكسب أبناء اليهود من مواليد فلسطين هذا التحدى، ويتمكنون من نزع القشرة الشـائكة ليحصلوا على الثمرة الحلوة. ومن هنا التصقت كلمة " التين الشوكى " (الصبار) بهذه الفئة مـن الـيهود مواليد فلسطين، ثم انتشرت التسمية لتغطى ما يسمى بجيل " الصباريم " الذى أصبح يقصد به أولئك اليهود الذين ولدوا فى فلسطين رغم تخلفهم الحضارى، إلا أنهم أكثر قدرة على تحمل المشاق.
(أنظر د. رشاد عبد الله الشامى: عجز النصر، الأدب الإسرائيلى وحرب ١٩٦٧، مرجع سابق،ص ٢٩)

(٢) د. رشاد عبد الله الشامى: مرجع سابق، (ص ٢٣).

ومتين أسود، ذو عينين لامعتين، شعره أصفر أو رمادى، والملابس: بساطة لا مبالية، صندل، بنطلون، قبعة تمبل [*] [1]. ويتميز جيل الصابرا من الذكور، بصفة عامة، بأنهم طوال القامة وأقوياء، لفحتهم أشعة الشمس، ذو اتجاه عدوانى إزاء الحياة والناس [2].

وقد اختلفت السمات الشخصية التى تتسم بها هذه الأنا الصهيونية عند بعض المحللين لهذا النمط الصهيونى. وعلى سبيل المثال يوردها أحمد محمد رمضان فى كتابه " إسرائيل ومصير الإنسان المعاصر " فى النقاط التالية [3]:

(١) الميل إلى العنف.
(٢) التمركز حول إسرائيل زمانياً ومكانياً (الجيتو الجديد).
(٣) طموحهم منصب على الأمان المادى والحياة المزيحة.
(٤) الانتماء القوى إلى إسرائيل ومجتمعها.
(٥) عدم الاهتمام بالتاريخ اليهودى الحديث والضيق بالحديث عن الرواد الأوائل.
(٦) احتقار المهاجرين القدامى والجدد (والعرب طبعاً).

والمقصود بالطبع، فى هذه السمة الأخيرة، هم هؤلاء المهاجرون الشرقيون، ذلك لأن جيل الصباريم من " الإشكنازيم " [*] ينظرون إلى جيل الصباريم من " السفارديم " [*] نظرة فوقية. وعلى سبيل المثال، ذكر " هربرت روسكول " وزوجته " مارجاليت باتاى " - وهما من مواطنى إسرائيل - فى كتابهما (المليون الأول من الصابرا، صورة للإسرائيليين مولداً ووطناً) أن " الصابرا " هم الإسرائيليون الصغار من أبناء وبنات المهاجرين من كافة بقاع الأرض. وأن أكثر ما يقلقهم هو ارتفاع معدل مواليد اليهود الشرقيين الذى يبلغ ثلاثة أضعاف نظيره لدى اليهود القادمين من الغرب، مما سوف يجعل فى إسرائيل شعباً متخلفاً داكن البشرة [4].

(*) تمبل: هى كلمة عامية عبرية تطلق على غطاء الرأس المميز للشخصية الإسرائيلية " الصبار "، وهى من الكلمة العامية الإنجليزية " دومبل ".

(١) د. رشاد عبد الله الشامى: الشخصية اليهودية الإسرائيلية والروح العدوانية، مرجع سابق، (ص ١٠٦).

(٢) جون لافين: العقلية الإسرائيلية، دار نشر كاسل ليمتد، لندن، ١٩٧٩، (الهيئة العامة للاستعلامات، كتب مترجمة)، (ص ١٨٣).

(٣) أحمد محمد رمضان: إسرائيل ومصير الإنسان المعاصر، دراسة فى سيكولوجية التاريخ اليهودى وعلاقته بفلسفة التاريخ الإنسانى العام، دار الكرمل للنشر، ١٩٨٧، (ص ٢٤).

(*) إشكناز: كلمة تعنى بالعبرية ألمانيا. وهى تطلق على كل اليهود المنحدرون من أصول ألمانية وفرنسية، ويمتد شمول التسمية لتطلق كذلك على يهود أمريكا الشمالية والجنوبية.

(*) سفارديم: صيغة الجمع بالعبرية من الاصطلاح " سفاردى " نسبة إلى " سفاراد " (أسبانيا). وهو اصطلاح يطلق على اليهود الذين أقاموا فى أجزاء مختلفة من شمال أفريقيا (المغرب – تونس – الجزائر – ليبيا) وتركيا وإيران واليونان والبرتغال.

(٤) د. قدرى حفنى: دراسة فى الشخصية الإسرائيلية " الإشكنازيم "، مركز بحوث الشرق الأوسط، جامعة عين شمس، ١٩٧٥، (ص ١١١).

وبالإضـافة إلى الـتوق الدائم إلى القيم التى تلقاها من التضحية الذاتية (الأنا تنسحب أمام الـنحن)، وهـى القـيم التى تلقاها الشباب الصهيونى فى الحركة الصهيونية الاشتراكية وفى بـيت الأبـاء [1] يـــــورد الأســـتاذ الدكـتور رشـاد الشـامى سمـات الـنمط الـيهودى الصهيونى فى النقاط التالية [2]:

(١) التمرد على اليهودية التقليدية والانجراف نحو العلمانية.

(٢) رفض الاندماج فى الشعوب أو نبذ العبودية اليهودية.

(٣) الرغبة فى الانتقام من الأغيار وتبنى العنف.

(٤) رفض الشخصية اليهودية الجيتوية.

وكـل واحـدة مـن هـذه السمات التى تتصف بها الأنا الممثلة لـ " اليهودى الصهيونى " نلاحـظ فـيها محاولاتهـا لـنفض غبار الماضى العالق بها، فأعطت ظهرها للجيتو، وشعرت أنهـا منعـزلة عـن البشـر، وأن العالم كله دون استثناء معاد لها حتى أصبح ذلك الإحساس حقـيقة سـيكولوجية مـؤكدة. ومن هنا تغلغل العنف والثأر إلى نفسية اليهودى الصهيونى، معتـبراً أن ذلـك هو الدواء الشافى له من أمراض الآخر (اليهودى الجيتوى). وكان ذلك هو الهـدف الرئيسـى مـن خلق شخصية " الصبار "، كمحاولة لصهر كل فئات المهاجرين إلى فلسـطين مـن شـتى بقـاع الأرض فـى بوتقة واحدة، تذيب الحضارات والثقافات المختلفة. وهـى محاولة تقودنا إلى طرح سؤال حول هوية الأنا الممثلة لـ " اليهودى الصهيونى "، ومن يمثلها ؟

يقـول الدكـتور قـدرى حفنـى فى هذا الصدد: << قد ينتمى إلى جيل " الصابرا " وفقاً لحرفية التعريف شيخ يهودى ولد منذ تسعين عاماً مثلاً على أرض فلسطين، ونشأ عليها منذ ذلـك الحـين. وقـد ينتمـى إلـيه أيضـاً شـاب يهـودى يبلغ العشرين عاماً. ولد على أرض فلسـطين لأسرة نزحت من اليمن مثلاً، وأقامت فى إسرائيل. وقد يضم جيل " الصابرا " كـذلك كهـلاً يهودياً فى الخمسين من عمره ولد على أرض فلسطين لأسرة نزحت من ألمانيا مـثلاً، وأقامت فى فلسطين منذ ذلك الوقت. ومن ناحية أخرى فإن أقراناً لهؤلاء يماثلونهم فـى العمـر أو حتـى يصـغرونهم قـد لا يشـملهم " جـيل الصـابرا " لأنهـم ولـدوا خـارج إسرائيل، ثم نزحوا مع أبائهم أو بمفردهم إليها. وقد يكون من بين هؤلاء مثلاً شقيق لذلك الشـاب الـيهودى اليمنـى الـذى يـبلغ العشرين، ولكنه كان رضيعاً حين نزحت الأسرة من الـيمن، ولـذلك فإنـه لا ينتمـى لجـيل الصـابرا فـى حين ينتمى إلى ذلك الجيل شقيقه الذى

(١) د. رشاد عبد الله الشامى: عجز النصر، الأدب الإسرائيلى وحرب ١٩٦٧، مرجع سابق، (ص ٢٤)

(٢)د. رشاد عبد الله الشامى: الشخصية اليهودية الإسرائيلية والروح العدوانية، مرجع سابق، (ص ٤٨).

يصغره ولو بعام واحد. بل قد يكون بين هؤلاء طفل يهودى هاجر مع أسرته إلى إسرائيل أثر مولده منذ خمس سنوات. " جيل الصابرا " إذن يضم شيوخاً وشباباً، ويستبعد أيضاً شيوخاً وشباباً من الإسرائيليين >> (١)

وهكذا، يمكن القول أن شخصية " الصبار " قد تضم بينها يهوداً إشكنازيم ويهوداً سفارديم مع اختلاف حضاراتهم وثقافاتهم، إلا أن العامل المشترك بينهم الذى يمكن التسليم به فى هذا الصدد وعلى قدم المساواة، هو أنهم ولدوا وتربوا على أرض فلسطين. غير أن أغلب هذا الجيل هو من اليهود الإشكنازيم أصحاب الحضارة الأرقى. وهناك فى إسرائيل ميل لهذه الفئة عن الفئة الأخرى من اليهود السفارديم، على اعتبار أنهم من الصفوة الإسرائيلية، وينتمى إليهم قادة الدولة الإسرائيلية. وأغلب الشخصيات المتناولة فى الأدب العبرى الحديث من جيل " الصابرا " نجدها تنتمى إلى جذور إشكنازية. لقد اهتم الأدب العبرى بتركيز الضوء على هذه الفئة بعينها، على أساس أنها تمثل حضارة غربية عريقة تتوافق والهدف الحقيقى لخلق هذه الشخصية الجديدة.

وإذا حاولنا أن نعرف أى نوع من هذه الشخصيات تناولها " عوز " فى أعماله ؟ سنجد أنه تناول الأنا الممثلة لـ " اليهودى الصهيونى الإشكنازى ". وقد يكون سبب ذلك لأنها تمثل حضارات غربية عريقة وثقافة غزيرة تختلف عن " اليهودى الصهيونى السفارادى ". وقد يرجع سبب ذلك أيضاً إلى جذوره الأسرية حيث أنه إشكنازى الأصل ـ روسيا ـ علاوة على أنه ولد على أرض فلسطين بالقدس.

الأنا الممثلة لـ " اليهودى الصهيونى " فى أعمال " عوز " الأدبية :

سار " عوز " فى تناوله للأنا الممثلة لـ " اليهودى الصهيونى " على نهج الهدف الذى خلقت من أجله ووضعته فيه الأيديولوجية الصهيونية، فجاءت هذه الأنا مناقضة تماماً للأخر (اليهودى الجيتوى)، فصارت ترمز لليهودى المنتصب القامة والقوى، والذى يضحى بنفسه من أجل الآخرين، ويقوم بأعمال بطولية بمفرده، ويخشى على مصالح الدولة.

ويمكن تتناول هذه الأنا الممثلة لـ " اليهودى الصهيونى " من خلال المحاور الآتية :

أولاً : الملامح الخارجية :

يطالعنا القاص بأول ملمح من ملامح هذه (الأنا) فى قصة (نيران غريبة) قائلا :

<< كان يائير يردن فتى صغيراً ووسيماً، لا يتسم بطول القامة، ولكن كتفيه قويتين، قوى البنية، ومربع الظهر >> (٢).

(١) د. قدرى حفنى: دراسة فى الشخصية الإسرائيلية، مرجع سابق، (ص ١٠٢، ١٠٣).

(٢)عاموس عوز: "أرتسوت هاتين"(بلاد بنات آوى)، مجموعة قصصية، دار نشر عم عوفيد، ١٩٨٢، (ص١٢٠).

وجـاءت الملامـح الخارجـية للأنـا المـثلة لـ " الـيهودى الصـهيونى " فـى قصة (دير الصامتين)، لتعطى إحساساً بالقوة والغلظة :

<< أطلق " ايتشه " لحية غير مستوية، وكان شعر رأسه سميكاً مجعداً، كما لو أنه مليئ دائماً بالغبار . وكانت لحيته تخرج من صدغيه، وتكاد تختلط بحاجبيه الثقيلين، وينبت شعره علـى خديه ورقبته، بحيث تحول بلا أى فاصل إلى فروة للدب غطت صدره وذراعيه، وربما كل جسده >> (١).

وتعلـق " نـوريت جـريتس " الـناقدة الإسـرائيلية علـى هـذه الشخصية قائلة : << إن "ايتشه" يحظى بإعجاب القاص والأبطال الثانويين الأقل منه . وتبرز نظرات الإعجاب إليه مـن كـل جانب قدرته البدنية والروحانية، وهكذا كانت العادة فى أدب " البالماح "، وهى إبراز القدرة البدنية للبطل الرئيسى >> (٢).

وفـى روايـته (مكـان آخـر) يصـف عـوز " عـزرا " أحد أبطال هذه الرواية بالأوصاف الآتية :

<< كـان ذو جسـم بـدين ومشـعر، وله كرش صغير، وأطراف عريضة وقوية للغاية، وأكتافه مفتولة العضلات >> (٣).

وفـى هـذه الـرواية نجـد أن الفـتاة اليهودية الصهيونية تكاد تتقارب فى ملامحها مع الفتى الـيهودى الصهيونى فى بنية جسمها وقوامها . فنجد عوز يصف " نوجه حاريش " إحدى شخصـيات هـذه الـرواية على لسان القاص بهذه الملامح التى تدل على الغلظـة والخشونة والقوة :

<< كانت " نوجه حاريش " فتاة تبلغ من العمر ستة عشر عاماً، طويلة القامة، ممشوقة القـدّ مثل الشباب، قوامها قوام فتى وليس امرأة، ساقيها رفيعتان طويلتان للغاية، خصرها صغير، فخذاها صغيرتان يتدلى عليهن قميص رجالى واسع، ويتدلى على كتفيها ضفيرة من شـعرها الـناعم الكثيف تصل إلى منتصف ظهرها . وبنية جسمها ملفوفة وحادة، مما يجعلها تبدو فى صورة وحشية فى كل واحدة من رموزها النسائية >> (٤).

وكذلك، كانت نفس هذه الملامح هى أوصاف الفتاة اليهودية الصهيونية فى قصته (كل الأنهـار)، حـيث جـاءت ملامـح " طـوفاه " عل هذا النحـو الذى يتفق وملامح " نوجه حاريش " فى رواية (مكان آخر) :

---

(١)عاموس عوز: "أرتسوت هاتين"(بلاد بنات آوى)، مجموعة قصصية، مرجع سابق، (ص٩٠).

(٢) نـوريت جيريـتس: "عامـوس عـوز، مونوجرافية" (السيرة الذاتية لعاموس عوز)، دار نشر سفريات بوعاليم، تل أبيب، ١٩٨٠، (ص١٠٠).

(٣)عاموس عوز: "ماقوم أحير" (مكان آخر)، رواية، دار نشر سفريات بوعاليم، ١٩٦٦، (ص٢٦).

(٤)نفس المرجع (ص٢٩).

<< . . كـذلك، كان جسدها كبيراً بعض الشئ. . . إنها فتاة إلا أن جسـدها جسد أم، وكــان فـى خاصـرتها وكتفيها زيادة كبيرة لا تخلو من الطراوة. وجلد ذراعيها بدين إلى حد مـا، ولم تكـن أبداً فتاة رقيقة ... فقد كان لها شعــــر أسود قاتم وجاف قليلاً، وعينان لا أستطيع بـأى حـال أن أتذكــر لـونهما، لكننــى لم أنـــس إعـــيائهما. . . أما أنفها فكانت كبيرة بعض الشئ >> [١].

ويسـتمر القاص على مدار هذه القصة فى وصف هذه الفتاة بتلك الملامح التى تدل على وحشيتها وفظاظتها:

<< وبدا لى ذراعها إلى حد ما بديناً، أكثر مما كنت أتصور عن شاعرة شابة >>[٢].

وهكـذا حتـى الفـتاة الـيهودية الصـهيونية حرص عوز على إسباغ ملامح القوة والغلظة والوحشـية علـى شخصيتها، حتى تكاد تتقارب فى ملامحها مع فتى شاب وفظ. وقد يكون عـدم الفصـل فـى الملامـح بـين شخصـيتى الفتـى والفتاة يرجع إلى أن شخصية " الصبار " جـاءت لتعبر عن ملامح جيل بأكمله، ولم تفرق بين الجنسين فى الملامح والخصال، وذلك على أساس أنهما نتاج بيئة خاصة وواحدة، عاشا عليها معاً وأثرت فيهما.

ويسـتمر عـوز فى وصف ملامح الأنا الممثلة لـ " اليهودى الصهيونى " على نفس النهج فـى بقـية أعمالـه الأدبـية، فهو يصف " شمشون " فى قصة (اتجاه الريح) ـ الذى اعتقد أن اسمـه اخـتير بعـناية ليعـبر عـن ملامـح وسمات هذه الشخصية دون وصف ـ بهذه الملامح القوية التى تدل على تحمل المسئولية:

<< لقـد كان فى صباه يملأ الشيب خصلات شعره الغزيرة، وتركت أشعة الشمس على وجهــه تقاطعــات ســاحرة مــن الخطــوط والفجــاج، أمــا ظهــره فكــان مــربعاً، وكــتفاه قويتان >>[٣].

ويستمر القاص على مدار القصة فى وصف شخصيات القصة بملامح القوة والغلظة:

<< كــان قائـد الـوحدة ضـابطاً أشقر ووسيماً، دارت حوله الأساطير فى جلسات الليل حـول حلقـات النيران، ذا عين حادة، هى عين القائد الأسطورى الأشقر التى استطاعت أن تميز ذلك الوريد الذى انتفخ فى عنق الفتى. . >> [٤].

---

(١)عاموس عوز: "أرتسوت هاتين"(بلاد بنات آوى)، مجموعة قصصية، مرجع سابق، (ص١٣٥).

(٢)نفس المرجع (ص١٤٤).

(٣)نفس المرجع (ص٤٧).

(٤)نفس المرجع (ص٥١).

ونفس هذه الملامح يصف بها القاص " جوئيل " فى قصة(سومكى):

<< كان " جوئيل " هو فتوة الفصل والحى، شاباً مفتول العضلات عنيفاً. . >>[١].

أما ملبس الأنا الممثلة لـ " اليهودى الصهيونى " فكان عادياً:

<< لم أتذكر نوع سروالها جيداً، فقد كان سروالاً مصنوعاً من النسيج الخشن ومهلهل قليلاً، وكان لونه ما بين الأزرق القاتم والرمادى القاتم >>[٢].

<< كان يتدلى على فخذيها الصغيرتين قميص رجالى واسع. . >>[٣].

وهكذا بدت الملامح الخارجية لهذه " الأنا " الصهيونية نتاج المشروع الصهيونى الاستعمارى لتتسم بالغلظة والقوة والخشونة، وهى ملامح تجئ لتدل على سمات هذه الشخصية من ناحية، ولتعبر عن رفض الآخر (اليهودى الجيتوى) ربيب الشتات والذل والخنوع، وذو الظهر المحنى والضعيف، ونحيل الجسد من ناحية أخرى.

وتقول " نوريت جريتس " عن هذا النمط الصهيونى الجديد: << يكثر القاصون فى القصص الأولى لعوز ويهوشواع من استخدام صورة نمطية فى وصف أبطالهم. . . وهذا الأسلوب الوصفى عبارة عن " باروديا " (*) حول الأساليب الوصفية وتشخيص ملامح جيل " البالماح ". ويبرز هذا الأمر، بصفة خاصة، عندما يكون موضوع " الباروديا " عبارة عن حقائق مقبولة لأدب ذلك الجيل. فعلى سبيل المثال، هناك رؤية خاصة بشأن العلاقة الوطيدة بين الجسد والروح: " مربع الظهر، وكتفاه يشيران إلى حكمته " (اتجاه الريح، لعوز)، أو بشأن طابع الصورة النمطية الصبارية: " جميعهم سود، وذوو خصال شعر شقراء، أو ضفائر شقراء، وأيديهم قوية " (مكان آخر، لعوز). حيث إن هناك دوراً رئيسياً بالنسبة للأسلوب النمطى فى وصف الشخصيات سواء أكانت هذه الملامح تبدو فى صورة نمطية محددة أم كانت تبدو كصورة نمطية لأى إنسان. ويعتمد هذا الانطباع على استخدام الأوصاف المزدوجة والمحددة، والتى تصف الشخصيات بأسلوب مُزيّن بعيداً عن الحقيقة. >>[٤]

وهكذا كان ذلك الأمل الذى راود الأباء فى أن يكون لديهم جيل جديد تماماً، ينفض ضعف الماضى وذله، وهو ما عبر عنه عوز على لسان القاص فى روايته (فهد فى السرداب) قائلاً:

---

(١) عاموس عوز: "سومكى" (سومكى)، قصة، دار نشر عم عوفيد، تل أبيب،١٩٧٨، (ص٩).

(٢)عاموس عوز: "أرتسوت هاتين"(بلاد بنات آوى)، مجموعة قصصية، مرجع سابق، (ص١٣٥).

(٣)عاموس عوز: "ماقوم أحير" (مكان آخر)، رواية،مرجع سابق، (ص٢٩).

(*) باروديا: تأليف تقليدى ساخر، محاكاة هزلية (لقصيدة أو تأليف موسيقى).

(٤)نوريت جيريتس: "خيربت خزاعه فهابوكير شل محورات" (خربة خزاعة وصباح الغد)، دار نش هاكيبوتس همئوحاد، تل أبيب، ١٩٨٣، (ص١٣٩-١٤٠).

<< كـان أمـل الأبـاء أن ننشـأ نحـن الأطفال لنكون يهوداً جداً تماماً، محسّنين، عريضى الكـتفين، محـاربين وفلاحين. لذلك كانوا يملأون أفواهنا بالمزيد والمزيد من الطيور، وأحلى الفواكه. . >>[١].

ثانياً: السمات الشخصية:

إذا كـان المظهـر الخارجـى لليهودى الصهيونى قد جاء ليعبر عن ملامح تتسم بالخشونة، وقوة البنيان، والعيون اللامعة. فما هو طابع شخصيته ؟

قـام البروفيسـور " تامـرين " بإجراء بحث حول التصور الذاتى " للصابرا " بين تلاميذ المـدارس الثانوية. وقد أكد بحثه هذا ما كان راسخاً لدى كل صهيونى، وهو أن " الصبار " ينسـب لنفسـه صفات إيجابية قائمة على أساس المقارنة القطبية فى مواجهة الآخر (اليهودى الجيـتوى). وقـد أجـاب " الصـباريم " الـذين طلب منهم إعطاء ملامح مميزة لشخصية " الصـبار " بطـريقة أشـارت بوضـوح إلى نظـرتهم لأنفسهم. فانحصرت السمات الشخصية للصـبار فـى أنـه: فعـال (يقـظ، وأحـياناً هـائج)، وعـــدوانى (عنيف ومتمرد) يفتقد إلى الـذوق والـتهذيب، ومتعجرف، ومتبجح، ووطنى، ومؤثر، وصفيق ومقبول، وصاحب موقـف وطـيب القلـب، وجـاد ومتـزن، ويقظ وذكى، وحر ورقيق، ورائد وساخر (لدية حاسة السخرية)[٢].

وتـتوافق الأنـا المـثلة لــ " اليهودى الصهيونى " عند عاموس عوز، إلى حد كبير، مع بحـث " تامـرين ". فجمعـت بـين صفات القوة، والعدوانية، والعجرفة، والوطنية، وإلى أخـر هـذه الصـفات التـى جـاءت لتقول إن الشخصية الجديدة هى رد فعل لشخصية الآخر (الـيهودى الجيـتوى). وهـى الصـورة البطولية للصهيونى الجديد، وقد تجسدت فى المظاهر التالية:

(١) استعراض القوة:

يطالعـنا القاص بإحدى السمات التى تتميز بها هذه " الأنا " الصهيونية، وهى القوة فى رواية (مكان آخر) قائلاً:

<< إننـى أستطيع أن أثنى هذه المرّشة بكلتا يدى، لأننى أملك يدين قويتين فى مقدرتهما أن تلينا الحديد. . >>[٣].

---

(١) عاموس عوز: "بانتير بامرتيف" (فهد فى السرداب)، رواية، دار نشر كيتر، القدس، ١٩٩٥، (ص٢٤).

(٢) د. رشـاد عبد الله الشامى: الفلسطينيون والإحساس الزائف بالـذنب فى الأدب الإسرائيلى، مرجع سابق، (ص ١٤٤)

(٣) عاموس عوز: "ماقوم أحير" (مكان آخر)، رواية، مرجع سابق، (ص٢١٣).

وهكـذا، يتفاخـر الـيهودى الصـهيونى بقوته أمام الآخرين، ويحاول أن يستعرض قوته أمـام البشـر. فـ " ايتشـه " فى قصة (دير الصامتين) يمسك بـ " بروريا " بكف يده وكأنها طائر صغير، ويطيح بها فى الهواء:

<< ضـم " أيتشـه " بكفـى يديـه التى تشبه الدب خاصرة " بروريا " ضابطة الإدارة فى الجيش، وأطاح بجسدها فى الهواء محدثاً حركة دائرية كاملة. . >> [١].

(٢) الأعمال البطولية:

يتسـم الـيهودى الصهيونى كذلك ـ كما صوره عوز ـ بالشجاعة والأعمال البطولية التى تجعله فخر المجتمع والناس، وتدور من حوله الأساطير عن أعماله وقوته:

<< كـان اسم " ايتشه " يتردد فى المراتب العليا. فشاهدوه عـدة مرات فى مجلة " كأس " ومـرة أخـرى كانـت صـورته فى صدر الصحيفة العسكرية " فى المعسكر " >> [٢].

ولمـزيد مـن الأعمـال البطولـية وإلقاء الضوء على شجاعة وبطولة هذا النمط الصهيونى الجديد، يقول القاص فى قصة (دير الصامتين):

<< . . قفـز بمفـرده داخل نفق تحصن فيه العشرات من الأعداء المسلحين، فتجمد دمهـم حـين صـرخ صـرخات وحشية، وأنزل عليهم رعباً أسود حتى فروا من أمامه. فمر كالبرق بـين الكهـوف المظلمة، وألقى عليهم القنابل اليدوية، فتحجر جنود الأعداء من فرط الفزع أو الوحشـية، واستسـلموا كالمقـبوض علـيهم لـدفعات الرصاص المنهمرة من مدفعه. لقد دخل وحيداً إلى هذا النفق، وخرج أيضاً منه بمفرده. >> [٣].

ولهذا كانت الكتيبة تفخر بـ " ايتشه " كبطل مغوار وكقائد عظيم:

<< مـن شـأن كتيبتنا أن تتفاخر بأى قائد مغوار، وبكثير من الضباط الشجعان. لكن " ايتشه " كان فخرنا، فقد كان ملكاً >> [٤].

وتـرى " نـوريت جـريتس " الـناقدة الإسـرائيلية أن هـذه الشخصية كانت مطلب جيل الأبـاء، فهـى تقـول: << هـذا البطل يستجيب بكل قدراته إلى المطالب التى يتطلبها الأدب الخـاص بالجـيل السـابق مـن بطـل فـى فـن أدبـى، فهو قوى وشجاع، ووسيم، ومقاتل، ونشيط، وهو إيجابى ويعتبر شخصية رئيسية فى قصص الجيل السابق. >> [٥]

أمـا " أبـراهام بلفـان " الـناقد الأدبـى الإسرائيلى فيقول: << إن " ايتشه " لم يوصف كإنسان عادى. فعلى الرغم من أنه ليس قائد الكتيبة، فإنه يلقب بـ " الملك " و " السيد "، وكـل الـذين يحيطون بـه هـــم " أعوانه الخاضعون " . وهو يوصف كـ "ساحر"، وذو "

---

(١) عاموس عوز: "أرتسوت هاتين"(بلاد بنات آوى)، مجموعة قصصية، مرجع سابق، (ص٨٧).

(٢) نفس المرجع ، (ص٩٠).

(٣) نفس المرجع (ص٩٠).

(٤) نفس المرجع (ص٨٩).

(٥) نوريت جيريتس: "عاموس عوز، مونوجرافية" (السيرة الذاتية لعاموس عوز)، مرجع سابق، (ص١٠٠).

صـدر إنـاس عمالقـة " ، وظهـر " شريف " . والجانب المثير فى شخصيته تساهم فيه أيضاً فكـرة أن العـربة الجيب التى كان يقودها موصوفة كـ " سيكْلُوب " [*]، والسيكلوبيون هم أبـناء الجـيل الأول من الآلهة فى الأساطير اليونانية، كانوا طبقاً لإحدى الأساطير مساعدى " زيوس " ، وطبقاً لأسطورة أخرى كانوا مساعدى " هابيا ستموس " >>[١]

ويـؤكد عوز أيضاً فى قصته (اتجاه الريح) على أن حكايات البطل الأسطورى من نصيب اليهودى الصهيونى، وذلك فى وصفه لشمشون أحد أبطال هذه القصة :

<<لقـد حـيكت حـوله الإشاعات عندما أنقذ أحد أطفال " الكيبوتس " . ودارت حوله الأساطير فى أماكن أخرى. >>[٢].

(٣) العدوانية :

والـيهودى الصـهيونى كـذلك هـو شخصـية عدوانـية تستهزئ بمشاعر البشر، وتتعامل معهم بقسوة وفظاظة. فيقول القاص فى قصة (سومكى) :

<< أمسـك " جوئيل جرمانسكى " قميصى من الخلف. . . ودفعنى منفضاً إياى مرتين أو ثلاث مرات. . . كما لو أننى معطف شتوى، يرغب " جوئيل " أن ينفض منه الغبار أو رائحة النفتالين. >>[٣].

و " رامـى " الذى يعتبر من جيل " الصابرا " فى روايـــة (مكان آخر) لا يؤمن إلا بلغة واحدة فقط، هى لغة القوة والعدوانية :

<<. . ما كان لمثل هذه الأمور أن تحدث ليوآش، ولكنها حدثت لى. فالمـرأة لا تفهم إلا أمراً واحداً، هو القوة والغلظة >>[٤].

وربمـا جمع عوز كل هذه الصفات العدوانية التى يتسم بها اليهودى الصهيونى على لسان " ايلانـه " وهـى تخاطـب " الكسـندر " فى رواية (صندوق أسود) مستخدماً كافة الأفعال الدالة على العدوانية :

<<. . إن حـدود عالمـك هـى الهـدم، والضـياع، والـدمار، والإضـطجاع، والقمع، والتطهـــير، والقـتل، والحرق، والشك، والتصفية، وإضرام النيران، والاحتراق>>[٥].

(*) سيكلوب: عملاق ورد ذكره فى الأساطير اليونانية ذو عين واحدة فى وسط جبينه.

(١) أبراهام بلفان: " طاعم هايماه فهاكيئف، عييون بسيبوروه شا عاموس عوز (منزار هشتكانيم)" (طعم الخوف والألم، دراسة لقصة عوز (دير الصامتين)، مجلة موزنايم، مارس–أبريل ١٩٨٥، (ص٣٠).

(٢)عاموس عوز: "أرتسوت هاتين"(بلاد بنات آوى)، مجموعة قصصية، مرجع سابق، (ص٤٧).

(٣)عاموس عوز: "سومكى" (سومكى)، قصة، مرجع سابق، (ص١٠).

(٤)عاموس عوز: "ماقوم أحير" (مكان آخر)، رواية،مرجع سابق، (ص٢١٣).

(٥)عاموس عوز: "قوفساه شحوراه" (صندوق أسود)، رواية، دار نشر عم عوفيد، ١٩٨٧، (ص١٠٩).

وتعلـل " شـولاميت شمـيدط " الـناقدة الإسـرائيلية ظهـور هـذه الشخصـية بـتلك الأوصاف قائلة: << نشأ " الكسندر " بدون أم . . وعاش حياته منطوياً فى وحدانية غريبة واسـتمر سـخطه وغضـبه علـى العـالم، واستمرت وحدته أيضاً فى المستوطنة. وذات يوم انفجـر غاضـباً وكسـر أنـف مدرسة بالكرسى . . واعتاد فى طفولته أن يعض بوحشية ظهر يـده، ويحطـم الأمـتعة . . وعندما صارت سنوات زواجه جهنم ضرب " ايلانه " بقبضته، وعضها فى كتفها، وصفعها بكف يديه وأطاح برأس ابنه فى الحائط . >> [١]

وهكـذا، تسـود روح العـنف فـى نفسـية هذه الشخصية كتعبير عن طاقة مكبوتة، وعن ظـروف وقعـت أسـيرة فـيها. وروح العنف يمكن الإحساس بها كقوة تحريرية كتنفيس عن طاقة مكبوتة، لتخفف من نير العبودية التى لم يعد ضغطها محتملاً. كانعتاق. كتحرير. [٢] وهـو أمـر تنـبه إلـيه جـيل الأباء، فحاولوا غرس العداوة والعدوانية فى جيل الأبناء، وفى نفـوس أطفـالهم لـتكون نشـأتهم نشـأة عدوانية تحميهم من أية محاولة يتذكرون فيها الماضى وذلـه. وعلـى سبيل المثال، نجد " سومكى " بطل قصة (سومكى) يتـذكر الهدايا التى كان يهـديها لـه خاله، وكلها أشياء ترمز إلى العنف والعدوانية يحاولون غرسها فى طفل يبلغ من العمر الحادية عشرة:

<< فقـد أحضـر لى ذات مـرة مسدساً أسود يرسـل فيضاً من المياة فى وجه العدو. . . وذات مـرة، أحضـر لى بندقـية من الخشب. . . وأحضر لى أيضاً هدية عبارة عن ستة فئران بيضاء فى قفص >> [٣] .

وهكـذا، فـإن العـنف يصبح هو الأداة التى يتوسل بها الصهاينة لإعادة صياغة شخصية الـيهودى، فالـيهودى ـ فـى هـذا التصور ـ يحتاج إلى ممارسة العنف لتحرير نفسه من نفسه، ومـن ذاتـه الطفيلـية الهامشـية. إن العـنف يصـبح هنا مثل الطقوس الدينية التى تستخدمها بعـض القـبائل البدائـية حيـنما يصـل أفرادها إلى سن الرجولة، لأن اليهودى حينما يمارس العنف والقتل يتخلص من مخاوفه ويصبح جديراً بالحياة [٤] .

---

(١)شولاميت شميدت: "تيشع باسفروت، عيونيم بتشع يتسيروت باسيبورت هاعفريت هاحداشاه" (تسع فى الأدب، دراسة لتسعة أعمال فى الأدب القصصى الإسرائيلى)، دار نشر قيشت، تل أبيب، ١٩٨٩، (ص٣٥).

(٢) د. قدرى حفنى: دراسة فى الشخصية الإسرائيلية، مرجع سابق، (ص ٢٥٩).

(٣)عاموس عوز: "سومكى" (سومكى)، قصة، مرجع سابق، (ص٤).

(٤) د. رشاد عبد الله الشامى: الشخصية اليهودية الإسرائيلية والروح العدوانية، مرجع سابق، (ص ١٨٤).

ولاشـك أن الأدب الصـهيونى ساعد كثيراً فى صياغة هذه النمط الصهيونى الجديد، من خـلال الأعمـال المختلفة لكثير من الأدباء الصهاينة، الذين راحوا ينسجون شخصية جديدة مناقضـة للآخـر (اليهودى الجيتـوى) تـتفق وروح الفكـر الصـهيونى القـائم على التوسع والعـدوان. وفـى رأينا أن تعدد المصادر المختلفة لليهودى الصهيونى، أدت إلى تولد ظاهرة العـنف والعدوانية كخاصية من خصائص هذه الشخصية. ذلك لأنه من المعروف فى بحوث علـم الـنفس الاجتماعـى أن قلـة الـتفاعل بـين أعضـاء حضـارات أو قـوميات مختلفـة، يـؤدى إلى تكـوين أفكـار قومـية نمطـية National Stereotypes تتضـمن اتجاهات عدائية [١].

(٤) ازدراء العاطفة:

كانـت مـن السـمات الشخصـية التـى يتسـم بها اليهود الصهيونى، أنه نشأ على ازدراء العاطفـة واعتـبارها عرضاً من أعراض الضعف، ولذا فهو لا يبالى بأى مشاعر إنسانية [٢].

وعلى سبيل المثال، نجد " ايلانه " تخاطب " الكسندر " فى رواية (صندوق أسود) فى أحد خطاباتها منكرة حبه لها ولابنهما:

<< . . وكان الحب أيضـاً بمثابة مساهمة منى رفضتها. فهل حقاً أحببتنى ذات مرة ؟ أو حتى ابنك ؟ >> [٣].

وتقول له أيضاً معبرة عن استيائها من قساوة قلبه:

<< هـل نجحـت طـوال أيام حياتك فى أن تخلق، ولو ابتسامة واحدة، تعبر عن السعادة على وجه رجل أو امرأة ؟ أو أن تمسح دمعة من أية عين ؟ >>[٤].

(٥) الولاء الوطنى للدولة:

يتسـم اليهودى الصهيونى، بالإضافة إلى كل هذا، بالولاء الوطنى والخوف على مصالح وشئون الدولة. فتقول " حنة " فى رواية (عزيزى ميخائيل):

<< لقـد رفـض " ميخائيل " شراء حبة ملح واحدة من السوق السوداء. لقد ورث هذا عن والده " يحزقائيل "، ولاء بهيج وحماسى لقوانين دولته >>[٥].

وفى رواية(صندوق أسود) يرفض " بوعز " الهجرة من إسرائيل، لأن الدولة فى حاجة إلى قوى بشرية جديدة تستعين بها فى القضاء على مشاكلها:

---

(١) السـيد ياسـين: الشخصية العربية بين صورة الذات ومفهوم الآخر، مكتبة مدبولى، ١٩٩٣، (ص ١٧٥)

(٢) د. رشـاد عـبد الله الشـامى: الفلسـطينيون والإحساس الزائف بالذنب فى الأدب الإسرائيلى، مرجع سابق، (ص ١٤٩).

(٣)عاموس عوز: "قوفساه شحوراه" (صندوق أسود)، رواية، مرجع سابق، (ص١٠٩).

(٤)نفس المرجع (ص٤١).

(٥) عاموس عوز: "ميخائيل شلى" (عزيزى ميخائيل)، رواية، دار نشر عم عوفيد، تل أبيب، ١٩٧٣ (ص٤٧).

» خسارة لأنه هاجر من البلاد، فأنا ضد الهجرة طالما أن الدولة تعيش فى مشكلات. حتى ولو خطرت ببالى فكرة السفر، فسوف أسافر بعد أن تتخلص الدولة من مشكلاتها«(١).

وترى " شولاميت شميدط " الناقدة الإسرائيلية فى اليهودى الصهيونى أنه جمع كل صفات " اليهودى الصبار " قائلة: » إنه " الصبار " الثائر الذى يركل قيوده، ويطالب بصياغة حياته طبقاً لأسلوبه هو. فهو قريب من الأرض، ولذلك فهو يطالب بالعيش فى الحاضر والعزوف عن الماضى، ويكتفى بالعمل اليومى البدنى فى تمهيد الأرض، وبوجود الحب يمنح ملاذاً للحائرين مثله... وهو لا يريد أن يهبط إلى جذور الصراعات القومية، وإلى جذور الإحساس بالإحباط والفشل. وفى نهاية الأمر يبدو على " بوعز " الفضول والنزعة القومية... فهو يقول (ليس لى شأن إلا بنفسى وبالدولة.. فأكتفى بأنى صهيونى).« (٢)

(٦) العلمانية:

يعتبر البعد عن اليهودية والانجراف نحو العلمانية من السمات التى تميز بها اليهودى الصهيونى. فقد حاول التخلص من نير المثاليات والتقاليد الدينية القديمة. وعلى سبيل المثال، تقول " حنة " فى رواية (عزيزى ميخائيل) أن زوجها لم يراع فى أسلوبه اليومى محاكاة التقاليد الدينية:

» لم نعتد على إضاءة شموع السبت، لأن " ميخائيل " كان يرى أن ذلك هو نفاق من جانب الناس الذين لم يختاروا مبادئ الدين..« (٣).

وقد كانت النتيجة الطبيعية لهذه السمة، أن الصهيونية وجدت فرصتها للنمو على أثر فقدان الدين اليهودى لطاقته. وقد عبرت انتاجات الأدب الصهيونى عن هذا الاتجاه، وطرحت قضايا مازالت تجعل من هذه الإنتاجات الأدبية إنتاجات معاصرة. ومن بين هذه المسائل مسألة من هو اليهودى المعاصر؟ أو بصورة أخرى، ما هى علاقة اليهودى المعاصر أو الصهيونى بالتراث الروحى لليهودية التقليدية (٤).

وهكذا، نظر الإنسان العبرى الجديد إلى التقاليد اليهودية على أنها قيود تكبله، وتحول دون انفتاحه نحو العلمانية التى رأى فيها أنها تواكب المرحلة الجديدة التى وضع فيها،

---

(١) عاموس عوز: "قوفساه شحوراه" (صندوق أسود)، رواية، مرجع سابق، (ص١٢٧).

(٢) شولاميت شميدت: "تيشع باسفروت، عيونيم بتشع يتسيروت باسيبورت هاعفريت هاحداشاه" (تسع فى الأدب، دراسة لتسعة أعمال فى الأدب القصصى الإسرائيلى)، مرجع سابق، (ص٣٣).

(٣) عاموس عوز: "ميخائيل شلى" (عزيزى ميخائيل)، رواية، مرجع سابق، (ص١١٦).

(٤) د. رشاد عبد الله الشامى: الشخصية اليهودية الإسرائيلية والروح العدوانية، مرجع سابق، (ص ٤٩).

وتـتطلب مـنه سمــات جديـدة، ولابـد وأن يتسم بها حتى يبعد تماماً عن الإنسان اليهودى القـديم بكـل مساوئه، ويصبح الإنسان العبرى الجديد. فقطع روابطه مع الماضى، ونظر إلى نفسه على أنه النقيض المطلق لآبائه ـ الآخر (اليهودى الجيتوى) ـ الذين عجزوا عن تحقيق ما يفعله هو الآن.

(٧) الثقافة والتعليم:

يتسـم اليهودى الصهيونى أيضاً، بالثقافة والتعليم وحب العمل بلا حدود. وقد ركزت الصـهيونية علـى هاتين السمتين، لأن المرحلة التى خلق فيها الإنسان العبرى الجديد، كانت تـتطلب شخصية تفنى نفسها فى العمل، لأنها مرحلة تمهيد الأرض وإعدادها، وخلق كيان يهـودى جديـد. وبالـتالى فـإن كـل هـذا كـان يـتطلب أيضاً أن تكون هناك شخصية مثقفة لـتوظف علمهـا وثقافتها فى خدمة الوطن الجديد، وأن تكون هناك شخصية متعلمة تعرف اللغات، وتواكب العصر والتطور والتحديث.

ويـبدو ذلك الأمر فى شخصية " ميخائيل " بطل رواية (عزيزى ميخائيل) فهو شخصية صهيونية إسرائيلية، كان يعمل عالماً فى الآثار، وكان شغله الشاغل هو البحث والتنقيب. وكان عمله فى الجامعة أهم بكثير من زوجته وابنه مما أثر بالسلب على حياتهم الأسرية:

<< كـنت أمـل الأسـرة ومازلـت حتى الآن أملها... وكما لو كان التعليم الجامعى هو مضمار المتسابقين >>(١).

وفـى محـاولـة للتأكـيد علـى أن الـيهودى الصـهيونى يتمـتع بالقـدر الكـبير مـن الثقافة والتنويـر، ويسـاعد فـى القضـاء علـى الـتخلف والجهل، يقول عوز على لسان القاص فى قصته الصغيرة (ذات صباح صيفى فى القرية):

<< ومازلـت أخـرج كل يوم عند المساء لرش مياه المستنقع بالمواد المعقمة، ولأوزع على السـكان المشـتبه فـى مرضـهم حامض الكاربول ومراهم للجلد، وألقى عليهم التعليمـات الصحيــة الأولية، وأعطى لهم مادة الـ DDT وماء الكلور >>(٢).

ويقـول القـاص أيضـاً فـى هـذه القصـة فـى إشارة إلى وجود الفئات الصهيونية المختلفة المتعلمة والمثقفة:

<< إننى فى آن واحد، الصيدلى والمعلم والمحامى والوسيط، ومهدئ المشاجرات >>(٣).

---

(١)عاموس عوز: "ميخائيل شلى" (عزيزى ميخائيل)، رواية، مرجع سابق، (ص٢٢).

(٢)عاموس عوز: "بوكير ايحاد باقيتس بكفار،سيبوريم" (ذات صباح صيفى فى قرية، مجموعة قصصية)، مجلة عيتون شفعيم فاشيفع، القدس، ١٩٨٤، (ص٢٤٨).

(٣)نفس المرجع (ص٢٤٨).

وفـى نفـس القصـة ، يقول القاص أيضاً كما لو أنها محاولة لعقد مقابلة بين ثقافة وتنوير الشخصيات الصهيونية ، وجهل وتخلف القرية العربية :

>> . . وجـــاء مع الحـاكم الضبـاط ، والليبراليون ، ورجال المساحة ، ورجال الدين ، ورجل القانون ، ومطرب ، ومؤرخ رسمى ، وممثلو أجهزة الخدمات السرية << (١) .

وهكـذا ، تسبغ علـى صورة " النمط اليهودى الجديد " أرقى الدرجات العلمية ، وقدر كـبير مـن الـثقافة والتعليـم والتنويـر ومعـرفة اللغـات ، وهو أمر كانوا يفتقدونه فى الآخر (اليهودى الجيتوى القديم) :

>> . . كانت على شفتيها دائماً أبياتٍ من الشعر لشعراء معاصرين ومحببين بالنسبة لها ، وأيضاً قصائد خاصة بها << (٢) .

ويطالعـنا القـاص فـى قصـة (ديـر الصـامتين) قـائلاً عـن " روزنتال " أحد أبطال هذه القصة :

>> كـان يكثـر مـن استخدام بعض اللغة الإنجليزية والتعبيرات الأمريكية ، حتى يجذبها إليه << (٣) .

(٨) التضحية بالذات، وروح الجماعة :

كانـت التضحية بالنفس والعمل من أجل الآخرين تحت شعار " روح الجماعة " وإنكار " الـذات " من أجل الآخر ، سمة جديدة من السمات الشخصية لليهودى الصهيونى والتى أسبغت عليه من قبل الأيديولوجية الصهيونية ، فظهر اليهودى الصهيونى وهو يهتم بمشاكل المجـتمع ، ويـبذل قصارى جهده من أجل حلها ، ويساعد الآخرين ، ويهتم بالجيل القادم ، ويفكر للمجتمع وللأخرين ويضحى بنفسه من أجل كل هذا :

>> أنت مقدسة يا ابنتى ، فأنت تختارين التضحية بالنفـــس من أجل إناس لا يحبونك ، أنت مقدسةَ للغاية <<(٤).

وهـو يتسـم بالشهامة والموافقة على مساعدة الآخرين ، دون معرفتهم ، ودون معرفة نوع هذه المساعدة :

>> جـاءت إلى حجرتـى واسـتنجدت بـى أن أذهب بسرعة إلى المكان ، لكى أوقف هذه الفضيحة التى تحدث هناك . ولم أسألها من ؟ وماذا حدث ؟ بل أسرعت وراءها << (٥) .

---

(١)عاموس عوز: "بوكير ايحاد باقيتس بكفار،سيبوريم" (ذات صباح صيفى فى قرية، مجموعة قصصية)،مرجع سابق، (ص٢٤٨).

(٢)عاموس عوز: "أرتسوت هاتين"(بلاد بنات آوى)، مجموعة قصصية، مرجع سابق، (ص٣٢).

(٣)نفس المرجع (ص٨٩).

(٤)عاموس عوز: "ماقوم أحير" (مكان آخر)، رواية،مرجع سابق، (ص٣٦٥).

(٥)عاموس عوز: "أرتسوت هاتين"(بلاد بنات آوى)، مجموعة قصصية، مرجع سابق، (ص٤٧).

وهـو شخصـية لا تفكـر فـى نفسـها فحسـب، بل تفكر وتشغلها أمور الآخرين دائماً، فيقول القاص فى قصة (دير الصامتين) عن " شمشون " :

<< كالعـادة دائمـاً، أخذ يفكر فى أمور الرجال والنساء، وليس فى المخلوقات الأخرى التى امتلأت بهم هذه الليلة >> [1].

والـيهودى الصـهيونى ـ كمـا صـوره عـوز ـ يهتم بأمور الجيل القادم، ولا يفكر للغد أو اليوم فحسب. فيقول القاص فى قصة (اتجاه الريح):

<< عـندما بلـغ " شمشون شنبوئيم " من العمر ٥٦ عاماً، قرر أنه من واجبه إنجاب ولى عهد يحمل طابعه واسمه للجيل القادم >>[2].

ويغـرس الفكر الصهيونى فى هذه الشخصية الجديدة " روح الجماعة "، ووحدة المصير المشترك:

<< إنـنا جميعاً أسرة واحدة... لأن العلاقات بيننا تظهر عندما... وهى علاقات قوية أقوى من روابط الدم، لأنه تربطنا علاقات مصيرية >> [3].

ويمكـن القـول، أن الأسـاس الاجتماعـى والشخصـى، والتضـحية بالـذات، هو الخط الأساسـى الأول فى شخصية اليهودى الصهيونى (هيحالوتس [*]). إن " هيحالوتس " هو شـخص علـى اسـتعداد لأن يكتفـى بالقلـيل، وعلـى استعداد لحياة التقشف. وتنازله ليس لمجـرد التنازل، بل من أجل تحقيق مهمة هامة للمجموع، وعلى الأخص بالنسبة للمجموع الآتـى فى المستقبل ذلك المجموع الذى سيهاجر وينمو من بين نويـات الجماعات الطليعية. ومـن هـنا عـدم اهـتمام " هـيحالوتس " بالمكافآت الفورية للموقف، وبالأجر، وبوسائل الـراحة الماديـة، لأن مكافآتـه هى الرضا الذى يشعر به عندما ينفذ مهمة ذات أهمية مصيرية من أجل مستقبل المجموع [4].

وهكـذا، جـاءت السـمات الشخصية لليهودى الصهيونى كما بلورها الفكر الصهيونى لـتكون هـى الصـورة الوطنـية البطولـية للـنمط الصـهيونى الجديد. لقد كان من الضرورى

---

(١) عاموس عوز: "أرتسوت هاتين" (بلاد بنات آوى)، مجموعة قصصية، مرجع سابق، (ص٨٩).

(٢) نفس المرجع (ص٤٧).

(٣) عاموس عوز: "ماقوم أحير" (مكان آخر)، رواية، مرجع سابق، (ص٣٤٢).

(*) هيحالوتس: (الرائد – الطليعى)، وتعنى ذلك الجزء من الجيش الذى يسير فى المقدمة، وتعنى فى المجال الاستعارى أول من يقوم بالاحتلال أو من يشق الطريق أمام من يأتون بعده وهو اصطلاح أطلق على المجموعة اليهودية التى هاجرت إلى فلسطين من أجل تحقيق الحلم الصهيونى عن طريق العمل اليدوى الشاق. ويشيع استخدام هـذا الاصطلاح فى المصادر العربية بكلمة (رائد – طليعى) والإشارة إلى " دور الحالوتسيـم " على أنه " جيل الرواد.

(٤) د. رشاد عبد الله الشامى: الشخصية اليهودية الإسرائيلية والروح العدوانية، مرجع سابق، (ص٧٣)

حـدوث انفصـال مطلق عن الإطار اليهودى القديم . . ورأى الصهاينة أن هناك حاجة لخلق وعـى جديـد، وعـى خـاص بالإنسـان الـذى ينتمى إلى أمة إقليمية، وليس بالإنسان الذى ينتمـى إلى طائفـة مـنغلقة. وكـان مـن الصعوبة بمكان، أو ربما كان من المستحيل خلق هذا الوعـى دون خلـق نمـوذج مـثالى يـرغبون فـى محاكاتـه من أجل التخلص من الوضع السابق والمرفوض. أى أنـه كـان مـن الضـرورى إيجاد أسطورة قـومية جديدة، مع إيجاد صورة جديـدة للإنسـان تجئ على عكس النموذج القديم المعروف. وبطبيعة الحال، فإن التخلص من القديم، كان يجعلهم يحاولون التمسك بما هو على النقيض [(١)].

الأنا الممثلة لـ " اليهودى الإسرائيلى ":

قـبل أن نحـاول تـبين معـالم وملامـح الأنا الممثلة لـ " اليهودى الإسرائيلى " ، لابد وأن نشـير إلى أن تعـدد الأصـول الحضارية للمجتمع الإسرائيلى هو من أكثر العوامل تأثيراً على تكوين هذه " الأنا " ، وذلك لأن تعدد الأصول والمجتمعات لايمكن، بالطبع، أن يؤدى إلى خلق شخصية سوية بل يخلق شخصية بلا هوية تكثر بها التخبطات والتناقضات .

إن وحـدة العامـل الجغرافـى واللغـوى وحتـى الدينـى بالنسبة لظروف تكوين المجتمع الإسـرائيلى، لا يمكن أن تؤدى إلى أى تشابه فى التكوين السيكولوجى لشخصية " اليهودى الإسرائيلى " [(٢)].

لقـد أصـبحا التعـبيرين : " جالــوت " (المنفــى وفـق التصـور الصـهيونى)، و" إسـرائيلي " بمـثابة نقيضـين ميـزا طـريقة الـتفكير فى المجتمع الإسرائيليى، حيث أصبح الإسـرائيلى يرمـز للجديـد المـتألق صحة والمنتصب القامة، بينما يرمز " الجالوتى " للقديم محنى الظهر [(٣)].

غـير أنـنا وقـبل أن نتطـرق إلى السـمات الأسـاسـية والملامـح الخاصـة بالأنا الممثلة لـ " الـيهودى الإسـرائيلى " ، لابـد وأن نشـير إلى أن هـناك خطـوطاً فاصلة ودقيقة تفصل بين السـمات التـى يتميـز بهـا الـيهودى الإسـرائيلى، وبـين السـمات التـى يتميـز بها اليهودى الصـهيونى. وبمعنـى آخـر، قـد تكون هناك ملامح مشتركة أو متشابهة بينهما، ولكن هذا لايمنع أن هناك " شخصية يهودية صهيونية " تختلف تماماً عن " الشخصية الإسرائيلية " .

ويمكـن القـول أن السـؤال المطروح حول هوية " اليهودى الإسرائيلي " ، يعتبر من أعقد الأسـئلة التـى تـواجه مـن يتصدى لدراسة الشخصية اليهودية الإسرائيلية. ولكننا إذا طبقنا

(١)د. رشاد عبد الله الشامى: إشكالية الهوية فى إسرائيل، سلسلة عالم المعرفة، إصدار المجلس الوطنى للثقافة والفنون والآداب، الكويت، أغسطس ١٩٩٧، العدد ٢٢٤، (ص ٦٣).

(٢) د. رشاد عبد الله الشامى: الشخصية اليهودية الإسرائيلية والروح العدوانية، مرجع سابق،(ص٩٣)

(٣) د. رشاد عبد الله الشامى: عجز النصر، الأدب الإسرائيلي وحرب ١٩٦٧، مرجع سابق، (ص ٢٣)

قوانين الجنسية المتبعة فى العالم، فإن " الإسرائيلي " ، وفقاً لهذه القوانين، يكون هو الشخص الذى يحمل بطاقة هوية إسرائيلية بما ينطوى عليه هذا الأمر من حقوق وواجبات تربط الإسرائيلي بسائر الإسرائيليين بنظام الدولة التى يعيش فيها. وهنا يكمن الفارق بين تعريف اليهودى الذى يرتبط بالإيمان الدينى من ناحية، والحياة داخل إطار " الجيتو " من ناحية أخرى، وتعريف " الصهيونى " الذى يؤمن بحق اليهود فى إقامة دولة يهودية فى فلسطين ويعمل من أجل تحقيقه، وتعريف " الإسرائيلي " الذى يرتبط باطار إقليمى للوجود اليهودى محدد ببلد، ولغة، وإطار اجتماعى مستقل [١]. وهكذا، تتداخل هويات عديدة يمكن أن تنصب داخل هوية واحدة، هو الهوية الإسرائيلية، غير أنها هى الأخرى غير واضحة المعالم.

وعن السمات الشخصية لليهودى الإسرائيلى، يقول الدكتور قدرى حفنى فى معرض دراسته لها: << إنه يشعر كما لو كان محاطاً بتهديد مستمر بالإفناء. وتبدو واضحة لدية خواص الخشونة، والواقعية، والتصميم، والنشاط، والاعتماد على النفس، والثقة المطلقة فى قدرته على الدفاع عن حقوقه. وإنه يرفض العاطفية والنعومة.. إنه لا يهتم كثيراً بما إذا كان الآخرون يحبونه، ولا يعنيه تصورهم له.. إنه يرى كل شئ بوضوح قاطع: أبيض وأسود، وهو فيما يتعلق بهذا الوضوح القاطع يبز أباه.. إنه لا يؤمن بالمناقشات، فالعالم لديه لن تنقذه المناقشات، بل أن الكلمة الأخيرة للقوة والسيطرة>> [٢]

لقد نفذ إلى لب مكونات اليهودى الإسرائيلي والتى تكمن فى الحقيقة السيكولوجية، حقيقة أن أولئك الذين سبق أن عوملوا باستخفاف من الآخرين يفقدون الثقة فى أنفسهم عن طريق الإدراك اللاشعورى. إنهم قد يحاولون إخفاء هواجسهم الداخلية عن الأشخاص الآخرين باتخاذ الغطرسة، إلا أن افتقارهم الخفى للثقة فى أنفسهم يظل قائماً [٣]. كما أن العناد، والإسراع إلى الارتداد عن طريق الخير من السمات المميزة أيضاً لشخصية اليهودى الإسرائيلي [٤].

أما شخصية جيل " الصابرا " المولودين فى الكيبوتسات، فقد أظهرت دراسات " ميلفورد " و " برونوبتلهايم " أن سماته الرئيسية الخمس هى: العدوان، والإنطوائية، والبرود الإنفعالى (الفتور العاطفى)، والحقد، والشعور بالدونية [٥]. ويمكن أن يبدو الإسرائيلى كذلك فى أول لقاء به، أنه ليس فقط صريحاً، وإنما فظ أو حتى غير مهذب. والحقيقة أن كثيراً من الإسرائيلين لا يعرفون أشكال الأدب الخطابى [٦].

---

(١) د. رشاد عبد الله الشامى: الشخصية اليهودية الإسرائيلية والروح العدوانية، مرجع سابق، (ص٩٢)

(٢) د. قدرى حفنى: دراسة فى الشخصية الإسرائيلية، مرجع سابق، (ص ٢٥٩).

(٣)د. رشاد عبد الله الشامى: الشخصية اليهودية الإسرائيلية والروح العدوانية، مرجع سابق (ص ١٤١)

(٤) د. حسن ظاظا: الشخصية الإسرائيلية، دار القلم، دمشق، ١٩٩٠، ط ٢، (ص ١٠٤).

(٥) أحمد محمد رمضان: إسرائيل ومصير الإنسان المعاصر، مرجع سابق، (ص ٢٥).

(٦) جون لافين: العقلية الإسرائيلية، مرجع سابق، (ص ١٨٨).

وتكـاد تـتفق ملامـح وسمـات الأنـا المـثلة لـ " اليهودى الإسرائيلى " فى بعضها مع ملامـح وسمـات الأنـا المـثلة لـ " الـيهودى الصـهيونى " ، إلا أنـنا سـنجد أن الـيهودى الإسـرائيلى يختلف عن اليهودى الصهيونى فى أنه وجد نفسه فى مفترق طرق، وراح يتخبط بـين قـيم الأيديولوجـية الصـهيونية التـى غرست فيه منذ الصغر، وبين رغبته فى نقد ذاته، ومحاولـة اتخـاذ موقـع له على خريطة الحياة الإنسانية. وبدلاً من (الأنا تنسحب أمام النحن) أصبحـت هـناك مركـزية (الأنـا)، والـبحث عـن الذات، وأصبح الفرد الإسرائيلى أسير الصـراعات الداخلية، والتوترات التى تجابه المجتمع. وقد نشأ ذلك نتيجة اصطدامه بالواقع الحقيقـى وزيـف الادعـاءات والأحـلام الصـهيونية التى نشأ فى أحضانها، وكانت سبباً فى عيش الفرد الإسرائيلى حالة من عدم الإتزان، والشكوكية، والتوتر النفسى.

لقـد أصبح الأدب الإسرائيلى فى أفضل صورة يعبر عن توترات المجتمع، والصراعات الداخلـية التـى يعانى منها الفرد الإسرائيلى. فالشك المريع، والسخرية، والشعور بالمرارة، والاغـتراب، وحلول الفردية محل الجماعية كلها سمات أخذ تهيمن على الواقع الإسرائيلى ووجدت طريقها إلى الأدب الإسرائيلى [١].

كمـا أدت كـل هـذه التوتـرات التـى اجـتاحت المجـتمع الإسـرائيلى إلى معايشـة الفـرد الإسـرائيلى لشـبح الانهـيار. وشـعوره بعدم الأمان أدى إلى سخطه على نظم الدولة وعلى الدولـة نفسـها ـ كمـا سـنرى فـيما بعد ـ وأدت كذلك إلى تفكيره فى السلام والقلق بشأنه، وهـو مـا يـؤكد علـيه " جـون لافـين " قـائلاً: << تم توجـيه أسـئلة لعـدة آلاف من عامة الشـعب، لـيقولوا: أى سمـة مـن السـمات المخـتلفة للشـعب الإسرائيلى، تعتبر من وجة نظـرهم مـن أكثر الخصائص المميزة لهذا الشعب، فجاء على رأس هذه القائمة (القلق بشأن السلام بين الشعوب). >> [٢]

الأنا الممثلة لـ " اليهودى الإسرائيلى " فى أعمال عوز الأدبية:

كانـت قيم الصهيونية وتحقيقها عند أدباء الهجرة الثانية أهم بكثير من الإنسان، فحاولوا تصـوير الشخصـية اليهودية الصهيونية على أنها حققت كل هذه القيم بالكامل، وهو الأمر الـذى كشف فيما بعد، عن تناقض بين المطالب الطبيعية للهجرة الصهيونية والواقع النفسى لهؤلاء المهاجرين الصهاينة، الذين لم يكونوا قد تكيفوا بعد مع هذا الواقع [٣].

(١) د. رشاد عبد الله الشامى: عجز النصر، الأدب الإسرائيلى وحرب ١٩٦٧، مرجع سابق، (ص ١١)

(٢) جون لافين: العقلية الإسرائيلية، مرجع سابق، (ص ١٨٥).

(٣) د. رشـاد عـبد الله الشـامى: خطـوط عريضـة لاتجاهـات الأدب العبرى المعاصر فى إسرائيل، مجلة إبداع، يناير ١٩٩٥، العدد الأول، (ص ٢٠).

وقـد ظهـر ذلـك الوضـع النفسـى الجديـد فى أعمال عوز الأدبية، وقام الكثير من النقاد بإثبات وجـود الـبعد السـيكولوجى فـى قصـص عـوز، بمفهـوم مـا هو مسموح بذلك فى الواقعـية الأوربـية. وقد حاولوا إيجاد علاقة سببية سيكولوجية بين أحداث قصصه ورواياته وبـين وضـع مـبررات لأعمـال شخصيات مـثل: "زكريا" و "نحميا" و "نوجا" فى روايته (مكان آخر)، و" متتياهـو دمقـوف" و "جيئـولا" و "شمشـون" و "داف سيـرقين" و" باتياهوبينسـكى" و "ليلى ديننبرج" فى قصته (بلاد ابن آوى). وقد أرجعوا كل هذا لأسباب سيكولوجية [١].

ومـن هـنـا فإنـنا سـوف نكتشـف أن ملامـح أو سمـات الأنـا المـثلة لــ "الـيهودى الإسرائيلي"، ذات البعد الاشكنازى، كما تجلت فى أعمال عوز الأدبية قد ترتبت معظمها علـى أسباب سيكـولوجية، ما بين المعاناه النفسية والشعور بالقلق الوجودى، والانطوائية، والتشـاؤم، والشـكوكية، والقسـوة، وبـين الـتأرجح بين الرغبة فى السلام والخوف منه.. وسـوف نكشـف عند تعرضنا لكل حالة من هذه الحالات عن الدوافع والظروف الموضوعية والسيكولوجيـة التى أدت إلى بروز ووضوح هذه السمات دون غيرها بالتحديد. وبناء على ذلـك، فقـد ظهـرت سمـات "الـيهودى الإسـرائيلي" فى أعمال عوز الأدبية من خلال الأبعاد التالية:

(١) المعاناة النفسية والشعور بالقلق الوجودى:

جـاءت هـذه السـمة نتيجة للوضـع الجديد الذى وجدالفرد الإسرائيلى نفسه فيه، وعبر عـوز عـن تلـك المعانـاه النفسـية فـى قصـته (الـبدو الـرُحّل والأفعـى) مـن خلال شخصية "جيئولا"، والتى يرمز اسمها إلى "الخلاص"، فهى شخصية تتمتع بصفات حسنه وتقوم بواجبها على أكمل وجه:

<< لم يكـن هـناك أحـد فـى "الكيـبوتس" ينكـر مميزاتها الحسنة، مثل الإخلاص فى العمـل حـيث تـبذل قصـارى جهـدها فـى حـل المشـاكل الاجتماعـية، وفى أعمـال الثقافة المحلية>> [٢].

وعلى الرغم من كل هذه المميزات التى تتمتع بها "جيئولا" بين أقرانها، إلا أنها تعيش القلـق الوجـودى، وتعبر عن رفضها لكل هذه القيم الصهيونية من خلال معاناة نفسية تجيء فى صورة أعمال غريبة ومكبوتة فى داخلها، مثل محاولاتها المستميتة لتفجير الزجاجة:

(١) جرشـون شاكيد: "جل حاداش باسييورت هاعفريت" (موجة جديدة فى الأدب القصصى العبرى)، دار نشر هاكيبوتس هاأرتسى، تل أبيب، ١٩٧١، (ص١٨٣).

(٢) عاموس عوز: "أرتسوت هاتين" (بلاد بنات آوى)، مجموعة قصصية، مرجع سابق، (ص٣٢).

<< رأت " جيئولا " بجوار شجرة الأزدارخت زجاجة ملوثة. . . فركلتها مرة تلو الأخرى، ولكن الزجاجة لم تنفجر، بل تدحرجت فى بطء بين أشجار الورد. وعندئذ، أمسكت "جيئولا " بحجر كبير وحاولت رميه على الزجاجة، حيث كان لديها رغبة كبيرة فى تفجيرها، ولكن الحجر أخطأ الهدف. بعدها بدأت الفتاة فى إصدار نغمة مبهمة. . . >>(١)

وهكذا، نلاحظ أن " جيئولا " على الرغم من إخلاصها ومجهوداتها الكبيرة فى حل مشاكل " الكيبوتس " ، إلا أن داخلها رغبات مكبوتة تعبر عنها فى ركلها للزجاجة بالحجر عدة مرات، ولكنها لم تحظ بما تريد ولم تنفجر الزجاجة، ولم تحظ كذلك بالخلاص الذى تريده. وقد يكون عوز آثر أن يطلق عليها " جيئولا " (الخلاص) رغبة منه فى التعبير عما تشعر به فى " الكيبوتس " من روح جماعية تندثر بين طياتها الذات الفردية، ومتطلباتها فى حق الحياة الخاصة دون قيود تكبلها. وقد يكون هذا تعبيراً عن ملل هذه الشخصية من الواقع التى تعيشه فى " الكيبوتس " ، وعدم قدرتها على التنفيس عما يجيش فى صدرها تجاه الواقع القيمى والاجتماعى فى الكيبوتس، ولذلك فإنها تنفس عن ذاتها فى صورة محاولات عديدة لتفجير الزجاجة. لعل هذا التفجير لهذا الشئ المادى يخفف عنها عبء الواقع الذى تعيشه، ولكنها غالباً ما تلقى فشلاً كبيراً لمحاولاتها.

غير أنها ظلت فى حاجة إلى التعبير عن سخطها على المجتمع، والواقع التى تعيش فيه، من خلال أعمال غريبة تعبر أبلغ تعبير عن تلك المعاناه النفسية التى تعيش فيها، وعن ذلك القلق الوجودى من جدوى الحياة والقيم التى تتلقاها، ولكنها فى النهاية لا تحظى بالخلاص:

<< . . ومن فرط حقدها صوبت " جيئولا " حجراً ثانياً تجاه تلك الزجاجة، وفى هذه المرة لم تخطئ الهدف، ولكنها لم تحظ بسماع صوت الانفجار التى تشتاق إلى سماعه. . . لكنها أتت بحجر ثالث أكبر وأثقل من سابقيه، وألقت به وهى على مقربة من الهدف بشكل يدعو للسخرية، وداست الفتاة على الحوض الزراعى الرخو ووقفت فوق الزجاجة تماماً. وكان الانفجار هذه المرة مكتوماً مدوياً، ولم يكن مصحوباً بأى تخلص من العقدة النفسية أو الراحة >> (٢).

إلا أنها مازالت تعيش هذه المعاناه النفسية التى تبرز فى تلك الأعمال الغريبة، والتى تعبر عن الواقع النفسى المؤلم الذى اصطدم به الفرد الإسرائيلى، وحاول الفكاك منه دون جدوى:

---

(١)عاموس عوز: "أرتسوت هاتين"(بلاد بنات آوى)، مجموعة قصصية، مرجع سابق ،(ص٣١).

(٢)نفس المرجع، (ص٣٣).

<< بعـد ذلك . . . أمسكت بجذع يابس ، وأخذت ترسم صوراً على التراب ، وخطوطاً ، والتواءات ، وزوايا حاده بلا معنى >>[1] .

كمـا أنـنا نجد " هليل " الابن فى قصة (جبل المكبر) يتمرد على الواقع من حوله محاولاً الخـلاص منه ، ويبدى اعتراضه على الأم والأب والعم " ميتيا " وكل اليهود . ويعبر عن ذلك بالاختفاء بين أغصان شجرة التين ، ويحاول الجميع مناشدته بأن ينزل من فوق الشجرة دون جدوى . لقد اقتنع تماماً بسلامة موقفه ، وقرر التمرد والتخلص من الواقع :

<< حـاول أبـى بكـل قوته متوسلاً : إنزل يا " هليل " . أرجوك ، من فضلك ، إنزل يا بنى . سوف تعود أمك مرة أخرى ، والكل سيكـون كما كان من ذى قبل >> [2] .

وتقـول " نـوريت جريتس " : << إن الفرق بين هذه القصة وقصص عوز الأخرى ، أن الـبطل هـنا لـيس ضحية البشر الذين يقمعون تطلعاته ، وغرائزه ، وأحلامه . ولكنه بصفـة خاصـة ، هو ضحية نفسه والواقع الخارجى ، وضحية نقص الإمكانيات للعيش فى عالم " سام " أو فى عالم " صغير " يحقق الأحلام . >> [3]

وهكذا ، نجد أن عوز يكشف صراعات النفسية الإسرائيلية التى عانت من حقيقة الإطار التـى وضعت فيه ، والذى لم يراع الحد الأدنى للذات الإسرائيلية ، وفور الاصطدام بالواقع المرير تحاول " الأنا " الإسرائيلية أو الذات تحطيم هذا " الإطار " ، إلا أنها سرعان ما تعود إليه كأمر واقع لا مناص منه .

(٢) الانطوائية :

يؤكد عـوز فى قصصه ، على أن الإنســان الذى يتعلق بالمثالية فى المجتمع الإسرائيلى ، فـإن هـذه المثالـية تسـحقه تماماً عـندما يواجه الواقع بمرارته . وحين يفشل هذا الإنسان فى التسـامى روحـياً مـع هـذا الواقـع ، فإنه يتحول إلى ذاته الداخلية ، فيرى فيها الشئ الوحيد الجديـر بـالإدراك ، ويشـعر بالـرفض المتبادل بينه وبين مجتمعه . وينتهى الأمر بإدراكه بعدم الوجود فى هذا المجتمع ، فيبدأ رحلة البحث عن البديل [4] .

لقـد نشـأ الفرد الإسرائيلى مرتبطاً بروح الجماعة فى " الكيبوتس " ، ومع اشتداد المحن والمشـاكل التـى جابهـته بـدأ يـميل إلى العزلة ، وهى السمة التى تضرب بجذورها فى أعماق النفس اليهودية فى الشتات اليهودى ، حتى أصبحت بالنسبة لهم حقيقة نفسية يلجأون إليها كملاذ يهرعون إليه ويحتمون به .

---

(١)عاموس عوز: "أرتسوت هاتين"(بلاد بنات آوى) ، مجموعة قصصية ، مرجع سابق (ص٣٤).

(٢)عامـوس عـوز: "هـار هاعيتساه هاراعاه، شلوشاه سيبوريم " (جبل المكبر، ثلاث قصص) ، دار نشر عم عوفيد ، تل أبيب ، ١٩٧٩ ، (ص٥٢).

(٣)نوريت جيريتس: "عاموس عوز، مونوجرافية" (السيرة الذاتية لعاموس عوز) ، مرجع سابق ، (ص١٧٠).

(٤)د. زيـن العابـدين محمود أبو خضره: جيل يبحث عن هوية ، دراسة فى قصة جبل المكبر للكاتب الإسرائيلى عاموس عوز ، كلية الآداب جامعة القاهرة ، ١٩٩٠ ، (ص ٣٥).

إن " جيئولا " فى قصة (البدو الرُحّل والأفعى)، على الرغم من أنها فتاة " كيبوتسية " تربت على روح الجماعة وعلى التفكير الجماعى، إلا أنها كانت تميل إلى الإنطوائية والعزلة:

<< لقد اعتادت " جيئولا " فى مثل هذه الأيام أن تخرج قبيل المساء إلى البساتين بمفردها، وكانت تذهب وتعود بمفردها >>[١].

وعاش " فيما " بطل رواية)الحالة الثالثة) طوال حياته بمفرده، وفى عزلة عن البشر حائراً ومنطوياً يفكر فى الواقع الذى يحيط به:

<< كان يبلغ من العمر ٥٤ عاماً، وخلال سنوات عزلته كان معتاداً على التحدث، أحياناً، إلى نفسه >>[٢].

(٣) التشــاؤم:

تتسم الأنا الممثلة لـ " اليهودى الإسرائيلى " بصفة التشاؤم، فهى تنظر للحياة نظرة تشاؤمية معتمة، وترى أن الحياة تسير بلا هدف، وأن الإنسان مخلوق غريب وجد فى عالم لا معنى لوجوده، أو ربما لا يعرف مغزى العيش فيه.

إن " فيما " بطل رواية)الحالة الثالثة) شخصية إسرائيلية تنظر إلى الواقع من حولها بنظرة تشاؤمية كلها تساؤلات حول الهدف من الحياة، وما هو المغزى منها. وتبقى الصهيونية دائماً سبباً فيما يعترى النفسية الإسرائيلية من تساؤلات، وذلك بعدما أصبح الحلم المزين واقع مرير اصطدم به الفرد الإسرائيلى، فأصبح كابوساً ينطوى على كثير من التساؤلات حول هدف الحياة ومعناها:

<< .. فى النهاية نجح فى النهوض، ووقف مشتتاً بماء المطر كإنسان لا يعرف من أين جاء، وما هى وجهته >>[٣].

و " فيما " شخصية تعبأ بما حولها ولا ترضى به، وترى الإنسان يسير بلا هدف:

<< .. إن الإنسان يا عزيزى " بردوكس " مخلوق غريب، فريد فى غرابته، يضحك حين ينبغى أن يبكى، ويبكى حين ينبغى أن يضحك. يعيش بدون عقل، ويموت دون رغبة منه فى ذلك >>[٤].

وهو يرى أن الأيام تمضى دون معنى أو هدف:

<< ... سلم، فجأة، بكلام الرجل المسن، ليس حول مسألة هوية الهنود بل حول الأيام التى تمضى بهم دون بهجة، ودون غاية >>[٥].

---

(١)عاموس عوز: "أرتسوت هاتين"(بلاد بنات آوى)، مجموعة قصصية، مرجع سابق، (ص٣٣).

(٢) عاموس عوز: " هامتساف هاشليشى " (الحالة الثالثة)،رواية، دار نشر كيتر، القدس، ١٩٩١ (ص١١).

(٣) نفس المرجع، (ص١١).

(٤) نفس المرجع (ص٦٣).

(٥) نفس المرجع (ص٧٣).

وعلى مدار الرواية يظل " فيما " يفكر فى مغزى الحياة وهدفها، وينظر إليها نظرة تشاؤمية :

<< . . وفى الحقيقة، كان السؤال الحقيقى هو : ما هو مردود الثمن، أى ما هو معنى الحياة، وما هى غايتها>> (١) .

حتى أنه لا يرى أهمية لأى شئ. أين يسير ؟ أو يذهب ؟ ويستقل أتوبيساً دون أن يعرف وجهته :

<< . . وبعد مرور لحظات معدودة، استقل " فيما " أول أتوبيس توقف أمامه فى المحطة، دون أن يبذل جهداً فى التأكد من رقم الخط أو اتجاه الرحلة>>(٢) .

(٤) الشكوكية وعدم الإتزان النفسى (التوتر) :

نفذت إلى لب النفسية الإسرائيلية حالة من التوتر والشكوكية، وصارت " الأنا " اليهودية الإسرائيلية نتيجة لهذا " أنا " متشككة فيما حولها، الأمر الذى أصابها بالتوتر وعدم الثقة. ويرجع ذلك إلى أن هذه الشخصية كانت تعتبر عنصراً متلقياً، ولم تعط لها فرصة الانفراد بالذات، حتى شبت عن الطوق فوجدت نفسها أسيره لتساؤلات عديدة أرهقتها، وجعلتها تعيش حالة من عدم الاتزان.

وتلك السمة يعانى منها " فيما " أيضاً فى رواية (الوضع الثالث) :

<< ... لكنه هيئ له مرة أخرى، أن هناك إنساناً أعمى يتجول فى الخارج بالزقاق الخالى، ويتحسس بعصاه الطريق والأسوار الحجرية>> (٣) .

ويصل الأمر بـ " فيما " إلى إصابته بحالة من النسيان الدائم حتى لأهم الأمور حساسية بالنسبة له :

<< تذكر " فيما " بصعوبة أن عليه هذا الصباح أن يهتم بأمر ما لا يحتمل التأجيل، لكنه لم يستطع، بأى حال، أن يتذكر ما هو هذا الأمر، ولماذا كان ملحاً >> (٤) .

ومما يدعو للدهشة، أن " فيما " يدعو اثنتين من صديقاته ـ سهواً ـ فى آن واحد، وفى مكان واحد على الرغم من أنه يرغب فى واحدة فقط منهن :

<< حاول " فيما " عبثاً أن يتذكر هل وعد " نينا " بأنه سوف يأتى بعد العمل ليأخذها من مكتبها، أم أنهما اتفقا على المقابلة بجوار السينما ؟ وبعد لحظة تردد، أخذ يفكر هل هو اتفق على ذلك مع " نينا " أم مع " أنط تدمور " . وهل من المحتمل أن عقله تشتت فدعاهما معاً عن طريق الخطأ ؟ >> (٥) .

---

(١)عاموس عوز: " هامتساف هاشليشى " (الحالة الثالثة)، رواية، مرجع سابق (ص٩٦).

(٢) نفس المرجع ، (ص٢١٧).

(٣) نفس المرجع ، (ص١٣٢).

(٤)نفس المرجع ، (ص١٤١).

(٥)نفس المرجع (ص١٧٧).

ويظل " فيما " يتساءل فى داخله متشككاً فى كل شئ حوله :

<< إلى أين يمكن التقدم ؟ وما هو الأمر الذى عليه أن يواصله ؟ أليست الحقيقة هو أنه لم يبــدأ بعد. ولكن ما الذى عليه أن يبدأه ؟ وأين ؟ وكيف ؟ >> [١].

ويصل أمر ذلك التوتر الذى يعيش فيه " فيما " إلى حد أن طفلاً صغيراً يثير لديه الرعب والفزع :

<< . . ولم يكـن هـناك أحـد فـى الشـارع، إلا طفـل غامـق اللون يبلغ من العمر عشر سـنوات، وجـه إلـيه مـدفعاً رشاشاً من الخشب، فاضطر " فيما " إلى رفع يديه على الفور تعبيراً عن الاستسلام التام >> [٢].

ووسـط هذه الحالة من الشكوكية والتوتر النفسى، فإن " فيما " على استعداد لرهن كل ميراثه مقابل راحته النفسية :

<< حـوالى الثالـثة لـيلاً، اسـتعد " أفـرايم " ليرهن على الفور كل ميراثه فى مقابل يوم واحد، أو ساعة من الحرية الداخلية الكاملة فى إحساسه الداخلى >> [٣].

وهكـذا، جـاءت هـذه السمة نتيجة لهذا الإطار الذى وضع فيه الفرد الإسرائيلى، وهو إطـار حددتـه لـه الأيديولوجية الصهيونية سلفاً، متناسية فى ذلك حرية الفرد الإسرائيلى، ورأت أنه من الأفضل أن يكون فى إطار من الحرية المستعبدة.

(٥) القسوة والعنف والعدوانية :

كانـت إحـدى النـتائج التـى تـرتبت علـى تقالـيد الـروح العدوانية فى الفكر الصهيونى وتواصـل الحـروب، أن ثبتـت عبادة القســوة بين الشباب الإسرائيلين. ويقول الكاتب " عامـوس ايلـون " موضحاً الكيفية التى تتم بها عملية زرع روح عبادة القـوة والقسوة: << لقـد نمـا نـوع مـن القسـوة الإسبرطية على مر السنين، وأصبحت تميز الآن أقساماً كبيرة من الإسـرائيلين الراشدين. وهذه القسوة الإسبرطية الوحشية، تبدأ منذ سنوات مبكرة فى حياة الفتـى الإسرائيلى من خلال اختبارات قاسية لقوة الاحتمال فى مناخ وظروف وأرض قاسية جـداً أثنـاء تدريـبات " الجـدناع [*] " [٤] وكـثيراً مـا تظهـر " الأنـا " الإسـرائيلية بمظهـر

(١) عاموس عوز: " هامتساف هاشليشى " (الحالة الثالثة)، رواية، مرجع سابق (ص١٨١).

(٢) نفس المرجع (ص٢٣٨).

(٣) نفس المرجع (ص٢٥٨).

(*) **الجدناع**: هى اختصار الكلمات العبرية (كتائب الشباب). وتعتبر منظمة عسكرية للشباب ما قبل سن الثامنة عشرة، أى ما قبل دخول الجيش. وفيها يتدرب الشباب الصغار على استعمال الأسلحة، والعمل متطوعين فى المستوطنات اليهودية المختلفة.

(٤) د. رشاد عبد الله الشامى: الشخصية اليهودية الإسرائيلية والروح العدوانية، مرجع سابق، (ص ٢٠٠).

استفزازى فى المقدرات الاقتصادية للناس، تدعو السوقة والغوغاء من المتضررين بالعبث اليهودى إلى استعمال العنف، والعنف قوة جنونية إذا أفلتت وجمحت لا يدرى أحد كيف تنتهى[١].

وقد ظهرت هذه السمة فى أعمال عوز لتعبر عن مدى العنف لدى الفرد الإسرائيلى. ففى قصته (البدو الرُحّل والأفعى) كان العنف هو السبيل الوحيد للتعامل مع كل شئ:

<< جاء عدد من الشباب الصغار واقترحوا القيام بهجوم على هؤلاء البرابرة فى إحدى الليالى، لتلقينهم درساً قاسياً >>[٢].

وإذا لم تتم الموافقة على الاقتراح الجماعى الذى يدعو إلى العنف، فإن الأعمال الفردية قائمة لا محالة، ولابد من إظهار العدوانية والعنف:

<< ومن منطلق قيود الذوق الرفيع، لن أذكر هنا تفاصيل تلك الأعمال الانتقامية الفردية غير المألوفة التى قام بها عدد من الشباب ممن نفذ صبرهم، مثل القاء الحجارة على أحد شباب البدو الرحل المشتبه فيه، وكذلك ضرب أحد الرعاة حتى الإغماء >>[٣].

ويحث " ميتيا " المتطرف ابن أخيه " هليل " فى قصة (جبل المكبر) على العنف والعدوانية:

<< يجب علينا أن نخضعهن ونجامعهن بالقوة، وبالغضب المقدس.. >>[٤].

ويميل " ميتيا " فى داخله إلى الخراب والتدمير، حتى أن الورود والزهور لم تسلم من يده:

<< .. وبدأ يطأ فى تلك الإثناء أحواض الزهور واحداً تلو الآخر. يقتلع ويقلع، يرمى خلف ظهره بالسيقان والفروع >>[٥].

ويميل " بوعز " أحد أبطال رواية (صندوق أسود) إلى العنف ويعشقه، لدرجة أنه يصبح نهجاً له فى شتى المواقف، فتقول له أسرته فى خطاب إليه:

<< .. بدأت أخشى ألا يتمخض عنك ذات مرة إنساناً، فربما كان هذا هو قدرك، وهو أن ينمو فيك إرهابى طائش. وربما لم تكن الصفعات التى تلقتها منك المدرسة فى مدرسة " تلاميم "، والرأس التى فتحتها للحارس الليلى الخاص بهم، حادثاً مخزياً، بل هى إشارة تحذيرية بأنه قد بدأ ينمو لدينا بغل >>[٦].

---

(١) د. حسن ظاظا: الشخصية الإسرائيلية، مرجع سابق، (ص ٨٩).

(٢) عاموس عوز: "أرتسوت هاتين"(بلاد بنات آوى)، مجموعة قصصية، مرجع سابق، (ص٣١).

(٣) نفس المرجع (ص٢٨).

(٤)عاموس عوز: "هار هاعيتساه هاراعاه، شلوشاه سيبوريم" (جبل المكبر، ثلاث قصص)، مرجع سابق، (ص٣).

(٥)نفس المرجع (ص٥٢).

(٦)عاموس عوز: "قوفساه شحوراه" (صندوق أسود)، رواية، مرجع سابق، (ص٤٦).

ولم يعبأ " بوعز " بمحاولات والديه فى إثناءه عن العنف والقسوة:

<< لقد أعطتك السماء قوة كبيرة. وأنت تعتقد، بسبب حماقتك، أن هذه القوة من أجل الضرب. إن هذه القوة من أجل أن تتغلب أيها الحمار! ومن أجل أن تسيطر على غرائزك. . . أما أن تفتح رأس إنسان فهذا من الممكن أن يفعله لوح خشبى أو حجر >>[١].

ويستمر " بوعز " فى التعامل بمنتهى القسوة مع أى موقف، مهما كان الثمن:

<< تدخل " بوعز " فى هذا الحادث، وبمساعدة إطار عربة مربوط بحبل، تصرف بطيش وأصاب تسعة جنود، وخمسة من رجال شرطة الأوبرا >>[٢].

وتقول " شولاميت شميدط " عن هذا الصبى: << إن ذلك الصبى الذى شاهد أحداث العنف التى حدثت مع أبيه، ومظاهر الكراهية بين والديه، تحول إلى صبى عنيف وثائر وعجيب. ويطالب " سومو " برعايته وتلقينه تعليماً دينياً وصهيونياً >>[٣].

أما " يوسف أورون " فيقول عنه: << إنه يجسد شخصية اليهودى العلمانى، ويجسد أيضاً شخصية صبارية مبالغ فيها للغاية، ومن المستحيل أن تتوقع منه فائدة ولو بسيطة >>[٤].

وليس فقط أن عدوانية الإسرائيليين تتجه إلى البشر، بل إن الحيوانات لم تسلم من عدوانيتهم وقسوتهم:

<< ذات مرة، وبجوار بئر " تامادا " فى سيناء، دخل جمل تائه إلى منطقة خط إطلاق النار الخاص بى ... فأطلق المدفعجى قذيفتين تجاهه فأخطأ الهدف، ثم طلب جندى الاتصال المحاولة، فأخطأ هو الآخر. واشتركت أنا الآخر فى المباراة، واتخذت موقع المدفعجى، ثم أطلقت النيران عليه فأخطأت أيضاً. وفى القذيفة الرابعة فصلت رأسه عن رقبته، ورأيت بوضوح من خلال المنظار بركة من الدماء ارتفعت مترا أو اثنين >>[٥].

ولعل قصة " خربة خزاعة " للأديب الإسرائيلى " ساميخ يزهار " جاءت لتعبر عن هذه النزعة العدوانية تجاه الحيوانات، فهى شخصية تمارس أحط الغرائز العدوانية تجاه كل

(١)عاموس عوز: "قوفساه شحوراه" (صندوق أسود)، رواية، مرجع سابق، (ص٤٨).

(٢)نفس المرجع ،(ص٨٠).

(٣)شولاميت شميدت: "تيشع باسفروت، عيونيم بتشع يتسيروت باسيبورت هاعفريت هاحداشاه" (تسع فى الأدب، دراسة لتسعة أعمال فى الأدب القصصى الإسرائيلى)، مرجع سابق، (ص٣٦).

(٤)يوسف أورن: " هاتسيونوت وهاتسباريوت بارومان هايسرائيلى " (الصهيونية والصبارية فى الرواية الإسرائيلية)، دار نشر ياحد، إسرائيل، ١٩٩٠، (ص٤٧).

(٥)عاموس عوز: "قوفساه شحوراه" (صندوق أسود)، رواية، مرجع سابق، (ص٢٠٢-٢٠٣).

ذى نفس حية من بشر وحيوانات، وهذه القصة زاخرة بالعديد من المواقف التى تعكس هذه الصفات، والتى تجعل هذه الشخصية سعيدة بصورتها القبيحة اللاإنسانية تجاه الحيوانات[1].

إن العدوانية غالباً ما تأتى نتيجة إحساس بعدم الأمان، والخوف من الهزيمة. ويلجأ الفرد الإسرائيلى إليها لعدم الثقة فى الآخر أو فيما حوله، هذا من ناحية. ومن ناحية أخرى لأنه تربى عليها وتشربها واقتنع بها جيداً، فهى ملاذ له من الأخطار المحيطة به من كل صوب. وهو الأمر الذى يعطى له علم النفس التفسير المقبول: (إذا ما تعرض الفرد لعدوان لا قبل له بمواجهته، وأصبحت الهزيمة خطراً يهدد اتزانه النفسى، فإنه كثيراً ما يلجأ إلى اتخاذ مصادر العدوان مصادر له يقتدى بها ومثلاً عليا يسير على هديها حفاظاً على اتزانه النفسى)[2].

(٦) التأرجح بين الرغبة فى السلام والخوف منه:

بالرغم من نزوع الشخصية اليهودية الإسرائيلية أحياناً نحولسلام كرد فعل لفظائع الحرب، ورغبة فى الحياة الهادئة بلا تهديد، مهما كان الثمن الذى سيدفع فى مقابل هذا (دولة فلسطينية، وتنازل عن الأراضى، وإزالة المستوطنات... إلخ)، إلا أنها تظل بشكل مستمر فى حاجة إلى الشخصية القوية التى تختزن فى داخلها كل مقومات العدوانية والقسوة، لأنها هى الدرع الوحيد التى يثقون فى قدرتها على الدفاع عن وجودهم، ومن هنا كان هذا التنازع الرهيب فى النفسية الإسرائيلية بين الرغبة فى السلام والخوف منه[3]. وقد جاء ذلك نتيجة أن الفرد الإسرائيلى قد وجد نفسه فى مفترق طرق، إما أن يجنح نحو السلام، وإما أن يواصل ميله نحو العنف والعدوانية. لكن العنف والعدوانية لا يولد إلا إحساساً بعدم الشعور بالأمن والأمان.

ويقول السيد ياسين عن هذا التأرجح الذى يقع فيه الفرد الإسرائيلى: << إن العقل الإسرائيلي يمر بمحنة لا شك فيها، ولعل أبلغ ما يعبر عنها ذلك الانفصام الحاد الذى ظهر تجلياته فى السنوات الأخيرة بين نزعة العنف والعدوانية واتجاه ينحو إلى الخضوع لمتطلبات السلام، كحل للصراع العربى الإسرائيلى الذى بقى مشتعلاً لعشرات السنين >>[4].

لقد بات السلام بالنسبة للإسرائيلين أملاً يراودهم بعد كل حرب يخوضونها. وبعدما يتساقط عشرات القتلى من الأقارب والأبناء يصبح السلام غاية ينشدونها، إلا أنهم يعزفون على أوتاره ألحان الخوف والقلق، فيعودون مرة أخرى استعداداً للحرب القادمة.

---

(١) د. رشاد عبد الله الشامى: الفلسطينيون والإحساس الزائف بالذنب فى الأدب الإسرائيلى، مرجع سابق، (ص ١٤٨).

(٢) د. رشاد عبد الله الشامى: الشخصية اليهودية الإسرائيلية والروح العدوانية، مرجع سابق، (ص ١٤٦).

(٣)نفس المرجع ،(ص ٢٥٥).

(٤) السيد ياسين: محنة العقل الإسرائيلى، صحيفة الأهرام ١١-٩-١٩٩٧، (ص ٢٤).

وتـؤكد عالمـة الـنفس الإسرائيلية " عاميا ليبليخ " هذا الواقع بقولها: << إن الحرب فى إسـرائيل هـى جـزء مـن الماضـى، ومـن الحاضر، ومن المستقبل. إنهم يأملون فى السلام، ولكن لابد من الاستعداد للحرب القادمة >> (١)

وتعتـبر حـرب أكتوبـر (١٩٧٣) نقطـة الـبداية والعامـل الرئيسـى فـى اتجـاه المجـتمع الإسـرائيلى إلى التغـيير. فقـد رسـخت هـذه الحـرب فـى الذهنـية الإسرائيلية أن مبدأ القوة واللجـوء إلى العـنـف والحـرب فـى معالجـة الصـراع فـى الشـرق الأوسط قد سقط سقوطاً مـروعاً، وأن الاعـتماد على التفوق العسكرى لا يحقق الأمن الذى ينشده الإسرائيليون (٢). وهـناك مـن ينظـر إلى هـذا الإحساس القدرى الحتمى بتوالى الحروب على أنه أفقد اليهودى الإسـرائيلى الأمـن والأمـان والحـياة الطبيعـية بأكثـر ممـا كان وضع (اليهودى الجيتوى) بين المجـتمعات التى عانى معاداة اليهودية وســـطها، ويرفعون شعاراً يبدى الاسـتعداد للتنازل عـن الأرض فـى مقـابـل السـلام (٣). ووضعوا تساؤلات دون أن يجدوا لها الإجابة، وهل الحـرب هى الدرع الواقى لهم ؟ أم السلام ؟ خاصة وقد دأبت الأيديولوجية الصهيونية على ترسيخ مفهوم الحرب لدى الإنسان الإسرائيلي.

ذلـك لأن الحـرب هـى التـى تخلق بينه وبين سائر أفراد جماعته روح التماسك والتلاحم، وهى التى تذيب التناقضات الداخلية والتى بسببها يتم تجاوز كل الخلافات السياسية والدينية والاجتماعـية (٤). وفـى داخـل هـذا العـبث وفقـدان الاتجـاه، تسـيطر السوداوية والحتمية والإحسـاس بأن حالة الحرب هى حالة دائمـــة، وهو الأمر الذى دفع " مـوشية ديان (*) " إلى القـول: << إنـنا جـيل من المستوطنين، لا نستطيع غرس شجرة أو بناء بيت دون الخوذة الحديديـة والمدفـع، عليـنا ألا نغمـض عيونـنا عن الحقد المشتعل فى أفئدة مئات الألاف من العـرب حولـنا، وعليـنا ألا نذير رؤوسنا حتى لا ترتعش أيدينا. إنه خيار جيلنا، أن نكون مستعدين ومسـلحين، أن نكـون أقـوياء وقساة، حتى لا يسقط السيف من قبضتنا وتنتهى الحياة (٥) >>.

---

(١) د. رشاد عبد الله الشامى: عجز النصز، الأدب الإسرائيلى وحرب ١٩٦٧، مرجع سابق، (ص ١٠).

(٢) د. محمد خليفة حسن: الشخصية الإسرائيلية واتجاهاتها نحو السلام، صحيفة الأهرام ١٤-٨-١٩٩٧.

(٣)د. رشاد عبد الله الشامى: عجز النصر، الأدب الإسرائيلى وحرب ١٩٦٧، مرجع سابق، (ص ١٠).

(٤) د. رشاد عبد الله الشامى: الشخصية اليهودية الإسرائيلية والروح العدوانية، مرجع سابق، (٢٢١،٢٢٠).

(*) **موشية ديان:** وزير الدفاع فى حربى ١٩٦٧، ١٩٧٣، ووزير الخارجية الإسرائيلى السابق.

(٥) د. عبد الوهاب المسيرى: أرض عطشى للدماء، الأزمة الصهيونية من منظور إسـرائيلى، صحيفة الأهرام ١٧-١٠-١٩٩٧.

لقد وجد المحارب الإسرائيلى نفسه وجهاً لوجه أمام الموت، حيث أن الموت يحيط به من كل جانب وفى كل لحظة، وهو الأمر الذى يجعله يتساءل لماذا يذهب بنفسه إلى الحرب ؟ ولماذا يكون هو الضحية ؟ [1].

وهكذا، تصبح النتائج السياسية لأية حرب ليست هى الأهم، فهناك نتائج أكثر جدة، هى نتائج الآثار التى تتركها الحرب نفسها فى الفكر الإنسانى والتى قد تستمر لمدة أطول. ومما لا شك فيه، بالنسبة لتاريخ الحضارات، أن الأثر الذى تتركه بعض الحوادث الاجتماعية فى أذهاننا يبدو أكثر أهمية من الحوادث نفسها، وذلك لأن الحوادث تنسى بسرعة أكبر من التقاليد، وخاصة إذا تداولتها الألسن [2].

وهكذا، تصبح الحرب سبباً فى محنة التأرجح بين الرغبة فى السلام والخوف منه بالنسبة للفرد الإسرائيلى، وهل يمضى تجاهه أم يجنح له الطريق ؟ وهو تناقض أوقعته فيه مفاهيم الدولة نحو الأمن والأمان. وهو أيضاً تناقض لم يملك له حسماً، فبقى متأرجحاً بين الالتزام الصهيونى وبين البحث عن الذات والأمن والسلام، يمسك بغصن الزيتون فى يد والمدفع فى اليد الأخرى، ولا يدرى أيهما يقدم ؟!.

وقد عبر الأدب الإسرائيلى عن هذه الهوة، ويعتبر عوز أحد هؤلاء الأدباء الإسرائيلين الذين عبروا عن تساؤلات الفرد الإسرائيلي تجاه السلام. ففى روايته (الحالة الثالثة) نجد " فيما " بطل هذه الرواية وقد ظهر متمرداً على الواقع الذى ظهر فيه، وعلى الدولة ومفاهيمها نحو السلام، ويؤرقه ما يجرى فى الأراضى المحتلة، وما يحدث داخل إسرائيل والمجتمع الإسرائيلى.

هذا البطل يقول فى نهاية الرواية لأبطال الفيلم الذى يشاهده فى السينما، وكأن كل ما يشاهده فى الواقع هو مشهد سينمائي : << إذا أردتم أن تستريحوا وتريحوا فليترك كل منكم الآخر فى حاله، وكونوا خيرين. >> [3] كما تكثر فى هذه الرواية تساؤلاته نحو ماهية السلام، وكيف يحدث ؟ وعلى أى صورة يكون ؟ ولكنه، فى نفس الوقت، يخشى تداعيات هذا السلام :

<< رأى نفسه فى خياله يجمع وزرائه فى جلسة لمجلس الوزراء المصغر فى منتصف الليل. . . وفى الفجر سوف يمرر قراراً بأغلبية الأصوات، يقضى بإخراج قواتنا فى المرحلة

(١) سامية جمعة على: رواية " أيام تسكلاج " والتساؤلات الكابوسية لجيل محاربى ١٩٤٨ تجاه الحرب، مجلة إبداع، العدد الثانى فبراير ١٩٩٥، (ص ٢٨).

(٢) د. رشاد عبد الله الشامى: الفلسطينيون والإحساس الزائف بالذنب فى الأدب الإسرائيلي، مرجع سابق، (ص٧).

(٣) أحمد عمر شاهين: الرواية الإسرائيلية المعاصرة، مجلة إبداع، العدد الثانى فبراير ١٩٩٥، ص (١٥).

الأولى مـن قطـاع غـزة دون إتفاقـية. أما إذا أطلقوا من هناك النيران تجاه مستوطناتنا فسوف أدمـرهم مـن الجو. وإذا حافظوا على الهدوء وأثبتوا توجههم نحو السلام فسوف ننتظر عاماً أو عامين، وبعدها نبدأ فى المفاوضات حول مستقبل نابلس والخليل >>(١).

لقـد اعـتـاد " فـيما "، خـلال هذه الرواية، تصور نفسه أنه المسئول الأول عن الدولة، لـذلك كـان يجمع مجلس وزراء من أصدقائه، ويعرض عليهم مقترحاته حول بعض الأمور التـى تشـغله. ونلاحظ هنا أن " فيما " يفكر فى السلام، ولكنه يخشى عواقبه. فهو يقترح الانسـحاب مـن الأراضـى مـع وضع تصورات لما يمكن أن يحدث، فإذا حافظ الفلسطينيون علـى الهـدوء وأثبتوا توجههم نحو السلام، فسوف ينتظر عامين حتى يطمئن إلى ذلك، وهو ما يبين قلقه تجاه حقيقة السلام، فيتنازع مع نفسه حول الرغبة فيه أو الخوف منه.

ويـرى " فـيما " أن الدولـة تـبدد فـرص الســلام السـانحة أمـامهـا، ويصـف زعمائها بالعصابة:

<< . . . وانتهـى إلى أن هـذه الدولة وقعت فى أيدى عصابة من المختلين. مراراً وتكراراً يدفعـون نحـو فقـد وتـدمير كـل فـرص السـلام، لأن السلام يبدو لهم كخدعة نازية تضمر إبادتهم >> (٢).

وهكـذا، يـرى " فيما " أن الدولة وقعت فى أيدى عصابة تخشى السلام على الرغم من أن الشـعب يطلبه، وذلك لأن الماضى يرفرف أمامهم، وأحداث النازى عالقة فى أذهانهم، ويخشون من ألا يحقق لهم السلام الأمن المنشود.

وينظـر " فـيما " إلى حـرب (١٩٦٧) على أنها سبب ذوبان هويتهم، وسبباً فى إحلال الكثير من المشاكل:

<< توجه " فيما " إليهم بكلمات معدودة وقوية حول ضرورة الاختيار ما بين الأراضى التى احتلت فى حرب الأيام الستة وبين هويتنا. . . وقبل حرب الأيام الستة، كان " فيما " يفكـر فـى أن الوضـع القومـى كـان أقل خطورة ودماراً مما هو عليه اليوم. أو ربما ليس أقل خطراً، بل فقط أقل إزعاجاً وكآبة >> (٣).

وهكذا، تبدو الصورة لدى " فيما "، وهى أن التخلى عن الأراضى المحتـلة فى حرب (١٩٦٧)، هـو الـذى سيحفظ لهـم هويتهم، أى أن هـذا هو الذى سيحافظ على يهودية الدولـة، كمـا يشـير إلى أن الحـرب هـى السـبب فـيما هم عليه الآن من كآبة وعدم الشعور

(١) عاموس عوز: " هامتساف هاشليشى " (الحالة الثالثة)، رواية، مرجع سابق، (ص١٣).
(٢) نفس المرجع، (ص١٣).
(٣) نفس المرجع، (ص٢٩-٣٠).

بالأمـان أو الاسـتقرار، علـى الرغم من انتصارهم فى حرب (١٩٦٧). وذلك لأن احتلال الأراضى العربية فى هذه الحرب وضعهم أمام إشكاليات صعبة.

ويـرى " فـيما " أنـه حـان الوقت لوضع حد لدائرة الدماء، وفتح صفحة جديدة، لأن ذلك هو السبيل الوحيد للسلام:

<< .. ومـع ذلـك سـوف يقترح من الآن وضع حد لدائرة الدماء، والبدء سوياً فى بناء مستقبل فكـرى من خلال الحل الوسط والمصالحة، والشرط الوحيد للبدء فى المفـاوضات سـوف يكون التوقف النهائى عن أعمال العنف من كلا الطرفين >> (١).

وإذا لـم تمتـثل الدولـة لمطالـب الشـعب فى الـسلام فإن " الثورة " هى الحل الوحيد فى رأى " فيما ":

<< .. ومـن الآن سيسـمى مجلس الـوزراء المصـغر بمجلس الـثورة. وسـتتم العملـية الانقلابـية خـلال سـتة أشـهر. وحينئذ، سوف يكون هناك سلاماً، بعدها على الفور نعود جميعاً كل منا إلى شئونه، ولن نواصل التدخل مرة أخرى فى شئون السلطة المنتخبة >> (٢).

وهـنــا يحلـم " فـيمـا " بتغييــر الســلطة وقيادة مسيرة السلام حتى يتحقق، بعدها ينسحب ويعـود إلى عمله هو ورفاقه بعد إتمام مهمة إحــلال الســلام. ويمكـن القـــول ـ مـــن خـــلال الفقـــرة الســـابقة ـ أن السلطـــة الحاكمـة فـى إسرائيل قد لا تعبـــر عن متطلبـــات الشعب، خاصة نحو الســـلام الذى ينشده، لـــذلك نجـد أن هنـــاك العـــديد مـن حـركـــات الســـلام فـــى إســـرائيل، والتى تعبر عن مطالب قطـــاعاً عريضاً من الشـعب الإسرائيـلى، وعوز نفســـه هـــو أحد أعضاء حـركة " السلام الآن (*) "، وهى إحـدى الحـركات التى تنظر إلى السلام على أنه أمر حيوى لابد وأن ينطوى على حل يرضى جميع الأطراف. ولعل ذلك يشير إلى أن قطاعاً عريضاً من الشعب الإسرائيلى بمختلف طوائفه يرغب فى السلام، وينتمى إلى حركات تدعو إليه، وتعبر عن متطلباته. وهذا ما يفكر فيه " فيما ":

---

(١)عاموس عوز: " هامتساف هاشليشى " (الحالة الثالثة)، رواية، مرجع سابق (ص٧٠).

(٢)نفس المرجع ،(ص٧٠).

(*) السلام الآن: تعتبر هذه الحركة هى حركة ذات طابع صهيونى ليبرالى معتدل، وتعتبر امتداداً لحركة السلام الإسرائيلية بعد حـرب (١٩٦٧)، وتضم فـى صفوفها العديـد مـن أبـرز رموز الثقافة والفكر فى إسرائيل، وشخصيات متنوعة تضم أساتذة جامعات، وأدباء مشهورين، ورجال أعمال، وقادة سابقين فى جيش الدفاع الإسرائيلى، وشخصيات عامـة قـيادية مـن بيـنهم وزراء سـابقون فـى الحكومات الإسرائيلية، والآلاف من المتعاطفين مع الحركة وأهدافها.

<< مـن الممكـن أيضاً أن أنضم إلى إحدى الحركات الحالية . . . وأوجه ضوءاً جديداً إلى الوضـع القومـى حتى تتحرك القلوب الصلدة للغاية . وهكذا ، نصل إلى الدفة التى ستقودنا إلى إقرار السلام فى البلاد >>(١) .

ولكـن " فـيما " بعد كل هذا يرجع النظر فى أمر السلام ، معلناً تردده نحوه والخوف من جدواه :

<< دعـا " فـيما " مجلس الـثورة فـى لقـاء صباحى قصير ، وأعلن أمامه أنه غير رأيه ، وأرجـأ رحلـته الجوية إلى تـونس . فمسـيرة السـلام يجـب أن تـبدأ هـذه المرة ليست بحدث استعراضى على طريقة السادات وبيجن ، بل تتم تحديداً بتبادل التوجهات الصغيرة التى ربما تكون فى قدرتها أن تذيب تدريجياً أسوار الكراهية والغضب >> (٢) .

وهكـذا ، يمكـن القـول أن الفرد الإسرائيلى قد يتردد نحو السلام ، فهو يرغب فيه ويخشى أثـاره ، ولا يـثق فـى التداعـيات التـى ستترتب بعد إقراره . فبعد أن قرر " فيما " السفر إلى تـونس لـيخطب أمـام المجلس القومـى الفلسـطينى ، سرعان ما غير رأيه ، ورأى أن الحقد والكـراهية مـازالا يسـيطران علـى النفوس ، ومن شأن ذلك أن يكون له أثراً سلبياً على أمن المجتمع الإسـرائيلى . فهـو يـرى أن تحقـيق السـلام ، فحسب ، لا يمكن أن يحافظ على أمن إسرائيل ، فمن الممكن أن يحدث سلاماً فى الوقت الذى تبقى فيه أسوار الحقد والكراهية بين الشـعبين ، وبالـتالى لـن يكـون ذلـك سلاماً شاملاً . فيعود للدوران فى الحلقة المفرغة ما بين الرغبة فى السلام والخوف منه .

وتبقـى الحـرب دائماً وفقد الأموات وزيادة عدد الثكالى ، وموت الأبناء هى بمثابة جرس إنـذار ، قـد يدفـع الفـرد الإسـرائيلى للـتفكير فـى السلام رغم التشكك فى جدواه . فتقول " شنيد مان " إحدى شخصيات هذه الرواية فى حديث لها مع " فيما " :

<< فلـيأت فحسـب السلام لدولتنا الغالية ، فصعب علينا أن نعانى طوال الزمن من فقد الأموات >>(٣) .

وهكـذا ، بـدأ الإحسـاس بالـدوران فـى الحلقـة المفرغة من الحروب والسأم من كابوس الحـروب المتعاقـبة والتشـكك فـى جـدواها يعـم الكـثيرين ، وبـدأت تتسـرب المشـاعر والانطـباعات التـى تعبر عـن مناخ الرفض لاستمرار أهوال الحرب والتمرد على الموت بلا ثمـن ، والافـتقار إلى الأمـل فـى حياة هادئة فى المستقبل ، ورفض التوالد يأساً من المستقبل ، ورفضـاً لأن يكـون الأبـناء وقـوداً لمزيد مـن الحروب . وقد شهدت فترة حرب الاستنزاف

---

(١) عاموس عوز: " هامتساف هاشليشى " (الحالة الثالثة)، رواية، مرجع سابق، (ص٧٣-٧٤).

(٢) نفس المرجع (ص٩٩).

(٣) نفس المرجع ، (ص١٥٩).

مجمـوعة مـن ردود الفعـل العارمـة التـى اجـتاحت قطاعـاً عريضاً من المجتمع الإسرائيلى، مطالـبة بوضـع حـد لهـذه الحـروب، وبالسـعى إلى السـلام بـأى ثمن مع العرب، ولو على حساب التنازل عن الأراضى التى احتلتها إسرائيل فى حرب يونيو (١٩٦٧) [1].

ووسط هذا الخوف من السلام والرغبة فيه فى آن واحد، يرى البعض أن توكيل الزعماء للبت فى شأن السلام هو أفضل حل، فهم يعرفون أكثر:

<< قـرر " فـيما " فـى الـنهاية أن يكتفى بهذا السؤال: ماذا يجب فى رأيها أن نفعل من أجـل تقـريب السـلام؟ فانتابت السيدة " شينمان " حالة من الشك ... ثم قالت: ما الذى نفهمـه نحـن؟ فلـنترك القـرار للكـبار والجنرالات فى حكومتنا، وليمنحهم الرب الصحة، ويمنحهم المزيد من العقل، يجب أن نتنازل قليلاً للعرب >>[2].

وهكذا، يظل " الفرد الإسرائيلى " متأرجحاً بين الرغبة فى السلام الذى يتطلب التنازل عـن الأرض وبـين الخـوف مـنه، لكـن التـنازل يجـب أن يكـون مبنـياً علـى الـثقة، والفرد الإسـرائيلى لا يـثق فـى الآخـر (العرب)، والسلام لن يتحقق إلا بإعادة الأراضى المسلوبة، وهـو مـا يدركـه جيداً، لذلك فهو يتردد تجاه السلام أحياناً، ويقع فى تناقض بين الرغبة فيه والخوف منه مقابل التنازل عن الأرض:

<< هـناك مغـزى، حيـنئذ، فـى محاولـة صياغة ثقـة تصـف بالضـبط أيـن هى الحدود الصحيحة والمتزنة الخاصة بنا من أجل أن نقدم تنازلات للعرب >>[3].

وعلـى الرغم من أن قطاعاً كبيراً من الشعب الإسرائيلى يرغب فى السلام حتى وإن كان يخشـى مـنه، إلا أن الـبعض منهم حسم الموقف وحدد أطراً عديدة لمفهوم السلام الذى يحلم بـه، والتـى بـدونها لا يرضـى به. والبعض الآخر رفضه تماماً أملاً فى أن القوة ستحقق لهم الأمـن، ويـرون أن العـرب لا يريدون السلام، بل يريدون إبادتهم وتدميرهم. فيقول الأب إلى " فيما " فى رواية (الحالة الثالثة):

<< . . إنهم يريدون أيضاً ذبحنا. إن كل ما يريدونه هو إبادتنا >> [4].

كمـا أن فكرة الحل الوسط غير واردة، عند البعض، على الإطلاق. فهو يمكن أن يكون مع أى أحد إلا العرب:

<< حـل وسـط، حقـاً، هـذا أجمـل ما قلت. فالحل الوسط أمر ممتاز لا يوجد له مثيل. فالحـياة كلـها قائمـة علـى الحـل الوسـط.. لكـن مع مـن تصنع حلاً وسط؟ مع الذين يطلبون دماءنا، ومع الذين يتطلعون فقط إلى إبادتنا؟ >> [5].

---

(١) د. رشاد عبد الله الشامى: إشكالية الهوية فى إسرائيل، مرجع سابق، (ص ١٨٢).

(٢) عاموس عوز: " هامتساف هاشليشى " (الحالة الثالثة)، رواية، مرجع سابق، (ص١٦٠).

(٣) نفس المرجع، (ص١٩٦).

(٤) نفس المرجع (ص٦٤).

(٥) نفس المرجع (ص٦٤).

وهكـذا، يـرفض الأب السـلام ويحـدد رأيـه فيه بحسم، ويرى أن هناك انعداماً للثقة فى الطـرف الآخـر الـذى لا يـريد السـلام، وإنما يريد فقط إبادتهم وذبحهم. وهذا الحسم نجده أيضاً لدى أحد السائقين فى حديثه مع " فيمـــا " :

<< لنقـتلهم فهـم مازالـوا صـغاراً. ولا نسـمح لهم برفع رؤوسهم، فلنجعلهم يلعنون ذلـك الـيوم الـذى فقـدوا صـوابهم فيه معنا. . . وعند خروجه من التاكسى سأل " فيما " السـائق : حينئذ، ماذا سيحدث ؟ وإلى متى فى رأيك سوف نستمر فى قتل كل منا للآخر ؟ فقـال السائق : حتى مائة عام. هكذا حدث أيضاً فى عصـــر التـــوراه. لم يـكن هناك ثمـة سلام بين اليهود وغير اليهود >>[١].

وهناك من رأى أن السلام دون ضمانات كافية، مثل الأمن الشامل، لن يصبح سلاماً :

<< . . إننـى مـن أجـل السـلام الحقيقـى، الـذى يقولون عنه، مع الأمن والالتزام وكل الضمانات والأمن الشامل >>[٢].

وهـناك مـن حسـم الموقـف مـن منطلق القوة والتشكك فى مؤتمرات السلام، ودعى إلى التريث وعدم الاستعجال حتى يكون هناك ردع إسرائيلـى يحقق الأمـن :

<< أوصـى أحد الخبراء القدامى فى القانون الدولى الحكومة بعدم التسرع فى الجرى وراء مؤتمـرات السـلام المخـتلفة والمشـكوك فـيها. فعلـينا أن ننتظـر حتى يحدث على الأقل ردع إسـرائيلى. وعلـينا ألا نقـترب، معـاذ الله، مـن مائدة المفاوضات من خلال موقف ضعف واسـتعجال، بيـنما سـيف الانتفاضـة مـوجه إلى رقابـنا. فالمفاوضات ربما تكون جادة فقط عـندما يـدرك العـرب فـى النهاية أن ليس لديهم أى أمل سياسى أو عسكرى، أو أى أمل، فيأتون للتوسل أمامنا وهم مستسلمون حتى نصنع معهم سلاماً >>[٣].

وهكـذا، يمكـن القول من خلال ما سبق، أن السلام أصبح أمراً شائكاً ومحيراً شأنه شأن المجـتمع الإسرائيلى، اختلفت الرؤى والتوجهات نحو مفهومه. وربما يرجع ذلك إلى طبيعة تكـوين المجـتمع الإسرائيلى، فهو مجتمع يضم بين عناصره أيديولوجيات عديدة، وطوائف شتى يصعب أن تتجه جميعها ناحية هدف واحد.

إن إسـرائيل تـتكون مـن عـدة أمـم تتعدد فيها الأعراق والثقافات والاتجاهات الفكرية. فبالإضـافة للبنـية التقليدية للمجتمع الإسرائيلى من عناصر السفارديم والإشكيناز والصابرا والمهاجـرين الجـدد والعـرب الفلسـطينيين، تـتزاحم داخـل المجـتمع الإسـرائيلى وتتناحـر

---

(١)عاموس عوز: " هامتساف هاشليشى " (الحالة الثالثة)، رواية، مرجع سابق ،(ص١٢٧).

(٢)نفس المرجع ، (ص١٨٣).

(٣)نفس المرجع ،(ص٢٣١).

الأيديولوجيات المختلفة، حيث ينقسم الإسرائيليون إلى يهود متشددين وقوميين ودينيين وتقليديين وعلمانيين وغير ذلك من الفئات، مما أدى إلى تشرذم المجتمع الإسرائيلى وتفتته إلى عدة ثقافات ولهجات [1]. وهو ما جعل التعامل مع السلام بالنسبة للمجتمع الإسرائيلى على اختلاف طوائفه واتجاهاته، يتم من خلال رؤى غير واضحة المعالم يملؤها التردد والشك. كما أن الأيديولوجية الصهيونية تدخلت فى صنع النفسية الإسرائيلية، وجعلت الفرد الإسرائيلى يتشكك حتى فى أهم متطلبات الحياة وهو الأمن والاستقرار. وأصبح الشك وعدم الثقة فى الطرف الآخر من أهم السمات التى فرضتها الأيديولوجية الصهيونية على الفرد الإسرائيلى منذ نشأته، لذلك فهو يفكر فى السلام لأنه يفتقد الأمن، لكنه سرعان ما يعود ويحيد عنه عندما يصطدم بفرضيات التوجه الصهيونى الذى يجرى فى دمه، حتى أن حركات السلام فى إسرائيل تضع فى حسبانها دقة المحاولة.

إن قضايا الأمن الإسرائيلي لدى حركات السلام لها أهمية خاصة لا تختلف كثيراً عن سائر القوى الصهيونية اليمينية، وخاصة في مسألة القوة النووية الإسرائيلية، وسياسة الردع بالإضافة إلى أن معظمها يؤكد على مبدأ " القدس الموحدة " ، و" العاصمة الأبدية لإسرائيل " [2]. لذلك حتى و إن كان هناك قطاع عريض من الشعب الإسرائيلي يفكر في السلام، إلا أن مفهوم السلام لديه هو السلام المشروط الذي يضمن له الأمن، وعدم التعرض لخطر الإبادة، حتى وإن ضمن ذلك فيبقى حاجز عدم الثقة في الآخر أمراً هاماً وضرورياً يتراجع من خلاله عن رغبته في السلام، ليعيش في تناقض غريب ما بين الرغبة في السلام والخوف منه من ناحية، وبين الرغبة في السلام مع الاحتفاظ بالأراضي العربية من ناحية أخرى..

---

(١) د. محمد خليفة حسن: الشخصية الإسرائيلية واتجاهاتها نحو السلام، صحيفة الأهرام ١١ - ٩ - ١٩٩٧.

(٢) د. رشاد عبد الله الشامى: إشكالية الهوية فى إسرائيل، مرجع سابق، (ص ١٩٨).

الآخر (اليهودي الجيتوى، والعربي الفلسطيني)

إذا كانت تلك هي ملامح وصفات الأنا الممثلة لـ " اليهودي الصهيوني " ، و الأنا الممثلة لـ " اليهودي الإسرائيلي " في أعمال عوز الأدبية . فإن الأمر يختلف بالنسبة لليهودي الجيتوى، والعربي الفلسطيني . فقد كانا نموذجاً للضعف والخنوع في كل من ملامحهما وسماتهما في مقابل الأنا اليهودية بنمطيها الصهيوني والإسرائيلي ، خاصة وقد جاء اليهودي الجيتوى في أعمال عوز الأدبية ليتشابه في ملامحه الخارجية، وإلى حد كبير، مع العربي الفلسطيني ـ كما سنرى ـ ومن هنا كانت هناك ضرورة ملحة لإدراجهما معاً تحت مصطلح " الآخر " في مقابل " الأنا " اليهودية بنمطيها الصهيوني والإسرائيلي .

الآخر (اليهودي الجيتوى) :

إذا كان الوجود الإنساني لأى شعب وجماعة لا يمكن فهمه إلا في إطار الأنساق الاقتصادية والاجتماعية والثقافية والدينية لهذا الشعب أو تلك الجماعة، فإن التعرض للشخصية اليهودية في هذا الإطار يصبح أمراً معقداً بقدر تعقد هذه الشخصية التى تمتد جذورها، وتتحدد خصائصها في إطار من الظروف والعوامل المتداخلة والمتناقضة التى تتصل اتصالاً مباشراً بواقع الظروف التى تعرضت لها الأقليات اليهودية في العالم، وهى ظروف كانت تختلف تماماً من بلد إلى آخر، بحيث يصعب تصور أى واقع تاريخى مادي مشترك بينها. . . وعلى هذا الأساس فإن الحديث عن " شخصية يهودية " بين الأقليات اليهودية المبعثرة عبر تضاريس الكون البشرى، والتى تخضع لتأثيرات ثقافية ولغوية متباينة، وهو مثل الحديث عن تاريخ مشترك لهذه الأقليات، يعتبر من قبيل الإبحار في محيط هائل ملىء بالجذر والشعاب التى لم تكتشف بعد[1] . ذلك لأن " الشخصية " هي صيغة منظمة نسبياً لمجموعة من الخصائص الجسمية والوجدانية والنزوعية والإدراكية التى تميز الفرد عن غيره من الأعضاء . ويفترض أن الشخصية الفردية ، في جوانب عديدة منها، هي نتيجة عملية تفاعل مركبة بين الإنسان الفرد من جهة، وبنيان مجتمعه وثقافته وتاريخه وبيئته الطبيعية والاجتماعية من جهة أخرى [٢] .

لقد عاش اليهود عبر عصور مختلفة في العديد من البلدان، واتخذت أقامتهم في الشتات صوراً عديدة من الانعزالية، كان أشهرها هو " الجيتو " . وكانت حياتهم في هذه البلدان تدور داخل جدار عال من الخصوصية والفردية يصعب اختراقه أو تسلقه، اعتقاداً منهم

---

(١) د. رشاد عبدالله الشامي: الشخصية اليهودية الإسرائيلية والروح العدوانية، مرجع سابق، (ص ٩).

(٢) د. عبد الوهاب المسيرى: من هو اليهودي ؟ دار الشروق، ١٩٩٧، (ص ٩).

بـأنهم أسمـى العناصر العـرقية، ولابد وأن تدور عقائدهم وعاداتهم وسلوكياتهم في إطار مـن السرية المطلقة، فكان لهم كيانهم الخاص تقوقعوا في داخله ورفضوا الانفتاح أو التعامل مـع غـير الـيهود، ورحـبوا بحياة العزلة الدينية والنفسية والاجتماعية والثقافية داخل أسوار "الجيتو". ومـع مجـيء حـركة التنوير اليهودية (١٧٨٠ ـ ١٨٨٠) ـ " الهسكالاه [*] " ـ ومـناداتها بالانفتاح وبالانصهار في المجتمعات التى يعيشون فيها، طرأ تحول جذري لصورة (الـيهودي الجيـتوى)، وأحـدثت هـذه الحـركة ضجة عارمـة داخـل الأوسـاط الـيهودية الشـتاتية، ما بين مؤيد لها ومعارضاً لمبادئها. وبعد ذلك ومع توالى ظهور القوميات في أوربا وفشـل حـركة "الهسـكالاه"، سـطع نجـم الصـهيونية على مسرح الأحداث في نهاية القرن التاسع عشر، وبدأ الإعداد لمرحلة الاستيطان الصهيوني على ارض فلسطين.

واعتـباراً مـن مـرحلة الاسـتيطان الصهيوني في فلسطين، وبالذات خلال فترة الهجرتين الثانـية (١٩٠٤، ١٩١٤) والثالثة (١٩١٩، ١٩٢٤) بدأ التبشير بالنموذج اليهودي الجديد المتمثـل في صيحة " أخر يهودي وأول عــبري " والتى تمخضـت عنها بعد ذلك شخصية " الصـبار "، وهـى الشخصـية التـى تـبلورت مـن خلالهـا شخصـية " الـيهودي الإسـرائيلي "[1]. ومـن هنا، ومع محاولة خلق نموذج يهودي جديد يستطيع أن يلبى مطالب تلـك المـرحلة، بدأ النظر إلى " اليهودي الجيتوى " في الأدب الإسرائيلي نظرة سلبية تنطوي علـى كـثير من الذل والمهانة، فصارت شخصية ممقوتة ومنبوذة، ورمزاً للاضطهاد اليهودي تارة، وممثلاً لمشاعر الاغتراب على أرض فلسطين تارة أخرى.

ويمكـن القـول ولـتلك الأسـباب، بدت ملامح " اليهودي الجيتوى " في الأدب العبري الإسـرائيلي لتتسـم بالضـعف والخـنوع مثل أنه : أحدب ونحيف، ذو نظرة غريبة، ضعيف ومـتمارض، عيناه عصيتان، لديه ضفائر سوداء وذقن، شاحب، وإذا كان بالغاً تظهر عليه علامات الشيخوخة مثل الرعشة أو التجاعيد، ويرتدي ملابس تقليدية أوربية باهتة وبالية، وعلى رأسه قبعة أو طاقية. ومن حيث شخصيته فهو منغلق وغريب في كل مكان، يستولي علـيه الخـوف والشك، يبتعد عن الناس، ديني تقليدي ثقيل، ويفتقد إلى اليقظة والنشاط، ليسـت لديـه ثقـة في الذات، منحط، هادئ، متواضع، صامت، خجول، ومرتبك، يلتزم

(*) الهسكالاه: هي حـركة تنوير يهودية نادت بانفتاح اليهود واندماجهم اجتماعياً وثقافياً ولغوياً بالأمم التى يعيشـون بيـنها، وطرحت تعديلات جذرية في الدين اليهودي والعبادة، وكان من روادها اليهودي الألماني " موسى مندلسـون " الـذي قـام بالترجمـة الألمانـية للعهد القديم، وذلك في محاولة للتخلص من سيطرة الدين الـيهودي علـى مجريات الحياة اليهودية، وكان شعار الهسكالاه في روسيا هو (كن يهوديا في بيتك وأنساناً خارج بيتك).

(١) د. رشاد عبدالله الشامي: الشخصية اليهودية في أدب إحسان عبد القدوس، دار الهلال، العدد ٤٩٦ / أبريل ١٩٩٢، (ص ٨٥).

بـالآداب، ومنضـاع، متكـرر ولا يستمتع بالمباهج، تظهر عليه أثار مشكلة، تلميذ مجتهد يعمل في الروحانيات [١].

الآخر (اليهودي الجيتوى) في أعمال عوز الأدبية :

ظهـر الآخـر (الـيهودي الجيـتوى) في أعمـال عـوز الأدبـية يحمـل الكـثير من الصفات والملامـح التـى عـبر عـنها بعـض الأدبـاء الإسـرائيليين في الأدب العـبري الإسرائيلي، كما صـورت هذه الشخصية في أعماله على أساس الواقع التى وجدت نفسها فيه بعد انتقالها إلى أرض فلسـطين، حـيث صـارت مشـاعر الاغـتراب والأشواق الزائدة إلى بلاد الشتات أهم السـمات التـى تميزت بها شخصية " اليهودي الجيتوى " في أعمال عوز الأدبية. وعلى هذا الأساس فإن ملامح هذه الشخصية تتحدد معالمها وفقاً للمحاور الآتية :

أولاً : الملامح الخارجية :

(١) البنيان الجسماني :

تـبدو شخصـية الآخـر (اليهودي الجيتوى) في أعمال عوز كشخصية ضعيفة، وواهنة، وهشـة، وطاعـنة في السـن. فيطالعـنا القـاص في قصـة (نيران غريبة) بأول ملمح من هذه الملامح قائلاً :

<< كان وجه " ليلى دينبرج " بارداً وهادئاً >> [٢].

ويقول أيضاً :

<< كـان جسـدها دائمـاً واهـناً، وشـعرها أشـقر طبيعي، ولـم يكن في الحقيقة نشيطاً، وبخلاف ذلك فهو غزير وثقيل، أنفها مستقيمة وصارمة، عيناها زرقاوتين حادتين >> [٣].

وفى رواية (لمس المياه، لمس الرياح) بدا " فومرانتس " الشخصية الرئيسية في هذه الرواية، بهذه الأوصاف التى تدل على الضعف والخنوع :

<< كـان ذلك الإنسان قصير القامة، ذو عينين صغيرتين، وفكين غليظين يوحيان بالشر تقريباً >> [٤].

وفى قصة (بلاد ابن آوى) وصفت الشخصية الرئيسية في القصة بنفس هذه الأوصاف :

<< كـان " متتـياهو دمقوف " رجلاً صغيراً ونحيفاً، ذا بشرة قاتمة، كله عبارة عن عظام وعضلات، عينيه ضيقتين غائرة، وفكيه مقوستين قليلاً. >> [٥].

---

(١) د. رشاد عبدالله الشامي: الشخصية اليهودية الإسرائيلية والروح العدوانية، مرجع سابق، (ص ١٠٦).

(٢)عاموس عوز: "أرتسوت هاتين"(بلاد بنات آوى)، مجموعة قصصية، مرجع سابق، (ص١١٢).

(٣)نفس المرجع، (ص١١٣).

(٤) عامـوس عـوز: "لاجاعـت بامـايم لاجاعـت بـارووح" (لمس المياه والرياح)،رواية، دار نشر عم عوفيد، تل أبيب، ١٩٧٣، (ص٥).

(٥)عاموس عوز: "أرتسوت هاتين"(بلاد بنات آوى)، مجموعة قصصية، مرجع سابق، (ص١١).

وتشبهه " جليلة " في هذه القصة بالقرد :

<< . . وجسم " متتياهو " الذي يشبه القرد أثار فيها شيئاً ما >>[١].

وفى رواية (عزيـزي ميخائيل) تصف " حنة " شخصية جيتوية أثارت فزع ابنها في الأتوبيس قائلة :

<< جلـس على مقعد مجاور لنا رجل مخيف من مشوهي الحرب أو ربما لاجئ من أوربا . كـان وجهـه مجعـداً ، وإحـدى عينـيه مقلـوعة ، وكان منظر فمه فظيعاً ، وبلا شفتين ، ولذا ظهرت كل أسنانه >> [٢].

وفـى قصـة(سـومكى) يصـف عوز الآخر (اليهودي الجيتوى) كقصاصة من الورق ، ليبين مدى الضعف الذي يتصف به :

<< كان شاباً أبيض نحيفاً ، قصير القامة ، وهيئته تبدو كما لو كانت قصاصة من الورق ، وشعره مائل للبياض ، وعيناه حمراوتان مثل عيون الأرنب >> [٣] .

وتـبدو شخصـية " كيفنـيس " أحـد أبطـال روايـة (جـبل المكـبر) بملامـح الضعف والنحافة ، وضعف النظر :

<< . . وبين السروال والصندل ظهرت ساقاه نحيفتان أملستان سمراوان . . . ومن خلف نظارته المســتديرة ، بدت عينـــاه كبحيرتان زرقاويتان هادئتان في أرض ثلجية >>[٤].

ويشبه عوز إحدى السيدات بالطيور البطيـئة :

<< كانـت " ليوبوف " فتاه قصيرة وبدينة ، ذات وجه بنى وذقن مدببة . تشبه نوعاً من الطـيور البطيـئة ، وكانـا ثـدياها ضـخمتين بحيـث دفعـا فستانها من الأمام بشكل يدعو إلى الفجور تقريباً >> [٥].

كما بدت شخصية " مدام يفروفا " في هذه القصة بشكل أكثر سأماً :

<< كانـت مثل مطربة الأوبرا العجوز ، وكان لها شارب قصير يميل إلى اللون الرمادي ، وحاجبان كثيفان سوداوان >> [٦].

(٢) الملابس :

ظهر الآخر (اليهودي الجيتوى) في أعمال عوز يرتدى الملابس الأوربية المعروفة :

---

(١)عاموس عوز: "أرتسوت هاتين"(بلاد بنات آوى) ، مجموعة قصصية ، مرجع سابق ، (ص١٧).

(٢)عاموس عوز: "ميخائيل شلى" (عزيزى ميخائيل) ، رواية ، مرجع سابق ، (ص٩٨).

(٣)عاموس عوز: "سومكى" (سومكى) ، قصة ، مرجع سابق ، (ص٣).

(٤)عاموس عوز: "هار هاعيتساه هاراعاه ، شلوشاه سيبوريم" (جبل المكبر ، ثلاث قصص) ،مرجع سابق ،(ص٣٥).

(٥)نفس المرجع ،(ص٣٩).

(٦)نفس المرجع ،(ص٤٠).

<< ظهر السيد " قاديشمان " كالحاً ومنفعلاً، ومرتدياً معطفاً من الفرو الروسي >>(١).

ويطالعنا القاص بملابس " كيفنيس " بطل رواية (جبل المكبر) قائلاً :

<< هكـذا تحـدثت مـع أبـى، الـذي كـان يـرتدى قميصـه الأبيض المتدلي على سرواله الكاكي، ذا الياقة المفتوحة، وصندله التوراتى >> (٢).

<< .. ومـع أول ضـوء، ارتـدى أبـى السروال الكاكي الطويل، والصندل، والقميص الأزرق المكوي ذا الجيوب الواسعة، ثم ذهب إلى العمل >> (٣).

<< .. وفـى الشتـــاء كان يرتدى سروالاً قطـــنياً بنى اللون، ومعطفاً، وقبعة.. أما في ليالـي السبـت، وبعـد الحمـــام، فكان يظهر بقميص أبيض، وسروال ماركة " أتا " رمادي اللون >> (٤).

<< وقف أبى مذهولاً ومتعباً بسرواله الكاكي القصير، وقميص ماركة " أتا " >> (٥).

ولم تكن مـــلابس اليهـــودي الجيتـــوى مهندمة أو منسقـــة، فقد كانت مـــلابس " ليوفوف بنيمينا " مهملة وبالية :

<< .. ومـع هـذا، كانت مهملة في ملابسها وسلوكياتها بعدما تملك منها اليأس بصورة دائمـة، فتجد في فستانها زراراً ضعيفاً ثبت بصورة سيئة، وبقعة زيت تميل إلى اللون الأصفر على طرف فستانها ذو الطراز الفينى >>(٦).

ولا يراعى الآخر (اليهودي الجيتوى) حالة الجو في ملابسه، فهو يرتدى ملابس ثقيلة في جو حار وجاف، كما ذكر عوز في روايته (فهد في السرداب) :

<< جـاء السيد " لاتبروس " من مدينة برلين.. وكان يرتدى، على الرغم من حرارة الصيف، معطفاً رمادياً فوق معطفاً مهندم من نوع آخر وبأزرار >> (٧).

ثانياً : السمات الشخصية :

لعـبت الحـياة التـى عاشـها الآخـر (اليهودي الجيتوى) في الشتات دوراً كبيراً في صياغة صـفاته الشخصـية، وتـدخلت في تكويـنه السـيكولوجي بصـورة قلمـا نجـد لهـا مثـيلاً في الشخصـيات الآخـرى. وعـندما هاجـرت هـذه الشخصـية من بلاد الشتات إلى فلسطين، واجهـتها العديـد مـن المشكلات التى زادت من محنتها ومشاكلها، وكان أعظمها أثراً تعدد

(١)عاموس عوز: "ميخائيل شلى" (عزيزى ميخائيل)، رواية، مرجع سابق، (ص١٣٢).

(٢)عاموس عوز: "هار هاعيتساه هاراعاه، شلوشاه سيبوريم " (جبل المكبر، ثلاث قصص)،مرجع سابق، (ص٦).

(٣)نفس المرجع ، (ص٨).

(٤)نفس المرجع (ص٢٦).

(٥)نفس المرجع (ص٥٢).

(٦)نفس المرجع (ص٣٩-٤٠).

(٧)عاموس عوز: "بانتير بامرتيف" (فهد فى السرداب)، رواية، دار نشر كيتر، القدس، ١٩٩٥ ، (ص١٩).

الأصـول الحضـارية المتجمعة علـى أرض فلسـطين. وكانـت هـناك سمـات لازمتها أينما كانت، نحدد معالمها في النقاط الآتية :

(١) الشعور بالاضطهاد :

شـكلت الأحـداث التـى مـر بها اليهود في الشتات عنصراً أساسياً في تكوين صورة عامة لهـذه الشخصية، ولعبت دوراً هاماً استغله الأدباء الإسرائيليون في الترويج لهذه الأحداث، وحاولـوا صياغة " شخصية جيتوية " عاشت في الشتات، ووقعت ضحية لغطرسة الحكام واضـطهاد الـيهود بصـفة خاصـة. غـير أن سمـة الاستعلاء العنصري التى اجتاحت الفكر اليهودي على مر العصور، كانت سبباً في هذا الشعور بالاضطهاد.

ويمكـن القـول إن هـذا الاسـتعلاء العنصري المشحون بالكراهية، وعدم الاعتراف بندية الآخـرين، قـد تحـول إلى اضـطهاد مـن قـبل الشـعوب التـى يعـيش بيـنها اليهود، حتى في المجـتمعات التـى اعتـنقت الليبرالية والاشتراكية. فما انفك اليهودي فيها يهودياً، ولا يزال هـناك حاجـز سيكولوجي يفصـل اليهود عن غيرهم على الرغم من تقرير المساواة رسمياً. وهـذا التـناقض قـد جـر إلى المذابح والاضطهاد والنكبات التى حطت على اليهود، فالعالم عاجز عن فهم اليهودية، وما برح المفكرون يتساءلون عن كنة الطبيعة اليهودية [١].

وصـور عـوز الآخـر (الـيهودي الجيتوى) في أغلب أعماله كشخصية تشعر بالاضطهاد دائمـاً، موضـحاً أن الـيهودي كـان قـدره في الاضـطهاد يلاحقـه أينما حل، وأينما ذهب. فنجده يقول على لسان القاص في روايته(مكان آخر) :

<< وعلى ما يبدو، فإن القدر اليهودي يطارد اليهود في كل مكان >> (٢).

ويتساءل عوز في هذه الرواية عن أسبـاب هــذا الاضطهــاد :

<< وكمـا هو معروف، كان اليهود مضطهدين في كل مكان، وكانوا يسفكون دماءهم، لماذا ؟ >> (٣).

وفـى روايـته (لمـس المـياه، لمـس الـرياح) يذكر عوز على لسان القاص أن فلسطين هي المكان الآمن لهؤلاء اليهود المضطهدين في كل مكان :

<< . . وفـى عـام (١٩٤٩)، وبعـد أن تمـرس بالعديـد مـن الـتجارب المؤلمة، أدرك " فومـرانتس " أنـه ليس لليهودي ملجأ آمن من حكم الشعوب إلا في دولته وفى أرض أبائه، فوصل ذلك اليهودي طائراً إلى فلسطين >>(٤).

---

(١) د. رشاد عبدالله الشامي: الشخصية اليهودية الإسرائيلية والروح العدوانية، مرجع سابق، (ص ٣١).

(٢)عاموس عوز: "ماقوم أحير" (مكان آخر)، رواية، مرجع سابق، (ص٥٧).

(٣)نفس المرجع (ص٤٠).

(٤)عاموس عوز: "لاجاعت بامايم لاجاعت بارووح" (لمس المياه والرياح)، رواية، مرجع سابق، (ص٤٣).

وفـي قصـته (سومكى) يذكر عوز ما عاناه اليهود في الشتات من أحداث، وكيف أنهم يـربطون بين هذه الأحداث وبين الأعياد اليهودية، حيث أن كل عيد يرتبط بحدث تعرض له اليهود

<< في عـيد " الحانوكا [*] " يتعلم كل أطفال إسرائيل الغضب على اليونانيين الأشرار، وفى عيد " البوريم [*] " على الفرس، وفى عيد " الفصح [*] " يكرهون مصر، وفى عيد " الشـعلة [*] " يكـرهون الـرومان. والأول مـن مايو هو يوم المظاهرات ضد إنجلترا. وفى التاسع من آب يصومون ضد بابل وروما >> [١].

وهكـذا، نجـد الأعـياد لديهم والتى تعتبر مظاهر للبهجة والسعادة والمرح، هي ذكريات ألـيمة يعلمـون فـيها الأطفـال كـيف يكـرهون ويغضبون، ويذكرونهم بأن أجدادهم عانوا ويـلات الاضطهاد في كل مكان تواجدوا فيه. وقد حرص عوز على التذكير بذلك في أغلب أعماله الأدبية:

<< . . وهـنا علـى سـبيل المـثال، عـندما جرى الحديث في الفصل عن الخروج من مصر وعـن الضربات العشر، أعرب معظم الأطفال عن فزعهم الشديد والمبلبل، إلى حد ما، تجاه وحشية المصريين ومعاناة العبريين >> [٢].

أمـا " أحـداث الـنازي " والتـى كـان لها نصيب الأسد في الأدب العبري المعاصر، فلم يتركهـا عـوز وتحدث عنها في روايته (مكان آخر) من خلال " رأوفين حاريش " الذي عبر عن موت الأقارب والأصدقاء الذين سيقوا إلى المحارق النازية:

<< تحـدث " رأوفين " عن الكارثة قائلاً: إن الكثير من أقاربكم، أجداد وجدات لاقوا المـوت علـى أيدي الآثمين. ومن ذا الذي لم يكره شعب إسرائيل على مر الأجيال؟ لقد نفذ

(*) **عيد الحانوكا**: عيد الأنوار – عيد الشموع – عيد المشاعل، وهو ذكرى انتصار الحشمونائيم على اليونانيين، وتدشين هيكل سليمان من جديد عام ١٦٥ م، ويحل في ٢٥ كسليو العبري ويستمر ثمانية أيام.

(*) **عيد البوريم**: يقع في ١٤ و ١٥ آذار العبري احتفالاً بخلاص يهود بابل وفارس من المذبحة التى أعدها لهم هامان وزير أحشويروش، ويتلى فيه سفر استير في الكنس.

(*) **عيد الفصح**: عيد الفطير، من ١٥ وحتى ٢١ من شهر نيسان العبري. يحتفل به بذكرى خروج بنى إسرائيل من مصر بقيادة النبي موسى عليه السلام.

(*) **عـيد الشـعلة**: يأتي في اليـوم الثالث والثلاثين من بدء إحصاء العومر فور عيد الفصح، ويقع في يوم ١٦ أيار العـبري، وهـو حسـب التقاليد يوم انتصار باركوخبا على الرومان، كما هو يوم عيد ديني ومهرجان في جبل الجـرمك (مـيرون) إحـياءً لذكـرى الحاخـام شمعـون بـار يوحاى. في هذا اليوم يقطع الحزن فيمكن حلاقة الرأس والذقن وإجراء طقوس الزواج.

(١)عاموس عوز: "سومكى" (سومكى)، قصة، مرجع سابق، (ص٣).

(٢)عاموس عوز: "ميخائيل شلى" (عزيزى ميخائيل)، رواية، مرجع سابق، (ص١٨٥).

الألمـان عملـهم بـبرود، وطـبقاً لخطة دقيقة وبوسائل علمية ليست بدافع قوة انفجار الغرائز الملتهـبة ... لقـد سيقت طوائف اليهود إلى المحارق، ومن بينهم (أصبح صوت رأوفين قوياً جدا يهز القلوب)، أيضاً أبناء أسرتي : أبى، وأمي، وأخوتي >>[١].

وفـى هـذا الصـدد يمكن القول، إن النازية لم تضع اليهود فقط نصب عينيها، بل كانت تتربـص بكـل الأقليات العـرقية، التى يمكن أن تعوق تحقيق الوحدة الألمانية، وقد تساوت ألمانيا مـع كـل الـدول الأوربية التى سعت لتحقيق قوميتها على حساب الأقليات الموجودة فيها[٢].

ويواصـل عـوز تأكـيده علـى مـا عانـاه اليهودي الجيتوى من اضطهاد في بلاد الشتات في أغلب أعماله الأدبية، فيقول القاص في روايته (فهد في السرداب) :

<< أمـا أمى فقد قتل " هتلر " والديها وأختها " تانيا " في بلاد أوكرانيا، مع كل اليهود الذين لم يتوقفوا عن المجيء إلى هنا في ذلك الوقت >>.[٣].

ويـؤكد عوز في هذه الرواية على أن اليهود في بلاد الشتات كانوا يعيشون في عزلة دائمة، كانت سبباً في اضطهادهم وكراهية الشعوب لهم :

<< قـال أبـى : . . في بولـندا، علـى سـبيل المـثال، كانـوا يكـرهوننا لأننا كنا شيئاً غير مألـوف، غـرباء وغـريبي الأطوار. . أما في ألمانيا، فقد كانوا يكرهوننا بصفة خاصة لسبب آخر : فقد كنا في ألمانيا نتحدث ونأكل ونلبس ونتصرف بالضبط مثل الجميع >> [٤].

لقـد كانـت النظـرة إلى الأحداث التى مرت باليهود في الشتات، نظرة ترويج لاستعطاف العـالم مـن جهة، ونظرة تكمن فيها المحاولة لتضميد الجراح وطى صفحة هذا الماضي المرير والخـلاص مـنه مـن جهـة أخـرى. وانطلاقاً من هذه الرؤى ينظر الصهاينة إلى ماضي يهود الشـتات علـى أنـه ماضـي بـلا قيمة، إلا أنه لا يعبر عن الجوهر الخالص، ولذا يجب تصفية الشتات وماضيه.

ويمكـن القول، إن الشعور بالاضطهاد كان إحساساً خلقه اليهودي بنفسه، وظل يطارده في كـل مكـان محـــاولاً الـتخلص مـنه بشتى الطرق، حتى أننـــا نجـــد عوز يصرخ على لســـان " قديشمـــان " في روايـــة (عزيزي ميخائيل) منددأ بأن اليهود لن يكونوا كبش فداء بعد اليـــوم :

---

(١)عاموس عوز: "ماقوم أحير" (مكان آخر)، رواية،مرجع سابق، (ص٨٢).

(٢) د. أحمـد حمـاد: " اليهود بين الإرهاب الصهيوني " و " الاضطهاد النازي "، رسالة المشرق، مجلة دورية تصدر عن مركز الدراسات الشرقية / جامعة القاهرة، العدد ٢ /٣ ديسمبر ١٩٩٣، (ص١١٩).

(٣)عاموس عوز: "بانتير بامرتيف" (فهد فى السرداب)، رواية، دار نشر كيتر، القدس، ١٩٩٥، (ص٢٤).

(٤)نفس المرجع (ص٢٥-٢٦).

<< سـوف تغير دولة إسرائيل من الآن صورتها. فهذه المرة، ستكون الفأس في النهاية في أيدينا، وقـد جـاء دور غـير الـيهودي لينوح ويسأل إن كان هناك عدل ومتى يظهر ؟ فلسنا قطـيعاً مبعثـراً، ولسـنا كبشـاً بـين سـبعين ذئـباً، ولا قطيعاً للذبح. كفى، ولتكن ذئباً بين الذئاب >> (١).

(٢) الشعور بالاغتراب :

لازمــت سمة الاغتراب الشخصية اليهودية عبر جميع مراحل التاريخ الإنساني، ودفعتها دائمـاً إلى اعتـزال المجـتمعات التى عاشت بينها فيما يسمى بالجيتو أو " القاهال (*) " أو " الشــتتل (*) " أو حارات اليهود. . . وبعد الهجرة إلى فلسطين شعر اليهودي بالاغتراب عن ذلـك المكـان، كمـا كان يشعر بأن جذوره تضرب في تربة أخرى غير تلك التى يعيش فيها، تلـك التربـة التـى استفحلت فيها التناقضات الاجتماعية وتفاقم فيها الصراع بين الأجيال، واتسـعت فـيها الهـوة بـين المثالـية المفرطة التى راودت اليهودي المهاجر والواقع المؤلم الذي صدم به في الوطن الجديد (٢).

وقـد تـناول عـوز في العديـد مـن أعمالـه الأدبـية تلـك السمة، وظهر الآخر (اليهودي الجيـتوى) والمهاجـر الجديـد إلى أرض فلسـطين وهو يتطلع إلى موطنه الأصلي، ويشتاق إلى الـبلاد التى عـاش فـيها طوال حياته، وذلك بعدما اصطدم بأحلام الصهيونية الزائفة ووقع أسيراً بينها، فراح يحلم بذكرياته في بلاد الشتات ويندب قدره.

ولـم يستطع الأدباء اليهود أيضاً الذين وفدوا إلى فلسطين التخلص من مشاعر الغربة التى لازمـتهم طـوال تـواجدهم في أرجـــاء العالـــم. فالانتقال إلى فلسطين كان انتقالاً جسدياً فقط (٣).

وقد أكد عوز على هذه السمة في العديد من أعماله الأدبية :

<< كـان مـن بينـنا، أحـياناً، من يمتلئ أشواقاً إلى الأماكن التى جاءوا منها إلى القدس. فكانوا يغنون أغاني بلغات لا نعرفها >> (٤).

---

(١)عاموس عوز: "ميخائيل شلى" (عزيزى ميخائيل)، رواية، مرجع سابق، (ص١٥٤).

(*) **القاهال**: كلمة عبرية تعنى جمهوراً أو جماعة كبيرة من الناس في مكان واحد، أو طائفة يهودية في إحدى مدن الشتات اليهودي، ويعتبر " القاهال " تجسيداً للحكم الذاتي من قبل الحكومة.

(*) **الشتتل**: كلمة ييديشية تعنى " المدينة الصغيرة "، وهو عبارة عن تجمع سكاني من اليهود يتراوح بين ألف وعشرين ألـف، وكانـت الحـياة تدور فيه حول المعبد اليهودي والمنزل اليهودي، ثم السوق الذي يلتقي فيه اليهود بغير اليهود.

(٢) د. زين العابدين محمود أبو خضرة: جيل يبحث عن هوية، مرجع سابق، (ص٣٣).

(٣) د. محمـد محمـود أبـو غديـر: " صـورة الإسلام والمسلمين في الكتابات العبرية الحديثة "، ورقة عمل ضمن مؤتمر دولي بعنوان " الدراسات الإسلامية عند غير العرب "، جامعة الأزهر، مايو ١٩٩٧م.

(٤)عاموس عوز: "بانتير بامرتيف" (فهد فى السرداب)، رواية، مرجع سابق، (ص٢٤).

فاشتاق الآخر (اليهودي الجيتوى) إلى روسيا وألمانيا، ومــــدن بولنــــدا :

<< فــــي " مائــة شــعاريم " تــوجد أركان بين السلالم الدائرية وحبال الغسيل المرتفعة، جعلته يتذكر الأحياء الفقيرة في مدينة " رادوم " ببولندا >>(١).

<< لقد مرت على في أحلامي، أيضاً، سهول روسية قاحلة >> (٢).

وقد عبر عوز عن الانتقال الجسدي فقط لهؤلاء اليهود في هذه العبارة :

<< هــناك ســهول روسية، والـ " نيو فاوند لاند "، وجزر الأرخبيل. أما أنا فقد نقلت إلى هنا >>(٣).

وفي قصته (اتجاه الريح) يشتاق " شينبوئيم " إلى روسيا وطبيعتها :

<< احــتل شــباب " الهخشــارا "، في تلــك الأثــناء، نقــاط المــراقبة في أعلى برج المياه، وجالــوا ببصــرهم في أرجــاء الــوادي. وقــد جعل، ذلك المنظر، "شينبوئيم" يتذكر صورة الطبيعة الروسية >>(٤).

ووصــل الأمــر بــ " شــينبــوئيم " إلى أنــه كــان يطفــى علــى أى صــوت يطربه الألحان الروسية :

<< ما هذا اللحن الروسي القديم الذي بدأ يخفق في صدره >>(٥).

كمــا أن " روت " زوجة " كيفنيس " في رواية عوز القصيرة (جبل المكبر) تمردت على الواقــع التى وجدت نفسها فيه، واشتاقت إلى أوربا والليالي الصاخبة في بولندا، ونظرت إلى الواقــع الجــديــد علــى أنــه المنفــى الحقيقي، فحسمت الأمر وهربت إلى أوربا دون عــودة تــاركة زوجها وابنها :

<< أليســت هــذه هي العزلة يا " هانز " ؟ إن هذا هو المنفى الحقيقي، والذل، والقمع، والاضطهاد >>(٦).

لقــد تركــت " روت " زوجها وولدها بعد حفل المندوب السامي، ذكرتها فيها الموسيقى الصــاخبة بليالي بولندا، فحنت إلى أوربا التى افتقدتها. وتشــير المؤدبة إلى تحررها من القيود " الصــهيونية "، وفــى نهايــتها تختفــي بمســاعدة الأدميرال " ساترلند " دون عودة. وكأن عالمهــا في أوربــا ولــيس في فلســطين التــى تعــيش فــيها، لأنهــا ارتــبطــت في صــباها بالبيــئة البولندية، وكانت تستمع إلى أجراس الكنائس وترقص في القاعات الصاخبة ببولندا (٧).

---

(١)عاموس عوز: "ميخائيل شلى" (عزيزى ميخائيل)، رواية، مرجع سابق، (ص٥٤).

(٢)نفس المرجع (ص١٨).

(٣)نفس المرجع (ص٨٠).

(٤)عاموس عوز: "أرتسوت هاتين"(بلاد بنات آوى)، مجموعة قصصية، مرجع سابق، (ص٥٤).

(٥)نفس المرجع (ص٥٤).

(٦)عاموس عوز: "هار هاعيتساه هاراعاه، شلوشاه سيبوريم" (جبل المكبر، ثلاث قصص)، مرجع سابق، (ص٣٠).

(٧)يوسف سيه لافان: "عاموس عوز"، مرجع سابق، (ص٣١).

وتعـبيراً عـن هـذه السـمة، يـتحدث القـاص أيضاً في رواية (فهد في السرداب)، كيف كـانت أمه تحكـى له حكايات عن أيامها في أوكرانيا، وذلك في إشارة إلى أشواقها إلى هذه البلدة التي نشأت فيها، وإحساسها بالاغتراب على هذه الأرض التى نقلت إليها :

>> كانـت أمـى، أحـياناً، . . تحكـى لي عن ذكرياتها. فذات مرة، حكت لي كيف. . كانت تجلس في صباح يوم صيفي على شاطئ البحر الصغير بأوكرانيا >>[1].

ويمكـن القـول أن هـذه السـمة قد شاعت في العديد من أعمال عوز الأدبية، ففي روايته الصغيرة (أشـواق) التى سميت بذلك لأن الدكتور " عمانوئيل نوسباؤم " كان يشتاق إلى فيينـا فهجـرها بعـدما فشـل في إعادة زوجته " مينا " التى تركته، لكنه لم يحقق له مكاناً في قدس المستقبل، لأنه ابن الجيل الماضي ـ القديم ـ الغريب والمنعزل وعديم الجذور [2]. كما أنـنا نجـد في رواية (مكان آخر) مسألة " هنا " و " هناك " تحمل في الرواية تعبيراً شخصياً خاصـاً بعـوز كأديب، فمن وجهة النظر الاشتراكية فإن ألمانيا هي المكان الذي تحدد في عرين قصـة الواقـع، لـذا فكل مكان بالنسبة لأطفال البلاد ليس هو فلسطين، فمن شأنه أن يكون قـوة جـذب. . . ولم تكـن مشـكلة " هـنا وهـناك " ـ كطرفين ـ يقف كل منهما في مقابل الآخـر، بل مشكلة " هناك " داخل الـ "هنا " ، أو الـ " هنا " التى هي مركز الـ " هناك " كدائرتين تدخل كل منهما في الآخرى [3]. كما أننا نجد " شرجا أونجر " في الرواية القصيرة (حـب متأخـر) علـى الرغم مما حدث له في روسيا واتهامه بجريمة ظلماً، إلا أنه كان يشتاق إلى روسـيا الواسـعة والـباردة، والتـى كانـت أحياؤها وثلوجها تخلب لب سكانها ولبه هو أيضـاً، لكـنه كـان يخنق أشواقه هذه في نفسه [4]. وهنا نلاحظ وجود تناقض غريب في هذه الشخصـية، إذ أنـه بالـرغم من أننا نلاحظ أنه قد وضع في اعتباره هدفاً رئيسياً سعى ليحققه وهـو الانـتقام من الروس جزاء ما فعلوه به، إلا أننا نجده يشتاق إلى روسيا بجمالها وثلوجها وصقيعها، فقد وجد أن كراهية الروس لليهود أفضل من الواقع الذي انتقل إليه.

(٣) الميل إلى لغة الشتات :

واجـه الآخر (اليهودي الجيتوى) مشاكل عديدة عند هجرته إلى فلسطين، كان من بينها اللغـة المشـتركة التـى سيتعامل بهـا مـع الجموع المهاجرة من البلاد المختلفة والتى تنتمي إلى ثقافـات ولغـات عديـدة. وعلى الرغم من حسم هذه المسألة في التحدث باللغة العبرية، إلا

---

(١)عاموس عوز: "بانتير بامرتيف" (فهد في السرداب)، رواية، مرجع سابق، (ص٦٨).

(٢)يوسف سيه لافان: "عاموس عوز"، مرجع سابق، (ص٣٣).

(٣)نفس المرجع (ص١٥-١٦).

(٤)يوسف سيه لافان: "عاموس عوز"، مرجع سابق، (ص٢٦).

أنـنا نجـد هـؤلاء الـيهود يميلون إلى التحدث بلغة الشتات، ويرون أن اللغة العبرية تفتقر إلى المصطلحات، ولا تعبر تعبيراً كافياً عما يريدون قوله، ولذا فإن لغة البلد التى كانوا يعيشون فيها طغت على اللغة العبرية، في غالب الأحيان.

وقـد حـاول عـوز إبـراز ذلـك في الكـثير مـن أعماله الأدبيـة، فيطالعنا القاص في قصـة (نيران غريبة) بأن اللغة العبرية ضعيفة وتفتقر إلى تعدد المصطلحات :

<< كانـت " ليلى دننبرج " تلقب هذا الشيء بالضخامة، وبذلك كانت تعود وتشير إلى ضعف اللغة العبرية التى تفتقر إلى تعدد المصطلحات >> (١).

لقـد ظـل الآخـر (الـيهـودي الجيـتوى) يتسـاءل عـن كـل شـئ وما هو مقابله في اللغة العبرية، وهو ما يشير إلى افتقاد اللغة العبرية للكثير :

<< لقـد سـألت سـؤالاً بلاغياً، كيف يكون ذلك بالعبرية يا " يائير "، كيف يقولون في العبرية مسألة بلاغية ؟ >> (٢).

ويشـير عوز إلى أن العبرية لم تف بمتطلبات (اليهودي الجيتوى) حتى يمكن الحديث بها دون حاجة إلى كلمات أجنبية :

<< هـناك مشـاعر عديـدة، حـول أن اللغة العبرية ما زالت لم تتطور بالقدر الذي يكفى لوصفهم... إن كلمة مثل " انحراف " لا توجد في العبرية >>(٣).

ونظـراً لافـتقار اللغـة العبرية في تلك الفترة، أى بعد هجرته إلى فلسطين، دأب اليهودي الجيتوى على الحديث بلغة الشتات، تلك اللغة التى تعلمها وأحبها. فتحدث الألمانية :

<< حسن، الآن حسن، لا تنكر أنه حسن. قالتها بالألمانية >>(٤).

<< حدثت تلك الأفكار باللغة الألمانية >> (٥).

ووصـل الأمـر إلى أن " كليننـبرج " أحـد شخصـيات قصة (نيران غريبة) يؤلف شعراً باللغـة الألمانـية وهـو يعـيش في إسـرائيل، وعلى الرغم من معرفته باللغة العبرية، مما يؤكد على أن لغة الشتات كانت هي اللغة المحببة لدى (اليهودي الجيتوى) عن اللغة العبرية :

<< كان يؤلف شعراً باللغة الألمانية >> (٦).

وفي رواية (فهد في السرداب) يشير القاص إلى طغيان اللغة الألمانية على العبرية :

<< .. وسمعنا كيف كان السيد " لاتسروس " يتجادل مع الطيور باللغة الألمانية >>(٧).

---

(١)عاموس عوز: "أرتسوت هاتين"(بلاد بنات آوى)، مجموعة قصصية، مرجع سابق، (ص١٢٠).

(٢)نفس المرجع، (ص١٢١).

(٣)نفس المرجع (ص١١٣).

(٤)نفس المرجع (ص١١٦).

(٥)نفس المرجع (ص١١٢).

(٦)نفس المرجع (ص١٣٣).

(٧)عاموس عوز: "بانتير بامرتيف" (فهد فى السرداب)، رواية، مرجع سابق، (ص٢٠).

وعـلاوة علـى اللغة الألمانية ، تحدث الآخر (اليهودي الجيتوى) بعد هجرته إلى فلسطين الروسية ، والبولندية ، والييديشية . وتقول " حنة " في رواية (عزيزي ميخائيل) :

>> وقـف الأطـباء مـن حولـي . . . لم أسـتطع الـنهوض . كـان الأطـباء يـتحدثون بالبولندية >>(١).

>> أخذت السيدتان كل منهما بيد الآخرى ، ودفعت كل منهما الأخرى بلطف ، ونادوا بعضـهن باسـم " بانـى جـرينباؤم " و " بانى الدكتوره " ، ودار بينهما نقاش بلغة بولندية سريعة >>(٢).

>> . . وفـى الظهـيرة ، وصـلت العمـة " جنيا " إلى المستشـفى . . . وكانـت تتحدث الألمانية والبولندية بصوت قوى >> (٣).

وتشـير " حنة " كذلك ، في هذه الرواية ، إلى أن العمة " جنيا " كانت تعانى من افتقار اللغة العبرية :

>> كانـت تفتقـر ، فـى غالـب الأحـيان ، إلى أية كلمة عبرية . . . وتتحدث الييديشية ، وتشتم نفسها ببولندية ذات صفير >> (٤).

وتشير " حنة " إلى أن أمها كانت تتحدث البولندية :

>> كانـت أمـى طـوال الطـريق تنشـد بانفعـال نفسـي وبصـوت مدهش إحدى أغاني " ميتسكبيتش " باللغة البولندية >> (٥).

وتحـدث اليهودي الجيتـــوى الإنجليزية والروسية ، كما طالـعنا القاص في روايـــة (فهد في السرداب) :

>> . . وأمـام الـباب تحـدث أبى الإنجليزية المختلطة بالروسية . . . وقال : مرة أخرى ، شكراً ، وإلى اللقاء أو سلام >>(٦).

وهكـذا ، طغـت لغـة بـلاد الشـتات الـيهودي على اللغة العبرية حتى بعد الانتقال إلى فلسـطين ، وشـعر الآخـر (الـيهودي الجيـتوى) بضـعف اللغة العبرية ، أو عدم قدرتها في التعبير عما يريد أن يقول ، فمال إلى الحديث باللغة التى تعلمها . وربما كان ذلك سبباً في أن اللغة العبرية تحتوى على العديد من الكلمات الأجنبية لترضى جميع الأذواق ، وليكون ذلك

(١)عاموس عوز: "ميخائيل شلى" (عزيزى ميخائيل)، رواية، مرجع سابق، (ص٥٨).

(٢)نفس المرجع (ص٦٠).

(٣)نفس المرجع (ص٥٥).

(٤)نفس المرجع (ص١٧٧).

(٥)عاموس عوز: "هار هاعيتساه هاراعاه، شلوشاه سيبوريم" (جبل المكبر، ثلاث قصص)، مرجع سابق، (ص٥٢).

(٦)عاموس عوز: "بانتير بامرتيف" (فهد فى السرداب)، رواية، مرجع سابق، (ص٤٨).

عـاملاً في إذابـة الحواجـز بـين الـثقافات المخـتلفة التى أتى منها (اليهودي الشتاتى)، وحلاً لضـعف اللغـة العـبرية في التعبير عـن مقصده. ويمكن القول كذلك أن طغيان لغة الشتات علـى اللغـة العـبرية، لم يـرجع فقـط إلى ضعف اللغة العبرية، بل إلى ارتباط ذلك اليهودي بمسقط رأسه واشتياقه إلى البلد التى تربى فيها وعاش بين أهلها.

(٤) شخصية انعزالية :

ربمـا كانت حياة العزلة التى عاشها اليهود في بلاد الشتات سبباً في ميل هذه الشخصية إلى الانعــزالية، حـيث دأب الأدب العـبري علـى إظهـار هـذه الشخصية في إطـار من العزلة والـوحدة. وظهر الآخر (اليهودي الجيتوى) في أعمال عوز الأدبية في صورة إنسان أرمل، وأعزب، ومطلق، وأحياناً عاقر، ويبتعد عن الناس، ويعشق الحياة الفردية :

<< من الممكن أن نقول عن " كلينبرجر " إنه إنسان عاقر >>(١).

<< كانت " ليلى دننبرج " مطلقة، وهى تبلغ من العمر ستة وأربعون عاماً >>(٢).

<< كان الدكتور " ألحنان " أعزب، وهو عالم في الآثار والحضارة المصرية القديمة >>(٣).

<< كان " يوسف يردين " أرمل، وعلى وشك أن يزوج ابنه البكر " يائير " >>(٤).

وهكذا، بدت أغلب شخصيات قصة (نيران غريبة) تعيش في وحدة وانعزاليــة، كـما نجــد ذلـك أيضــاً فـــي شخصـيـة " فومــرانتس " فـي رواية (لمس المياه، لمس الرياح) الذي كان يفكر دائماً في خلوة مع نفسه :

<< جلـس " فومـرانتس " وحيداً في كوخ مهجور. . . وكان يختلي بنفسه نهاراً وليلاً، ويكثر من الأفكار المختلفة >> (٥).

كمـا أن " فومـرانتس " شخصــية هامشــية ليس لها دور، وإذا ظهر وسط جماعة يظل صامتاً :

<< ليـست لديه مقـــترحات، ولا يتحدث منتـــقداً. وبصفـــة عامة، من الصعب أن تعرف ما لديه. >> (٦).

وقد يحدث أن يرفض الآخر (اليهودي الجيتوى) الزواج، ويفضل حياة العزلة عليه :

<< ألم أحـك لـك ذات مـرة يـا " حـنة "، أن العمـة " جنيا " بذلت قصارى جهدها لتـزوج أبـى مـن امـرأة أخـرى ؟ وكانـت في كل مرة من زياراتها تقريباً تحضر معها إلى بيتنا

(١)عاموس عوز: "أرتسوت هاتين"(بلاد بنات آوى)، مجموعة قصصية، مرجع سابق، (ص١١٤).

(٢)نفس المرجع (ص١١٣).

(٣)نفس المرجع (ص١٠٩).

(٤)نفس المرجع (ص١٠٩).

(٥)عاموس عوز: "لاجاعت بامايم لاجاعت باروح" (لمس المياه والرياح)،رواية، مرجع سابق، (ص٦).

(٦)نفس المرجع (ص٨٤).

(١) د. محمود صميدة: الشخصية العربية في القصة العبرية القصيرة، عالم الفكر، المجلد ٢٤ / العدد ٣، يناير / مارس ١٩٩٦، (ص ١٠٧).

إحـدى معارفهـا أو صـديقاتها . . لقد كن ممرضات عجوزات مهاجرات حديثاً من بولندا، مطلقات ونحيلات >>[1].

<< . . وفـي الوسـط كـان هناك راع نائم، أسود ككتلة البازلت . . يضربك برائحته . . جسده محنى، وكتفيه محدودبان >>[1].

وفي موضع آخر من القصة يصف ذلك الراعي بأوصاف غير آدمية :

<< سـوف أحكـى لكـم بوضـوح، إن ذلـك الراعـي يتمـتع بملامح وجه ماكرة إلى حد التشوه، مفتوح العينين، مكسور الأنف، لعابه يسيل، يبرز من بين فكيه أسنان طويلة حادة ومقوسة كأسنان الثعلب >> [2].

ويستمر عوز في وصف الآخر (الفلسطيني) بهذه الأوصاف :

<< كـان جلـده قاتمـاً للغاية، مفعماً بالحياة دافئاً، تملأ الشقوق خديه. إنه أغرب إنسان عـرفته " جيـئولا "، ذو لون وطابع ورائحة غريبة، ذو أنف دقيقة ومستطيلة، وربما كانت أيضاً معقوفة قليلاً، وأسفل ظل شاربه شديد السواد، ويبدو جلد وجنتيه كما لو كان غائراً إلى داخل فراغ الفم >>[3].

ويسـتمر عـوز في إسباغ هـذه الأوصاف على مدار أعماله الأدبية الآخرى، ففي روايته (عزيزي ميخائيل) يصف التوأمين العربيين بنفس هذه الأوصاف والملامح :

<< لقـد حكـيت لميخائـيل عن التوأمين . . كانا ذئبين بنيين، مرنين ذوى أسنان بيضاء، وحشين قاتمي اللون >> [4].

وهكـذا، يمكن القول أن ملامح البنيان الجسماني للفلسطيني جاءت لتشبه، إلى حد كبير في بعضـها، الملامـح الجسـمانية للآخـر (اليهودي الجيتوى). ومما يؤكد رسوخ هذه النظرة للآخـر الفلسـطينى لـدى عـوز، مـا قالـه في معرض رده على المعترضين على عرض العمل التلفزيونـي المأخوذ عن قصة (خربة خزاعة) لساميخ يزهار : << إن العرب الذين يظهرون في هـذا الفـيلم لا يستطيعون أن يصيبوا شبابنا بالضرر، أو يغرسوا فيه تعاطفاً مع العدو. إن العـرب في هـذا الفـيلم يظهـرون كعـادتهم، ذوى شـوارب، وحائكي مؤامرات، وبدائيين للغاية، وبعضهم يتمرغ في قيئه >> [5].

ولعـل مـا ينبغـي أن نشير إليه، أن هذه الملامح الجسمانية التى أسبغها عوز على العربي الفلسـطينى، هـي ملامح تقتصر فقط على نمط معين من أنماط الشخصية العربية، وهو نمط الشخصـية الـبدوية. ولم يتعرض عوز في الأعمال الأدبية التى تم تناولها للأنماط الآخرى، مثل نمط الإنسان الحضري أو الذي يعيش في المدينة.

---

(١)عاموس عوز: "أرتسوت هاتين"(بلاد بنات آوى)، مجموعة قصصية، مرجع سابق، (ص٢٧).

(٢)نفس المرجع (ص٢٩).

(٣)نفس المرجع (ص٣٥).

(٤)عاموس عوز: "ميخائيل شلى" (عزيزى ميخائيل)، رواية، مرجع سابق، (ص٢٢).

(٥)عاموس عوز: "بأور هاتيخيلينت هاعازاه" (فى الضوء الأزرق الساطع)، مرجع سابق،(ص١٦٠).

(٢) الملابس :

ســار عــوز علــى نهــج بعــض الأدباء الإسرائيليين في وصف الملابس الخـاصة بـالآخر (الفلسطينى)، وكأنـه لم يـرتد إلا الملابس الريفيـة أو البـدوية فقط . كما أنه مثل (اليهودي الجيتوى) لم يراعى حالة الجو في ارتداء الملابس :

<< أخـذت الفـتاة تستعرض بعينيها جلبابه الغامـق البدوي قائلة : ألا تشعر بالحرارة وأنت داخل هذا الشيء >>(١)

<< . . أمـا ملبسـه فعبارة عـن ملبس مـن الصـوف والكـتان، ومعطـف أوربي قصير ومخطط، ومن أسفله جلباب أبيض بدوي >> (٢).

<< . . وفى كل صباح مع نهاية الصيف . . كان يأتي فلاحون من القرية العربية التى تقع على الشاطئ. . بعباءات غامقة >> (٣).

لقـد ركـز عـوز في وصـفه لملابـس الآخر (الفلسطينى) أيضاً على نمطين فقط من أنماط الشخصـية العـربية، وهـو نمط الفلاح، ونمط الإنسان الريفي. ومن خلال وصفه للملابس عمـد عـوز إلى إظهار العربي الفلسطينى بملبس غير منسق، وغير مهندم، فهو يرتدى أشياء كـثيرة غـير منسـقة أو مـتلائمة، ولا يراعـى فـيهم حالـة الجـو، تماماً مثل الآخر (اليهودي الجيتوى).

وهكـذا، يمكـن التأكـيد علـى أن ملامـح العربـي الفلسطينى في أعمال عوز الأدبية، قد تشابهت، إلى حد كبير، مع ملامح اليهودي الجيتوى من خلال الجدول المقارن الآتي :

الآخر	العربي الفلسطينى	اليهودي الجيتوى
	(أسود ككتلة البازلت، جسد محنى، كتفان محدودبان، مكسور الأنـف، لعـاب يسـيل، أسـنان طـويلة حـادة ومقوسـة، بشـرة قاتمـة، أنـف مسـتطيلة، ملامـح وجـه ماكرة، شارب كثيف شديد السواد) ☆☆☆☆	(بشـرة قاتمـة، جسـد واهن، كـتفان نحيلان، أنـف مستقيمة، عيـنان صـغيرتان، فكـان غليظان مقوسـتان، قصير القامة، نحيف، وجـه مجعـد، رأس صغير، شعر خفـيف، حاجـبان كثـيفان سوداوان، ساقان نحيفتان) ☆☆☆☆

(١)عاموس عوز: "أرتسوت هاتين"(بلاد بنات آوى)، مجموعة قصصية، مرجع سابق، (ص٣٦).

(٢)نفس المرجع (ص٢٧).

(٣)عاموس عوز: "قوفساه شحوراه" (صندوق أسود)، رواية، مرجع سابق، (ص٢٠٩).

	يـرتدى (ملبس مـن الصوف والكـتان، معطف أوربي قصير، جلـباب أبـيض بـدوي، عـباءة غامقة)	يـرتدى (معطـف أوربـي، قمـيص أبـيض / أزرق مـتدلى، سروال كاكى، ملابس بالية رثة)

(٣) الأعمال التى يقوم بها :

كـان الصـهيونيون يـرون أنـه لكـي ينجح الاستيطان في فلسطين فإنه يجب تحديد موقف الـيهود مـن أرضـها، الأمر الذي أفرز بدوره ما يسمى بـ " صهيونية العمل " التى ترى أنه لابـد للـيهودي مـن العمـل في الأرض الفلسـطينية وفلاحتها حتى يتم الاستيلاء والسيطرة عليها. ومن هنا تعمد اليهود إبعاد العرب عن مجالات العمل تحت شعار " العمل العبري " الـذي كـان يهدف إلى تجاهل وجود شعب آخر _ غير اليهود _ في فلسطين، وكذلك إزالة جـزء مـن الطـبقة العاملـة العـربية فـيها مـن أجـل إنجاز بـرنامج الدولة الذي تبنته الحركة الصـهيونية، وهـو الاستيلاء على العمل والاستيلاء على الأرض. وتحت تأثير هذا الشعار طـرد مبعوثو الصهيونية مئات العمال العرب من أماكن عملهم، ومن تبقى منهم انحصرت أعمالهم في الأشغال الحقيرة التى لا يقوم بها العامل اليهودي كالعمل في المجارى والبناء[1].

وفـى أعمـال عـوز انحصـرت الأعمـال التـى يقوم بها الآخر (الفلسطينـى) في البناء، والحرف، ورعاية الغنم، وغـير ذلك من الأعمـــال الحقيرة. ففي روايته (صندوق أسود) يشير عوز إلى الأعمال التى يقوم بها الفلسطينى قائلاً :

<< .. وكـنت أرى مـن نافذة الحجرة العمال العرب الثلاثة الذين أحضرهم " ميشيل " يحفرون قواعد لصب أساسات التوسع الذي يبنيها " ميشيل " بأموالك >>[2].

ويشـير عـوز في هـذه الـرواية أيضـاً، إلى الأعمـال الأخـرى التـى يقـوم بهـا العـرب الفلسطينيين :

<< .. وبعـد ذلـك وجـدت عمـلاً آخـر، وهو تنظيف المناضد في مقهى، وهناك كانوا يـنادونني " أحمـد "، لأنهـم اعـتقدوا أنني عربي صغير. وفى الحقيقة، وبسبب ذلك فقط بدأت أضع طاقية على رأسي >>[3].

وعلـى الـرغم مـن أن هـذا العمـل، وهـو تنظـيف المناضد في المقاهي، يقوم به شخص يهـودي وهـو مـا يـؤكد أن هـذه الأعمـال لم تقتصر فقط على العرب، بل كان هناك يهود

(١) د. محمـود صـميدة: الشخصية العربية فى القصة العبرية القصيرة، (١٩٤٨-١٩٦٧) رسالة دكتوراه ، كلية الآداب جامعة عين شمس، (ص ١٢١).

(٢)عاموس عوز: "قوفساه شحوراه" (صندوق أسود)، رواية، مرجع سابق، (ص٧٤).

(٣)نفس المرجع (ص١٦٣).

يعملـون فيها، إلا أن عوز يريد القول أنه من الغريب أن يقوم إسرائيلي بمثل هذه الأعمال، لــذا فقــد اعتقدوا أن "ميشيل " هو عربي، وكانوا ينادونه " أحمد "، فاضطر " ميشيل " رغبة منه في ألا يتشبه بالعرب إلى وضع طاقية يهودية على رأسه.

ويـريد عـوز أن يلصـق هـذه الأعمـال للفلسـطيني، لـيس فقـط في فلسطين بل أيضاً في الخارج، رغبة منه في التأكيد على أن هذه الأعمال يقوم بها العربي الفلسطينى في أي مكان، ولا يعمل إلا فيها :

<< عـندما كـنت شاباً، عملت بباريس في خدمة الزبائن، وكان هناك من بين الزبائن بما في ذلك اليهود يعتقدون، عن طريق الخطأ، بأنني عربي صغير >>(١).

ويشـير عـوز كـذلك في نفس هـذه الـرواية إلى الأعمـال التـــى كـان يقـوم بها الآخر (الفلسطينى) :

<< كـان هـناك خـدم مـن العـرب المسيحيين يرتدون فراك* أسود، يقدمون لنا السمك المملح >>(٢).

كما ظهر الآخر (الفلسطينى) في أعمال عوز الأدبية ضمن الباعة المتجولين ذوى الحرف الحقيرة :

<< . . ويـتجول في المديـنة باعـة جائلـون طاعنون في السن، وذوى حرف مذهولون. . وكان هناك رجل بدين ذو رأس ضخمة فى هيئة الحداد القديم يصيح قائلاً : (أصلح وابور بريموس) >>(٣).

والعرب الفلسطينيون هم حرفيون أيضاً في روايته (الحالة الثالثة) :

<< اتضح أن الأب المسن كان يريد إبلاغ ابنه، أنه وجد لـ " فيما " حرفيين سوف يأتون الأسبوع القادم لدهان شقته، وهم عرب من قرية (أبوديس) >> (٤).

ويحـاول عـوز كـذلك في هـذه الرواية إظهار أن الأعمال التى لا تحتاج إلى عقل أو تفكير تقتصـر فقط على الفلسطينيين، رغبة منه في تعضيد مقولة " عمل عربي " الشائعة لديهم في إسرائيل، وذلك للحط من قدر الشيء ولوصف انعدام الكفاءة في مهارة العمل :

<< لمـاذا العـرب في المـناطق هـم بهـائم العمـل الخاص بنا ؟ ماذا تعتقدون ؟ أنهم سوف يوافقـون علـى أن يكونـوا حطـابين سقائين للأبد ؟ . . . وأن العرب فقط في المناطـق سوف يسـتمرون فى هدوء حتى نهاية الأجيال في تنظيف المراحيض لنا، وفى كنس الشوارع، وفى

---

(١)عاموس عوز: "قوفساه شحوراه" (صندوق أسود)، رواية، مرجع سابق، (ص١٩١).

(*) فراك: رداء رسمى يلبس فى الاحتفالات الرسمية.

(٢)نفس المرجع (ص٩٠).

(٣)عاموس عوز: "ميخائيل شلى" (عزيزى ميخائيل)، رواية، مرجع سابق، (ص٧٤).

(٤)عاموس عوز: " هامتساف هاشليشى " (الحالة الثالثة)، رواية، مرجع سابق، (ص١٤٥).

غسـل الصـحون بالمطـاعم، وفـي تجفـيف قـذارة شيوخنا الذين في حاجة إلى مساعدة، ثم يقولون بعد ذلك شكراً جزيلاً >>[١] .

إن محاولة ظهور الآخر (الفلسطينى) في الأعمال الحقيرة التى لا يقوم بها اليهودي، ينبع مـن شعور اليهود بالتفوق، وبأنهم أسمى وأرقى من الشعب العربي، وهذا نتيجة للمفهوم السائد لدى الإسرائيليين بأن العربي كسول، وأنه لا يمكن إسناد أي عمل صعب إليه، لأنه لـيس لديـه الاسـتعداد ولا القـدرة الذهنية أو الجسدية اللازمتين لأدائه، لأنه لا يستطيع أن يـؤدى العمـل إلا " بطـريقة العربـي " ، وهو تعبير شائع الاستخدام بعد أن صار جزءاً من الـتراث الإسـرائيلي عـن العـرب، فالمـثل العبري " عمل عربي " يكاد يكون ترجمة حرفية لتعبير أداء العربي للعمل، ويستخدمه الإسرائيليون للحط من قدر الشيء، ولوصف أفظع درجات انعدام الكفاءة والافتقار إلى المهارة في أداء العمل [٢] .

ولكنـنا نـرى أن مثل هذه الأعمال لم تقتصر فقط على العرب، بل كان هناك من اليهود من يعملون فيها، مثل " ميشيل " في رواية (صندوق أسود) الذي كانوا ينادونه " أحمد " ، وكـان ينظف المناضد في المقاهي، وكان يعمل كذلك في خدمة الزبائن بباريس. وكان يعمل أيضاً في البناء مع العمال الذي أتى بهم للعمل في منزله :

<< . . و" ميشيل " نفسه يعمل مع هؤلاء العرب يومياً. . . ولم يكن بحاجة إلى مقاول لأنه كان يعمل بنّاء منذ العام الأول لمجيئه إلى البلاد >> [٣] .

(٤) المساكن التى يعيش فيها الآخر (الفلسطينى) :

ظهـر الآخـر (الفلسـطينى) في أعمـال عـوز في صـورة مـن يسكن الصحراء في خيام، ويعيش في قرى عشوائية قذرة، ويسكن البيوت الحجرية المتداخلة :

<< . . وخيام البدو الرحل مصنوعة من القماش الأسود >> [٤] .

<< تصاعد ما هو أشبه بالنواح الغامض من مخيمات البدو الرحل ناحية الجنوب >> [٥] .

وفى قصته (دير الصامتين) يصف القرية في صورة أكواخ :

<< كانـت ديـر الناشف تقع أسفل الجبال الشرقية. . . وظلام الخوف والفزع يخيم على أكواخها >> [٦] .

ويصف عوز الفلسطينين وهم يعيشون في بيوت حجرية متراصة :

---

(١) عاموس عوز: " هامتساف هاشليشى " (الحالة الثالثة)، رواية، مرجع سابق، (ص١٤٦).

(٢) د. محمـود صـميدة: اسـتراتيجية الأدب الصـهيونى لإرهـاب العـرب، (سلسلة نحن وهم)، مؤسسة الأتحاد للصحافة والنشر، أبو ظبى، ١٩٨٠، (ص ١٣٨).

(٣) عاموس عوز: "قوفساه شحوراه" (صندوق أسود)، رواية، مرجع سابق، (ص٧٤).

(٤) عاموس عوز: "أرتسوت هاتين"(بلاد بنات آوى)، مجموعة قصصية، مرجع سابق، (ص٢٨).

(٥) نفس المرجع (ص٣٨).

(٦) نفس المرجع (ص٨٧).

<< . . وحول مآذن المساجد تقبع قرى متراصة مبنية من الحجارة >>(١).

<< ومـن الناحـية الثانـية للـوادي يطـل الحي العربي، لا هو بالضاحية ولا هو بالقرية. مجموعة من البيوت الحجرية الصغيرة متجمعة حول مئذنة أحد المساجد>> (٢).

ثانياً : السمات الداخلية للآخر (الفلسطينى) :

كانـت الملامـح الخارجيـة للآخـر (الفلسـطينى) كمـا ذكـرناها سـابقاً، هي بمثابة تمهيد للحكـم علـى سلوكه وطبائعه السيكولوجية في الحياة. ذلك لأن الهيئة الخارجية لأي إنسان تعطـى انطباعا خاصاً لمن يراه، ويمكن من خلال مظهره الخارجي تقييم هذا الشخص تقييماً ذاتـياً وسـلوكيـاً. لـذلك عـندما يصـف عـوز الآخـر (الفلسـطينى) في هيئته الخارجية بأن "منظـره قميء" ، و " لعابه يسيل " ، و " يثير الغثـيان " ، و " ملبسه ممزق " ، ويعمل في " أحقـر المهـن " ، ويسـكن الصـحراء والبـيوت الحجـرية، فمـن الطبيعـي أن تكـون هـذه الأوصاف بمثابة مقدمة للتمهيد لسلوكياته التى تتجلى في العنف، والاغتصاب، والتخلف، والسرقة. . الخ.

وبالفعـل فإن الأوصاف الداخلية للآخر (الفلسطينى) في أعمال عوز الأدبية، قد تجلت في السمات التالية :

(١) غير متحضر (متخلف) :

يظهـر الأدب العـبري الحـديث الإنسـان العربـي في صورة المتخلف الذي لا يعرف كيف يتصـرف، والبعيد عن النظافة والتحضر. فموشيه سطابيسكى يؤكد على أن شروط النظافة والمحافظـة علـى الصـحة تكـاد تـنعدم بـين العـرب. والإجراءات الصحية التى لا يستطيع الإنسـان الغربـي أن يعـيش دونهـا ولـو ساعة واحدة غير متوفرة في أية قرية عربية، حتى في القـرى الكـبيرة الغنـية (٣). وقـد حـاول عـوز في العديـد مـن أعمالـه إظهـار صورة الآخر (الفلسـطينى) المـتخلف الــذي يجلـب معه المرض والقحط، ولا يعتني بنفسه أو ببهائمه. ففي قصته (البدو الرحل والأفعى) يقول :

<< لقـد جـاء المـرض مـن الصحراء، حمله لعاب البهائم المهملة التى لم تخضع أبداً لأي إشـراف بيطـري. وعلـى الـرغم من أننا أقدمنا على اتخاذ عدة وسائل وقائية، إلا أن الوباء أصـــاب أغنامنـــا وأبقارنا، وقلل بصورة صعبة من إنتاج الألبان، وتسبب كذلك في قتل عدة بهائم >> (٤).

---

(١)عاموس عوز: "بانتير بامرتيف" (فهد فى السرداب)، رواية، مرجع سابق، (ص٦٤).

(٢)عاموس عوز: "قوفساه شحوراه" (صندوق أسود)، رواية، مرجع سابق، (ص٧٤).

(٣) غانم مزعل: مرجع سابق، (ص ١٥٠).

(٤)عاموس عوز: "أرتسوت هاتين"(بلاد بنات آوى)، مجموعة قصصية، مرجع سابق، (ص٢٨).

وهـنا نلاحـظ أن عـوز يضـع الآخر (الفلسطينى) في صورة الإنسان القذر، الذي ينقل الأمـراض معه أينما ذهب، ولا يعتني بغنمه ولا يوفر لها العناية البيطرية اللازمة، مما يؤدى إلى إصابتها بكثير من الأمراض التى تنتقل هي الأخرى إلى أغنام المستوطنين الصهاينة. وفى هـذا الصـدد يقـول غـانم مـزعل : << في كـل هذا الأمر مبالغة كبيرة، إذ من المعروف عن القـروي العربـي أنـه يعنـى بحيواناته عناية فائقة، لأنها مصدر مهم من مصادر رزقه، وهو حـريص علـى أن تكـون في صـحة جيدة لأنها تقيم أوده، وتسد كثيراً من حاجاته اليومية. ولعـل التراث الشعبي عن هؤلاء الفلاحين في مختلف القرى والمضارب يصور مدى حرصهم على أغنامهم وأبقارهم وخيولهم وجمالهم. >>(١)

وقـد حـرص عـوز كذلك على وضع " الكيبوتس " الذي يرمز إلى المدينة الإسرائيلية في مـواجهة القـرية العـربية التى يمثلها شخص بدائي همجي، قذر ومتخلف. فيقـول في قصته (بلاد ابن آوى) :

<< كان عالمنا عبارة عن مجموعة من الدوائر، الدائرة الخارجية هي دائرة الظلمة الغامضة التـى تقع بعيداً عن هنا في الجبال والصحارى الشاسعة. وفى الليل تقع في وسط هذه الدائرة دائرة مغلقة ومصمتة، حيث حقولنا وكرومنا وبياراتنا وبساتيننا >>(٢).

وربمـا يـريد عـوز القـول، إن إسـرائيل محاطـة بدائـرة كبيرة من الظلام تمثلها الصحارى الشاسـعة ويقصـد بهـا العرب، وهى دائرة جرداء ومظلمة وقاحلة، بينما الدائرة الداخلية، هـي الدائـرة التـى تشـع بالحـياة وبخـيرات الدنـيا وبناتج العمل والدأب : الحقول والكروم والبسـاتين. . الخ التى هي إفراز حي للحضارة الحديثة التى تجاوزت كل عقبات التعامل مع هذه الصحارى، وحولتها إلى جنان مزهرة.

ويسـتمر عـوز في إظهـار الآخـر (الفلسـطينى) في صـورة غير المتحضر الدميم القذر في أغلب أعماله الأدبية من قصص أو روايات :

<< كـان الفلاحـون يأتـون مـن القـرية العـربية التى على الشاطئ بحميرهم المطيعة. . . كانت تفوح من المكان رائحة نسائية غامضة، تظل باقية حتى بعد رحيلهم >>(٣).

ويقول على لسان " متنياهو " أحد أبطال قصته (بلاد ابن آوى) :

<< جمع مـن الـنـاس قـذر غامـق اللـون، بارز العظام، يتوالد عليه القمل والبراغيث، والجوع والكراهية يرتسمان على وجوههم >>(٤).

---

(١) غانم مزعل: مرجع سابق (ص ١٦١).

(٢)عاموس عوز: "أرتسوت هاتين"(بلاد بنات آوى)، مجموعة قصصية، مرجع سابق، (ص١٥).

(٣)عاموس عوز: "قوفساه شحوراه" (صندوق أسود)، رواية، مرجع سابق، (ص٢٠٩).

(٤)عاموس عوز: "أرتسوت هاتين"(بلاد بنات آوى)، مجموعة قصصية، مرجع سابق، (ص٢٢).

وفي روايته (مكان آخر) يصف الإنسان العربي الفلسطيني بالهمجية :

<< . . لكن الهمجية لم تستطع تحمل عملهم الطيب >>[١].

(٢) يمشي حافياً :

اعتاد الأدباء الإسرائيليون ـ ومن بينهم عوز ـ وحتى تكتمل صورة الآخر المتخلف غير المتحضر ، على إظهار الإنسان العربي في كثير من المواقف حافي القدمين ، وهي صورة مغايرة للواقع . ذلك لأننا إذا نظرنا إلى أحد أعمال عوز الأدبية ، ولتكن على سبيل المثال قصته (البدو الرحل والأفعى) سنجده يصف مجموعة من العرب البدو ساكني الصحراء ، وحين يصفهم بأنهم ذو أقدم عارية أو حافية ، فهذا ليس من طبيعة البدو الذين يسيرون في الصحراء ، حيث أن الصحراء مليئة بالطرق الوعرة غير الممهدة ، وبالتالي من الصعب أن يسير بها أحداً حافياً ، إلا أن عوز أصر على ذلك في الكثير من مواضع القصة :

<< . . ونساء حافيات يتجولن هناك في الليل >>[٢].

<< . . ودلف خارجاً حتى ابتلعه الوادي في سفح السور ، ومعه مرافقيه الحافيين >>[٣].

ويقول في رواية (عزيزي ميخائيل) على لسان " خنة " عن التوأمين العربيين :

<< كانا عاريين حتى خاصرتهما ، خفيفين وحافيين لدى انزلاقهما في الخارج >>[٤].

<< كنت أشعر بأن التوأمين يندفعان في الخارج . إنني أسمع حفيف أقدام حافية >>[٥].

وفي رواية (صندوق أسود) تبدو هذه الصفة وكأنها خاصة بالعربي فقط :

<< إنك بالتأكيد ، تسير هناك حافياً مثل العربي >>[٦].

(٣) لا يفهم سوى لغة القوة :

يحفل الأدب العبري بوصف الآخر (الفلسطيني) بأنه لا يفهم سوى لغة القوة ، وإذا ما عومل بليونة فإنه يظن أنك تخشاه ، فيتمرد . فالعربي في نظر الكاتب العبري يرفض معاملته عن طريق الند للند . وكثيراً ما نجد هذه العبارة تتردد في قصصهم ، وهي : (أن العرب لا يحترمون جاراً ضعيفاً)[٧] . ويحاول عوز ترسيخ هذا المفهوم في أغلب أعماله الأدبية ، مؤكداً ضرورة التعامل مع الآخر (الفلسطيني) بعنف ، فالضعف من شأنه أن يثيره :

---

(١)عاموس عوز: "ماقوم أحير" (مكان آخر) ، رواية ،مرجع سابق ، (ص٨٣).

(٢)عاموس عوز: "أرتسوت هاتين"(بلاد بنات آوى) ، مجموعة قصصية ، مرجع سابق ، (ص٢٨).

(٣)نفس المرجع (ص٣٠).

(٤)عاموس عوز: "ميخائيل شلي" (عزيزى ميخائيل) ، رواية ، مرجع سابق ، (ص٨٢).

(٥)نفس المرجع (ص٨٣).

(٦)عاموس عوز: "قوفساه شحوراه" (صندوق أسود) ، رواية ، مرجع سابق ، (ص١٦٤).

(٧) غانم مزعل: مرجع سابق ، (ص ٩٧).

<< إن الـرحال يشـتم رائحـة الضعف من بعيد. وإذا ما قلت له كلمة طيبة أو ابتسامة، تجدينه ينقض عليك كالحيوان المتوحش محاولاً اغتصابك >>(١).

ولذلك فإن التعامل معه بهذه اللغة هو الأفضل :

<< جـاء عـدد مـن الفتـيان الصغار، واقترحوا علينا أن نهجم على هؤلاء المتوحشين في إحدى الليالي، لنلقنهم درساً قاسياً بتلك اللغة التى اعتادوا عليها ويفهمونها جيداً >>(٢).

وفي رواية (مكان آخر) يقول عوز على لسان " يوآش " :

<< كان " يوآش " يقول : إن هؤلاء لا يفهمون سوى لغة واحدة فقط، وهى لغة القوة >> (٣).

وتقول " حنة " عن التوأمين العربيين في رواية (عزيزي ميخائيل) :

<< كنت أخضعهما بيد قوية . . >> (٤).

(٤) مغتصب للنساء :

اعـتاد الأدباء الإسرائيليون إدراج صفة الاغتصاب ضمن قاموس السمات التى يتمتع بها الآخـر (الفلسـطينى)، رغبة منهم في اكتمال الصورة المشوهة له. وعلى الرغم من أننا نجد هـذه الـتهمة تأتى من خلال علاقة مباشرة وملموسة بين الجانى والمجني عليها، لدى بعض الأدبـاء الإسـرائيليين ممـن تـناولوا الآخـر (الفلسـطينى)، إلا أنـنا نلاحـظ أن عـوز تناول موضـوع الاغتصـاب في أعمالـه مـن خـلال عـلاقـة غير مباشرة. بمعنى أن الفتاة أو المرأة الإسـرائيلية يحـدث لها اغتصاب " وهمي " عن طريق أحلام وكوابيس، وأحياناً عن طريق خيالات تأتى نتيجة لقاء عابر وعادى يحدث مع الآخر (الفلسطينى) في اليقظة.

إن " حـنة " في روايـة (عزيـزي ميخائـيل) كانـت تحلـم دائمـاً بـأن الـتوأمين العربيين يأخذونها إلى سرداب مظلم ويتناوبون الاعتداء عليها :

<< . . وعـبر سـلالم كـثيرة سحباني إلى داخل سرداب يضيئه مصباح زيت قذر. وكان هـذا السـرداب مظلمـاً، وطرحانـي أرضـاً فأحسسـت بالـرطوبة. وفجـأة، رفـع التوأمان جلبابيهما الصحراويين >> (٥).

وتواصل " حنة " على مدار الرواية الحلم بالتوأمين العربيين اللذان يقلقان منامها :

---

(١)عاموس عوز: "أرتسوت هاتين"(بلاد بنات آوى)، مجموعة قصصية، مرجع سابق، (ص٣٩).

(٢)نفس المرجع، (ص٢١).

(٣)عاموس عوز: "باقوم أحير" (مكان آخر)، رواية، مرجع سابق، (ص١١٤).

(٤)عاموس عوز: "ميخائيل شلى" (عزيزى ميخائيل)، رواية، مرجع سابق، (ص١٥).

(٥)نفس المرجع (ص٣٥-٣٦).

<< تقلبت الأميرة بقميص النوم الخفيف على البلاط الجليدي، وكانت مكشوفة لنظراتهما الثاقبة . . >>[1].

<< أمسك التوأمان الصامتان بذراعي لربطهما خلف ظهري >> [2].

وفى قصة (البدو الرحل والأفعى) التى تشير إلى الانحراف الجنسي لعضوة " الكيبوتس " ، نجد " جيئولا " بطلة القصة تلدغها أفعى فتحدث تموجات في جسدها، فعلى الفور تتخيل بأن البدوي قام باغتصابها :

<< . . لدغها في جلدها، فشعرت بالتعب، وكان الألم مكتوماً يكاد يكون ممتعاً>>[3].

<< ينقض عليك . . محاولاً اغتصابك. حسن، أنك هربت منه >>[4].

وإمعاناً في تصديق هذا الاغتصاب " الوهمي " تقول " جيئولا " في هذه القصة :

<< لقد نجوت منه فقط عن طريق العض والركلات، وكان على أن أغسل بطني وكل شيء مرات ومرات بالصابون >> [5].

إننا لا نبرئ العرب، أو غير العرب من وجود أناس قلائل قد يفكرون في الاغتصاب، ولكن هذه القلة بين العرب تعتبر ضئيلة إذا ما قيست بما هو شائع عند اليهود في إسرائيل، وعند مختلف شعوب العالم. والمراجع للصحف اليومية والأسبوعية في إسرائيل يجد عشرات الحوادث الجنسية : الاغتصاب، الخيانة الزوجية، الدعارة بشكل محسوس. . بينما لا نجد ذلك في المحيط العربي بشكل محسوس[6].

(٥) القسوة في معاملة الحيوان :

وصف عوز الآخر (الفلسطيني) بالقسوة والوحشية حتى في معاملته مع الحيوان :

<< . . وأمسك بخصر العنزة، ورفعها فوق رأسه، ثم أطلق صيحة وحشية مخيفة، وطرح العنزة أرضاً دونما رحمة >> [7].

<< في تلك الأثناء، جاءت عنزة نحيفة وبدأت تحك بقدمه، فأبعدها بركلة قدم قاسية>>[8].

وتتوالى المعاملة القاسية من قبل الراعي تجاه العنزة حتى أنه عندما هم وأمسك بحجر ثقيل ليضربها به، قالت له " جيئولا " فتاة " الكيبوتس " :

---

(١)عاموس عوز: "ميخائيل شلى" (عزيزى ميخائيل)، رواية، مرجع سابق، (ص١٣٨).

(٢)نفس المرجع (ص١٣٦).

(٣)عاموس عوز: "أرتسوت هاتين"(بلاد بنات آوى)، مجموعة قصصية، مرجع سابق، (ص٤٢).

(٤)نفس المرجع (ص٣٩).

(٥)نفس المرجع (ص٣٩).

(٦) غانم مزعل: مرجع سابق، (ص ٩٤).

(٧)عاموس عوز: "أرتسوت هاتين"(بلاد بنات آوى)، مجموعة قصصية، مرجع سابق، (ص٣٧).

(٨)نفس المرجع (ص٣٦).

<< اتركها، لماذا تضربها. فهي لا تفهم شيئاً، إذ أنها بهيمة >> [١].

ونلاحظ هنا أن عوز يعقد مقارنة حول أسلوب معاملة الحيوان بين كل من " جيئولا " والراعي البدوي. ويحرص على إظهار قسوة الآخر , الفلسطيني) مقابل رفق " الأنا " ـ متمثلاً في " جيئولا " ـ في معاملة الحيوان. وهى مقابلة يحاول إظهار فيها تحضر (الأنا) في مقابل تخلف (الآخر) الذي يعامل حيوان بمنتهى القسوة.

(٦) لص ومهرب :

حرص الأدباء الإسرائيليون أيضاً على أن يظهروا الآخر (الفلسطينى) في صورة المتسلل، واللص، ورجل العصابات. وذلك حتى يبرروا لأنفسهم مطاردته، ومعاملته بقسوة وعنف، وطرده من أرضه. وقد تكررت هذه الصورة كثيراً في كتابات الأدباء الإسرائيليين، مما يؤكد شيوع المفاهيم الخاصة بتشويه صورة العربي الفلسطيني [٢].

ولم تخل قائمة عوز من هذه الصور، فيقول في قصته (البدو الرحل والأفعى) :

<< إن قضية هذه السرقات هي أكثر ما يقلقنا، فهم يسرقون ثمار الفاكهة غير الناضجة من البساتين. . . حتى أن أيديهم امتدت إلى الأمتعة الثمينة الخفية التى توجد في شققنا الصغيرة >> [٣].

<< كما لو أن الأرض نفسها اختارت أن تتستر على أعمال السلب والنهب، وتتجرأ بالسارقين >> [٤].

وحين تلتقي " جيئولا " بالبدوي العربي تقول له على الفور :

<< ماذا تفعل هنا ؟ أتسرق ؟ >> [٥].

وهنا يتضح أن فكرة السرقة عن العرب هي فكرة شائعة، حتى أن " جيئولا " في أول لقاء لها مع (الآخر) البدوي تسأله عن السرقة، على الرغم من أن " أتقين " عضو " الكيبوتس " يعترف بعدم وجود دليل قاطع يدل على أن العرب هم الذين قاموا بأعمال السلب والسرقة :

<< وفيما يتعلق بقسائم الأرض المدمرة، يجب أن نعترف بأننا لم ننجح أبدا في القبض على أحد الرحل وقت ارتكاب الجريمة >> [٦].

---

(١)عاموس عوز: "أرتسوت هاتين"(بلاد بنات آوى)، مجموعة قصصية، مرجع سابق، (ص٣٧).

(٢) د. محمود صميدة: إستراتيجية الأدب الصهيوني لإرهاب العرب، مرجع سابق، (ص ١١٠، ١١١).

(٣)عاموس عوز: "أرتسوت هاتين"(بلاد بنات آوى)، مجموعة قصصية، مرجع سابق، (ص٢٩).

(٤)نفس المرجع ،(ص٢٩).

(٥)نفس المرجع ،(ص٣٦).

(٦)نفس المرجع ،(ص٢٨).

والعربي لدى عوز رجل عصابات أيضاً، فتقول " حـــنة " في رواية (عزيزي ميخائيل) :

<< فمازال يتذكر عصابة حسن سلامة، وهجومها على " حولون " >>[١].

والآخر (الفلسطيني) لـدى عـوز هو مهرب، في روايتـه (صندوق أسود):

<< ظهـر هـذا القـارب متروكـاً على مسافة ليست بعيدة من رأس محمد، وذلك بعد أن استخدمته، على ما يبدو، مجموعة من البدو المهـربين لنقل المخدرات (الحشيش) من الشاطئ المصري >>[٢].

وفي رواية (الحالة الثالثة) يقول " فيما " عن العرب :

<< أولاً، وبشأن العـرب، فقـد أوضـحت لـك ألـف مرة أن العرب بصفة عامة ليسوا شرفاء، إلى هذا الحد، حتى يكونوا عظماء في نظرى >>[٣].

ونلاحـظ أن " فـيما " علـى مـدار هـذه الـرواية ينتقد الدولة العبرية لإساءاتها المستمرة للعـرب، ويدعـوا خـلال صـفحات الرواية إلى حسن المعاملة معهم. وعلى الرغم من ذلك ينظـر إلـيهم علـى أنهم ليسوا " شرفاء "، وهذا يدل على مدى تشبع " الأنا " الإسرائيلية بالمفاهـيم الراسـخة عـن العـرب، والتـى أرضـعتها لها الصهيونية. وهو الأمر الذي يجعلنا نتسـاءل، هـل دعـوة " فيما " للسلام مع العرب، هي دعوة تنبع احتراما وتقديراً لهم ؟ أم أنها تنبع خوفاً وذعراً من ذلك " الكابوس المزعج " ؟

(٧) مخرب وسافك للدماء :

وصـف عـوز الآخر (الفلسطيني) في أعماله الأدبية بأنه مخرب، ومتعطش دائماً لسفك الـدماء، ويحـب القـتل (قتل الإسرائيليين)، فأعطى له صورة الفتى الذي يحمل المتفجرات والقنابل والرشاشات، دون أن يعطى مبررات لكل هذه الأعمال.

فتقول " حنة " في رواية (عزيزي ميخائيل) عن التوأمين العربيين :

<< في الفجـــر، كانـا الـتوأمان يتدربان بالقنابل اليدوية بين صخور صحراء يهودا. . . وهـناك رشـاش علـى الكـتف. . . ويـرتديان ملابـس كـوماندوز مهلهلـة. وملطخة بزيت البنادق. . . أما عزيز كان يقذف قنبلة في حركة دائرية >>[٤].

وتقول " حنة " عنهما أيضاً :

---

(١)عاموس عوز: "ميخائيل شلى" (عزيزى ميخائيل)، رواية، مرجع سابق، (ص١٦٨).

(٢)عاموس عوز: "قوفساه شحوراه" (صندوق أسود)، رواية، مرجع سابق، (ص٨٠).

(٣)عاموس عوز: " هامتساف هاشليشى " (الحالة الثالثة)، رواية، مرجع سابق، (ص١٤٦).

(٤)عاموس عوز: "ميخائيل شلى" (عزيزى ميخائيل)، رواية، مرجع سابق، (ص٧٣-٧٤).

<< . . وفـي المسـاء يسـتعد كلاهمـا لإعـداد عتادهما للسفر وهو عبارة عن جربنديات عسـكرية ثقيلة، صندوق متفجرات، طبات للقنابل، فتائل إشعال، ذخيرة، قنابل يدوية، وخناجر لامعة >> (١).

ولم يقتصـر التخريب فقط على حمل الأسلحة والقنابل واستخدامها، بل أن يد التخريب امتدت إلى حقول " الكيبوتس " في قصته (البدو الرحل والأفعى) :

<< . . . . وغـير ذلك وجد تخريب متعمد في أنابيب الري، وفى الأعلام الإرشادية التى توضـع علـى أطراف الحقول، وكذلك في الآلات الزراعية التى تركت في الحقل، وفى سائر قطع الغيار >> (٢).

ويشـير عـوز في روايـته (مكان آخر) إلى أن الآخر (الفلسطينى) يعد من القوى الهدامة التى تهدد المشروع الصهيوني، وتسفك دماء الإسرائيليين :

<< . . لقـد امتدت يد مدمرة ومتآمرة إلى مشروعنا، يد تدمر وتـــدبر المكائـــد. . . . و " آهارون راميجولسقى "، كان أول المقتولين برصاص القتلة، وبقتله أبرمنا حلفاً دموياً مع هذه الأرض >> (٣).

ويشـير عـوز في روايـته (الحالة الثالثة) إلى احتراق صبى عربي حاول إحراق عربة جيب عسكرية إسرائيلية :

<< . . وفـي الصـفحة الثانية من صحيفة " معاريف "، كان هناك خبر عن صبى عربي من جنين احترق عندما حاول إضرام النيران في جيب عسكرية. . . . >> (٤).

ويحـاول عـوز في هـذه الـرواية أن يظهـر مـدى الكـراهية المتبادلة بيـــن (الأنا) والآخر (الفلسـطينى)، وذلـك حـين أشـار إلى أن العـرب تجمعوا حول ذلك الصبي الذي يحترق، وحالـوا دون وصـول رجـال الإسـعاف إلـيه، اعـتقاداً مـنهم بـأن الـذي يحـترق هو جندي إسرائيلي :

<< . . . واتضح أن الجمهور العربي الذي تجمع حول الصبي الذي يحترق، حال دون أن يقـدم المضـمد العسـكري الإسـعافات الأولـية لـه، لأن ذلك الجمهور ظن أن الصبي الذي يحترق أمامهم هو جندي إسرائيلي >> (٥).

---

(١)عاموس عوز: "ميخائيل شلى" (عزيزى ميخائيل)، رواية، مرجع سابق، (ص١٩٦-١٩٧).

(٢)عاموس عوز: "أرتسوت هاتين"(بلاد بنات آوى)، مجموعة قصصية، مرجع سابق، (ص٢٨).

(٣)عاموس عوز: "ماقوم أحير" (مكان آخر)، رواية، مرجع سابق، (ص٨٣).

(٤)عاموس عوز: " هامتساف هاشليشى " (الحالة الثالثة)، رواية، مرجع سابق، (ص٢٣٠-٢٣١).

(٥)نفس المرجع، (ص٢٣٠-٢٣١).

بالإضـافة إلى الكـراهية المتبادلة التى يؤكد عليها عوز، فإن ذلك يدل على إنه أراد القول أن العربـي عـديم الرحمة أو الشفقة، لأنه يحول دون تقديم أقل الواجبات الإنسانية لشخص اندلعت فيه النيران.

ويؤكد عوز على تلك السمة أيضاً في روايته (فهد في السرداب) :

<< كـان لدينـا عـن كـل شـعب لقـب محـدد : . . . فالعـرب قـد أطلق عليهم سافكي الدماء >> [1].

ويقول القاص أيضاً في هذه الرواية مكرراً تلك السمة :

<< كانـوا يأملـون في مجيء جيوش العالم المتحضر . . ليدافعوا عنا ضد خطر الذبح على أيدي هؤلاء العرب المتعطشين للدماء >> [2].

ولم يكـتف عـوز بـذلك، بـل حـاول القـول بـأن صفة القتل والتخريب تنبع من عقيدة الإنسـان العربـي، ففـــي روايـته (صـــندوق أسود) يســيء إلى الإســلام في قوله إنه دين السيف :

<< . ولكن سفك الدماء هو أمر عميق جداً في عقيدتهم . . إن دين محمد بالسيف >>[3].

وهكـذا، حـاول عـوز الإيحـاء بأن صفة القتل وسفك الدماء لم تكن فقط سلوكاً بشرياً مكتسـباً، بـل هـو سـلوك عقائدي ينبع مباشرة من العقيدة الإسلامية. وهو أمر بعيد للغاية عن الإسلام.

(٨) كابوس مزعج :

تـركت الانتصـارات العسـكرية المتتالـية التى حققتها الصهيونية آثاراً عميقة على الأدب العـبري في كافـة مـراحله، فـيوم كـان شخصـية يهـودي الشتات ونفسيته هما السائدتان في الوسـط الـيهودي، كـان العربـي يمثل نموذج القوة والسيطرة. وأخذت هذه الصورة تتحطم بعـد كـل معـركة عسـكرية. وأصبح العربـي يتحول من " الشيء الطبيعي " الذي يشكل خطراً جسمانياً على الكاتب العبري إلى " الشيء " الذي يشكل خطراً نفسياً وروحياً. ومن هـنا بدأت أزمة " الكابوس الوجودي " ، وقد عبر عوز عن هذه الأزمة بقوله : << بالنسبة لـي العـرب، عـدا هؤلاء في الناصرة ووادي عارة، هم كابوس. إنني أخافهم وفجأة رأيت أنهم موجودون ويخافون منى، ولم أكن مستعداً قط لهذا الوضع من الناحية النفسية >>[4]

(١)عاموس عوز: "بانتير بامرتيف" (فهد فى السرداب)، رواية، مرجع سابق، (ص٢٢).

(٢)نفس المرجع (ص٢٢).

(٣)عاموس عوز: "قوفساه شحوراه" (صندوق أسود)، رواية، مرجع سابق، (ص١٠٢).

(٤) انطوان شلحت: مرجع سابق، (ص ٢٣).

وربمـا كان عدم استعداد عوز لهذا الوضع هو الذي جعله يصور الآخر (الفلسطينى) في صـورة كابـوس مـزعج في جـل أعماله الأدبية. فحنة بطلة روايته (عزيزي ميخائيل) تحلم علـى مـدار الـرواية بكوابيس مـزعجة تـؤرق نـومها. وبطـلا تلك الكوابيس هما التوأمان العربيان اللذان يمثلان لها كابوساً مزعجاً ومخيفاً :

<< . . تماماً مثل الواقع الملموس، كانا يجيئان إلىّ مع بزوغ الفجر جميلين وعنيفين >>[١].

وخوفاً من هذين التوأمين تحكى عن أمرهما لزوجها في همس :

<< همسـت لزوجـي البعـيد عنـي بـذلك الأمـر الذي كان أكثر حساسية بداخلي، أمر التوأمين العربيين، حكيت له هامسة >>[٢].

والتوأمان العربيان هما سبب إزعاج المستوطنين، وكابوس متكرر لحنة كل يوم :

<< مازلـت أسـتيقظ مع بزوغ الفجر مهتمة بتلك الأصوات الشريرة، وبالكابوس الذي يتكـرر بألـوان لم تـدل علـى شئ. . . لقد أصبحت ليالينا مزعجة بشكل لم نشهده أبداً من قبل >>[٣].

وهكـذا، كانـت " حنة " كثيرة الأحلام والكوابيس بالتوأمين العربيين، اللذين مثلا لها كابوسـاً مخـيفاً، راحـت تـرتعد مـنه طـوال حـياتها. ولم يكـتف عـوز بمـواجهة الآخـر (الفلسـطينى) في الواقـع الملمـوس، بـل راح يزج به في الأحلام والكوابيس لتكتمل منظومة ذلك المخلوق المخيف الذي لم يكن كابوساً في النوم فقط، بل في اليقظة أيضاً.

كـــذلك، كـــان الآخـر (الفلسطينى) كابوساً مزعجاً لـ " فيما " بطل رواية (الحالة الثالـثة)، فهـو الآخـر كـثير الأحـلام والكوابيس، ذلك لأنه كان يهتم دائماً بأمور الدولة، وبالعرب، وبالحروب. وقد انعكس ذلك عليه في صورة كوابيس وأحلام :

<< في الحلـم اندلعت الحرب في مكان يشبه هضبة الجولان. . . وكان هناك طابور مدرع من العدو يسير ويقترب من ممر جبلي ضيق >>[٤].

ويقول " فيما " كذلك متهكماً على الوضع في دولته في حلم من أحـــلامه :

<< إن الكارثـة الـنووية القادمـة، لـن تكـون مـن الـدول الكبرى، بل منا نحن هنا. . . وخـلال مائـة عـام، لـن يكـون هـنا مخلـوق حـي، لا " يوعزر [*] "، ولا سحلية أو حتى حشرة >>[٥].

---

(١)عاموس عوز: "ميخائيل شلى" (عزيزى ميخائيل)، رواية، مرجع سابق، (ص٤٠).

(٢)نفس المرجع (ص٧٠).

(٣)نفس المرجع (ص١٧٧–١٧٨).

(٤)عاموس عوز: " هامتساف هاشليشى " (الحالة الثالثة)، رواية، مرجع سابق، (ص٥٧).

(*) يوعـزر: شخصية خيالـية نسجها " فـيما ". وهـى حفيد الأحفاد الذي سيظهر بعد مائة عام ليقيم أعمال أجداده الحالية.

(٥)نفس المرجع (ص٩٧).

ونلاحظ هنا أن عوز تعامل مع ذلك الكابوس في الحلم، وليس في الواقع، كما رأينا مع " فيما " و " خنة ". وربما يؤكد ذلك أن عوز ـ كما قال ـ يخاف العرب فتجنب المواجهة معهم وجهاً لوجه، واكتفى بتصويرهم في الأحلام ككابوس مخيف يؤثر على مجريات الحياة السيكولوجية، وقد يكون عوز يطلق صرخة في الخيال لما قد يحدث في الواقع الملموس ويحذر منه.

وهكذا، ظهر الآخر (الفلسطيني) في أعمال عوز ككابوس مخيف ومزعج يهدد المجتمع الإسرائيلي، وظهر كشخصية ليس لها ماضي أو حاضر أو مستقبل، وأحياناً كانت سبباً في تذبذب الشخصية اليهودية نفسياً واجتماعيا [1]. كما أنه كان عنصراً من عناصر الطبيعة المهددة فتقول " نوريت جريتس " عن المجموعة القصصية (بلاد ابن آوى) : << في هذه المجموعة يدور صراع بين ابن الحضارة الذي يعيش في كنف الأيديولوجية الصهيونية وبين الطبيعة المهددة بعناصرها المتمثلة في : الذئاب، العرب، والجبال. >> [2]

وهكذا يتعامل عوز مع الواقع بصورة واقعية، وينظر إلى ما يحيط بالشخصية الإسرائيلية بنظرة واقعية تكشف عن ما يحيط بها من عناصر مهددة حتى ولو كان من بينها العربي الفلسطيني. وربما يكون عوز قد نظر إلى الآخر (الفلسطيني) على أنه أحد العناصر الطبيعية المهددة للوجود الصهيوني على أرض فلسطين، إيماناً منه بأن العربي، شأنه شأن قوى الطبيعة، التي هو عنصر من عناصرها، يستحيل القضاء عليه، ولكن لابد من أسلوب وحل للتقليل من خطورته، فكما أن عناصر الطبيعة لا يمكن محوها ولكن من الممكن التقليل من أخطارها، فكذلك العربي لا يمكن تجنبه وتجنب أخطاره المهددة للكيان الإسرائيلي ولكن من الممكن الحذر منه. فتعامل معه عوز من منطلق الهجوم عليه. وعمد إلى تشويه صورته، ونظر إليه على أنه ظاهرة يجب التعامل معها بحرص وبحذر.

لقد حكم عوز منذ إصدار مجموعته القصصية (بلاد ابن آوى) هذا العواء الذي ينبعث في الليل ويهدد الكيان الإسرائيلي المعزول عن محيطه العربي. وبالطبع " ابن آوى " هو رمز للعرب، وتوراتياً هو رمز للاندثار والخراب. وفي روايات عوز جميعها نرى صراعاً بين الإنسان المتحضر الذي يمثله اليهودي، عادة، وبين الطبيعة المتمثلة في الجبال والصحاري والعرب. وكل ذلك يهدده بالخطر والزوال. وفي روايته (مكان آخر) يبدو العربي كظاهرة طبيعية شريرة يجب القضاء عليها، بينما في روايته (عزيزي ميخائيل) لا يظهر العربي إلا في صورة كابوس يطارد " حنة " في أحلامها بسبب شعور الاغتراب الذي ينتابها

(١) شمعون ليفى: "شفوييم بافديون، هاعرفى باسيبورت هاعفريت هاحداشاه" (أسرى فى الخيال، العربى فى الأدب القصصى الإسرائيلى)، مجلة مزنايم، العدد ٥-٦، إسرائيل، ١٩٨٣، (ص٧٣).

(٢)نوريت جيريتس: "عاموس عوز، مونوجرافية" (السيرة الذاتية لعاموس عوز)، مرجع سابق، (ص٩٣).

بشـكل دائم داخل إسرائيل، والمخاوف والوساوس التى تطاردها لدرجة أنها ترى أن أمانها واسـتقرارها يكمـنان في استسـلامها لقـوى وحشية بدائية متمثلة في هذين الفدائيين العربيين التـى تـربت معهما في صغارها ويطاردنها في أحلامها. وعموماً، فإن العربي الفلسطيني في أعمـال عـوز لـه في نفس الـوقت، حضـور دائم وغياب دائم، وهو حضور لا يأخذ شكلاً إنسـانياً قـط برغم أنه أحد المحاور الأساسية في الصراع. ففي روايته (صندوق أسود) التى كتبها على شكل رسائل بين أفراد عائلة يهودية وأصدقائها وأقاربها ومحاميها، يظهر العربي أو علـى الأقـل يوصـف بأنـه شخصـية متوحشـة تـتعطش لسـفك الـدماء، وينصح الابن بالابـتعاد عـن العـرب حتـى لا يصبح مـثلهم. فالحـل في رأى عـوز أن يبتعد اليهودي عن العربي، وأن تكون هناك دولتان : إسرائيلية وفلسطينية [١].

إن الآخر (العربي الفلسطيني) مهما حاول أى أديب إسرائيلي أن يشوه صورته، إلا أن ذلـك الأديـب في داخلـه لـن يستطيع أن يـذيب صورة العربى الحقيقية أو ينكر العلاقة التى تـربطه بـه كعلاقـة الـند للـند، حتـى وإن عمـد الأدبـاء الإسـرائيليون إلى وضعه فى صورة هامشـية، وإظهـار أنـه أدنى بكثير من الشخصية الإسرائيلية، ليسهل التعامل معه والقضاء عليه.

ويمكن القول أن هذا هو الواقع المفهوم الذى تحاول إسرائيل أن تصل إلى غرسه فى أذهان الإسـرائيليين الـيهود أولاً، ثـم فـى أذهـان الأفـراد والجماعات الاجتماعية والحكومات فى العـالم ثانـياً، وذلـك علـى أسـاس أن هـذه الفكرة لو استقرت فى الأذهان، فإن شأنها أن تسـاعد إسرائيل لدرجة كبيرة على مواصلة سياستها العدوانية التوسعية إزاء العالم العربي، وعلـى حسـاب العرب الذين لا يستحقون وفقاً لمنطق الدعاية الإسرائيلية الصهيونية اهتماما كبيراً ما داموا أدنى من الإسرائيليين [٢].

ثالثاً : رؤية عوز للعلاقة بين الآخر (الفلسطيني) واليهودي الإسرائيلي :

إنـنا نكـاد أن نصاب بدهشة كبيرة عندما ننظر إلي مفهوم عوز لشكل العلاقة بين العربي الفلسـطيني والإسـرائيلي في أعمالـه الأدبـية، ذلك لأنه من المنطق، بعد كل هذه الأوصاف التى وصف بها عوز الآخر (الفلسطيني)، أن تكون رؤيته للعلاقة هي رؤية سلبية تدعو إلى مـزيد مـن الكـراهية والبغضـاء إلا أنـنا نصطدم بعكس ذلك. ففي نفس أعماله الأدبية التى وصف فيها الآخر (الفلسطيني) بأحط وأقذر الصفات، نجد في نفس الوقت إشارات تشير إلى علاقـات الـود والصـداقة التـى كانـت ـ أو يجـب أن تكـون ـ سـائدة بين الإنسان العربي

---

(١) أحمد عمر شاهين: مرجع سابق، (ص ١٤، ١٥).

(٢) السيد ياسين: الشخصية العربية بين صورة الذات ومفهوم الآخر، مرجع سابق، (ص ١٨٥).

الفلسطيني والإسرائيلي. وهنا يقع عوز في تناقض كبير وغريب بين نظرته السيئة إلى العربي الفلسطيني، وبين إشاراته الإيجابية للعلاقة معه. وفى رأينا، أن هذا التناقض يدل على أن عوز لم ينظر إلى التعايش السلمي وأخوة الشعوب من خلال موقف احترام وتقدير للطرف الآخر، بل دعي إلى ذلك بعدما تيقن أن الآخر (الفلسطيني) هو بمثابة كابوس مخيف، لن يقف مكتوف الأيدي تجاه قضية وطنه السليب، فأشار إلى تجنب الصدام معه وإلى ضرورة المحاولة لإذابة الجدار الذي يفصل بينه وبين الإسرائيلي. لذلك لم تكن نظرته للعربي نظرة احترام وتقدير له، بقدر ما كانت نظرة خوف ورعب من ذلك الكابوس المهدد للكيان الصهيوني ولدولة إسرائيل.

وفى البداية سوف نعرض لرؤية عوز للعلاقة الإيجابية بين العربي الفلسطيني واليهودي الإسرائيلي من خلال أعماله الأدبية، وبعد ذلك سوف نستخلص مدى التوافق بين هذه الرؤية وبين الأوصاف التى نعت بها الآخر (الفلسطيني) والدلالات التى يمكن استخلاصها من ذلك.

إن عوز في قصته (البدو الرحل والأفعى) ينعت فيها البدوي بأحط الصفات : لص، وغير متحضر، وهمجي، وقذر، إلى أخر هذه النعوت، ثم يقول على لسان " أتقين " سكرتير " الكيبوتس " موجهاً حديثه إلى شيخ القبيلة الذي وصفه بأحط الصفات هو والرجلين اللذين كانا معه :

<< اعتدنا نحن أعضاء سكرتارية " الكيبوتس " على التعامل بلياقة واحترام مع الشيخ ورجاله، فدعوناهم للجلوس على الأريكة، وأظهرنا لهم المودة، وقدمنا لهم القهوة. . . وقد بادلنا الشيخ، من جانبه، الاحترام المبالغ فيه، والدعاء بالبركات، وبالأمنيات الطيبة >>(١).

وفى نفس هذه القصة، يؤكد القاص على ضرورة حسن الجوار ويتحدث عن أخوة الشعوب :

<< بدأ " أتقين " حديثه بقول صريح وواضح حول أخوة الشعوب، والتى هي حجر الزاوية من وجهة نظرنا، وحول علاقة حسن الجوار التى تتميز بها شعوب الشرق منذ القدم، وحتى فى فترات سفك الدماء والكراهية التى بلا سبب >>(٢).

ويقول " أتقين " لشيخ القبيلة :

<< نحن على استعداد وعن طيب خاطر أن نفتح صفحة جديدة في علاقات الجوار، ولا شك أن أولادنا سوف يستفيدون ويزدادون حكمة وافرة من زيارات المجاملة ومن التعلم في

(١)عاموس عوز: "أرتسوت هاتين"(بلاد بنات آوى)، مجموعة قصصية، مرجع سابق، (ص٢٩).

(٢)نفس المرجع، (ص٣٠).

مخيمات البدو، وهو نوع من الزيارات التى تساعد على توسيع الآفاق، ومن الممكن أن نقول إنه وفى أعقاب هذه الزيارة سيقوم أبناء القبيلة برد الزيارة إلى بيوتنا في " الكيبوتس "، وذلك لتعميق الفهم المتبادل>>[١].

وهكذا، يشير عوز إلى طبيعة العلاقة بين الآخر (الفلسطيني) والإسرائيلي، في تناقض غريب ومثير. فترى ! ماذا سيستفيد أعضاء " الكيبوتس " من مخيمات البدو الرحل التى وصفها عوز بأحط الصفات ؟ وأي زيارات هذه التى ستساعد على توسيع الآفاق. إن مثل هذه الزيارات لابد وأن تكون بين طرفين متكافئين، وليس بين طرف غير متحضر ومتخلف وبين طرف حضاري مثقف. إن الأمور لابد وأن تسير في مجراها الطبيعي، فبعد أن يئس أعضاء "الكيبوتس" من هؤلاء البدو الرحل ولم ينجحوا في القضاء عليهم، ووجدوا في الآخر إنساناً عنيداً وصلباً، بدأوا يفكرون في تحسين العلاقات معه حتى يتجنبون شره وأعماله التى تهدد كيانهم، ولم يكن ذلك احتراماً له ـ وإلا ما كانت تلك هي أوصافه المقوتة ـ بل خوفاً منه وتجنباً لشره.

ويمكن القول، أن هذا هو فكر عوز الأيديولوجي، فخوفه من العرب جعله يتجنب الصدام معهم، أي مع هؤلاء الأشرار المخربين، وذلك عن طريق دسه في أعماله لكيفية أن تكون العلاقات بين العربى الفلسطيني والإسرائيلي، وسرده لذكريات ود وتعاطف كانت سائدة بينهما. فنجده فى روايته (عزيزى ميخائيل) بعد أن وصف التوأمين العربيين بأوصاف ممقوتة يقول على لسان " حنة " :

<<. . كما لو كانا ينتميان لي، يد يسرى ويد يمنى>> [٢].

وتقول " حنة " كذلك عن التوأمين العربيين مبرزة مشاعر الود تجاهما :

<<كنت أميرة وهما حارسيّ، قائدة محتلة وهما ضابطان، باحثة غابات وهما صيادان، قبطانة وهما ملاحان، جاسوسة وهما المستطلعان، كنا نتجول سوياً فى الشوارع البعيدة ونجوب الغابات>> [٣].

ولعلنا نلاحظ أن المشاعر المتداخلة وجدلية المتناقضات فى العلاقات العربية الإسرائيلية تفرض نفسها داخل العمل الأدبى لعوز، ففى الوقت الذى تشعر فيه " حنة " بهذه المشاعر الطيبة تجاه التوأمين العربيين، نجدها كذلك ـ كما رأينا ـ تصفهما بأنهما مخربان وسافكان للدماء .

---

(١)عاموس عوز: " هامتساف هاشليشى " (الحالة الثالثة)، رواية، مرجع سابق ، (ص٣٠).

(٢)عاموس عوز: "ميخائيل شلى" (عزيزى ميخائيل)، رواية، مرجع سابق، (ص٧٢).

(٣)نفس المرجع ، (ص٨).

وقـد تكـون هـذه الجدلـية داخل العمل الأدبى نابعة من محاولة عوز لعرض النظرة الأولى للآخـر (الفلسـطيني) فـى بدايـة العلاقات بينهما ، على أساس أنهم كانوا ينظرون للعربي علـى أنـه فـارس وشـجاع ونقـيض لــ " اليهودي الجيتوي " ، ثم عرضاً للنظرة الثانية بعد احتدام الصراع والنظر إلى العربى على أنه كابوس يهدد الكيان والمشروع الصهيوني . ولكننا نسـتبعد ذلـك ، خاصة وأن هذه الجدلية استمرت في أغلب أعمــاله الأدبية الحديثــة ، ففي روايـته (صـندوق أسـود) ، والتـى تحـدث فـيها عـن الأعمـال الحقـيرة للعرب وأوصافهم المقوتة ، نجد هناك إشارات لرؤية عوز الإيجابية لطبيعة العلاقة بين العربي والإسرائيلي :

<< وقـد كـنت أرى مـن نافـذة الحجـــرة ثلاثـة من العمال العرب الذين أحضرهم " ميشـيل " يحفـرون آبـاراً . . . وكـل سـاعتين كـان يقدم لهم القهوة ، ويتبادل معهم الأمثال والنكات >> [١].

<< وبعـد كـل مـا صنعه العرب معنا ، هاجرت إلى إسرائيل ، وكلى ثقة فى أننا سنعيش هنا جميعاً أخوة ، وسيأتي المسيح ملكاً علينا >> [٢].

وتـبدو الـرؤية الحقـيقة لعـوز ـ فـى هـذه الـرواية ـ لـتكمن فـى تطابقها مع رؤية اليمين الصـهيوني عـند " جابوتنسكي " وخلفائه فى " الليكود " ، وفى أحزاب اليمين المتطرف ، مـثل حـزب " تسوميت [*] " الذى ترى ضرورة ترحيل العرب من كافة أرض فلسطين إلى الـدول العـربية الآخـرى ، بدعـوى أنـه مثلما خرج اليهود من البلاد العربية فإن على عرب فلسـطين أن يخـرجوا ويستوطنوا فى سائر البلاد العربية الآخرى التى لديها من المساحات ما يكفى لاستيعابهم :

<< صدقني ، إنه حتى بالنسبة للعرب الذين اتهمتني ، بهذه المناسبة ، في خطابك وكأنني أتمنـى لهـم الشـر ، حتى بالنسبة لهم ، فإنني أتمنى لهم من كل قلبي أن يعيشوا في سلام طبقاً لديـنهم وعـاداتهم ، وأن يحظـوا بسـرعة العـودة إلى وطـنهم ، مثلما نحـن حظينا بالعودة إلى وطنـنا . إنـنا خـرجنا مـن عـندهم عـراة لا نملك شيئاً ، وبعار وخجل ، أما هم فإنني أقترح علـيهم الخـروج من عندنا باحترام ، وبإرث كبير ودون أن نسلب منهم ، معاذ الله شيئاً ، ولو مجرد رباط حذاء >> [٣].

---

(١)عاموس عوز: "قوفساه شحوراه" (صندوق أسود)، رواية، مرجع سابق، (ص٧٤).

(٢)نفس المرجع ، (ص١٩١).

(*) **تسوميت:** نشأ هذا الحزب بزعامة " رفائيل ايتان " رئيس الأركان السابق فى أكتوبر ١٩٨٣ ، وهى اختصار للكلمة العبرية (الصهيونية المتجددة). ومن أهدافها: السعى من أجل الاعتراف بحدود أرض إسرائيل كاملة، والعمل على تحقيق الاستيطان فى أي جزء يوجد به الإسرائيليون، وإبعاد مخاطر تهديد إسرائيل.

(٣)عاموس عوز: "قوفساه شحوراه" (صندوق أسود)، رواية، مرجع سابق، (ص١٦٥-١٦٦).

ومـن ناحـية أخـرى، يمكـن القـول أن عـوز فـي رؤيـته الإيجابـية للعلاقـة بـين العربـي والإسـرائيلي يضـمن فـيها اعترافـاً بـندية الآخـر، وهـو شـرط ضـروري لإحساس الذات الإسرائيلية بدورها الاستعلائي في الصراع.

إن الاعـتراف بالـذات مـن قـبل الآخـر، لا يكون له جدوى ما لم يكن الآخر ذو معادلة متكافـئة. إن ندية الآخـر والاعـتراف بهـذة الـندية همـا الشـرط الضروري لحرية الذات، ولتوالد مشاعر الأمن بوصفهما حجر الزاوية في نمو وتطور كل ما هو إنساني [1].

وربمـا يـريد عـوز القـول، إن العربي والإسرائيلي قد أوجدهما القدر في قارب واحد، ومـن الصـعب أن يفـوز أحدهما بهذا القارب بمفرده، لذا لابد وأن تكون العلاقة أفضل من ذلـك حتـى تسـير دفـة الحـياة بينهما، بدلاً من الصراع، خاصة وأن " الآخر " أثبت أنه ند قوى من الصعب إبادته كما يقول الواقع، وقد عبر عن ذلك في روايته (الحالة الثالثة) :

<< لـيس هـناك خـيار يا سيدى. فالعربى لن يتلاشى من هنا، ونحن أيضاً لن نتلاشى، فلـنعش سوياً، إننا متساوون فى القيمة مثل القط والفأر، هكذا يقول الواقع، وهكذا يقول العدل >> [2].

وهكـذا، يحـدد عـوز الكيفية التى يجب أن تكون عليها العلاقة بين الآخر (الفلسطيني) والإسـرائيلي، مـن خـلال فرضـيات الواقـع القـائم، علـى أساس أن " الآخر " هو واقع حقيقـي لـن يـذوب ولـن يتبدد، وعلـى أسـاس أن العربـي هـو رمـز حـي يهـدد الكـيان الإسـرائيلي، وتحسـين العلاقات معه من شأنه أن يخفف وطأة هذا التهديد، وأن يخفف ذلك الكابـوس الذي يتضح في روايته (الحالة الثالثة) عندما يخاطب " فيما " صديقه الذى يحمل الجنسية الأمريكية قائلاً :

<< لديكم أنتم جنسية أمريكية، وتستطيعون دائماً أن تهربوا من هنا بسرعة نفاثة، لكن ماذا سيكون الأمر بالنسبة لنا ؟ >> [3].

وفـى هـذا الصـدد، يقـول " يوحـنان بـيرس " : << إن موقف اليهود الإسرائيلين تجاه العـرب لا يـتم تقديـره فقـط علـى أسـاس العلاقـات المباشـرة معهم، بل أيضاً على خلفية الصراع السياسي والعسكرى. إن الأقلية العربية في إسرائيل تشكل رمزاً حياً للتهديد المحيق بإسرائيل من وراء الحدود >> [4]

---

(١) د. رشاد عبد الله الشامى: الشخصية اليهودية الإسرائيلية والروح العدوانية، مرجع سابق، (ص ٣١).

(٢)عاموس عوز: " هامتساف هاشليشى " (الحالة الثالثة)، رواية، مرجع سابق، (ص١٨٤).

(٣)نفس المرجع، (ص٤٦).

(٤) يوناتان بيرس: "ياحاسى هاعيدوت بيسرائيل" (العلاقات الطائفية فى إسرائيل)، دار نشر سفريات بوعاليم، تل أبيب، ١٩٧٦، (ص٩١).

إن رؤيـة عوز الإيجابية للعلاقة بين طرفى الصراع، فى نفس الوقت الذى يكيل فيه أبشع الصفات للآخر (الفلسطيني)، تنطوى على ما يثير السخرية والتناقض، ويدل ذلك على أن عـوز رغـم مـناداته بالتسـوية السلمية ورؤيته للصراع على أنه صراع بين حق وحق، لم ينحـرف عـن الخـط الصـهيوني أو صهيونية الحد الأدنى فى كتاباته الأدبية، ولم يتخل عن أهداف الأيديولوجية الصهيونية.

ومما سبق، وحـول رؤيـة عـوز لجوهـر الآخـر (الفلسطيني) ورؤيته للعلاقة بينه وبين الإسرائيلي، نستطيع أن نستخلص ما يلي :

(١) لم يكن مفهوم عوز للصراع العربى الإسرائيلي على أنه صراع بين حق وحق، نابعاً من ثقته الكاملة فى هذا الحق بقدر ما هو حل وسط لواقع فرضته الظروف والأحداث.

(٢) تتـناقض نظـرة عـوز، تماماً، لجوهر الآخر (الفلسطيني) مع رؤيته للعلاقة بين العربى والإسرائيلي.

(٣) لم تـأت محـاولات عـوز لإعطـاء ومضـات لمناخ هـادئ فـى طبـيعة العلاقة بين الآخر (الفلسـطيني) والإسرائيلي والدعوة إلى التعايش السلمي معه، احتراماً وتقديراً له بقدر مـا هـى خـوف ورعـب مـنه، وذلـك لأنـه يمثل كابوساً وجودياً يهدد الكيان الصهيوني والدولة الإسرائيلية.

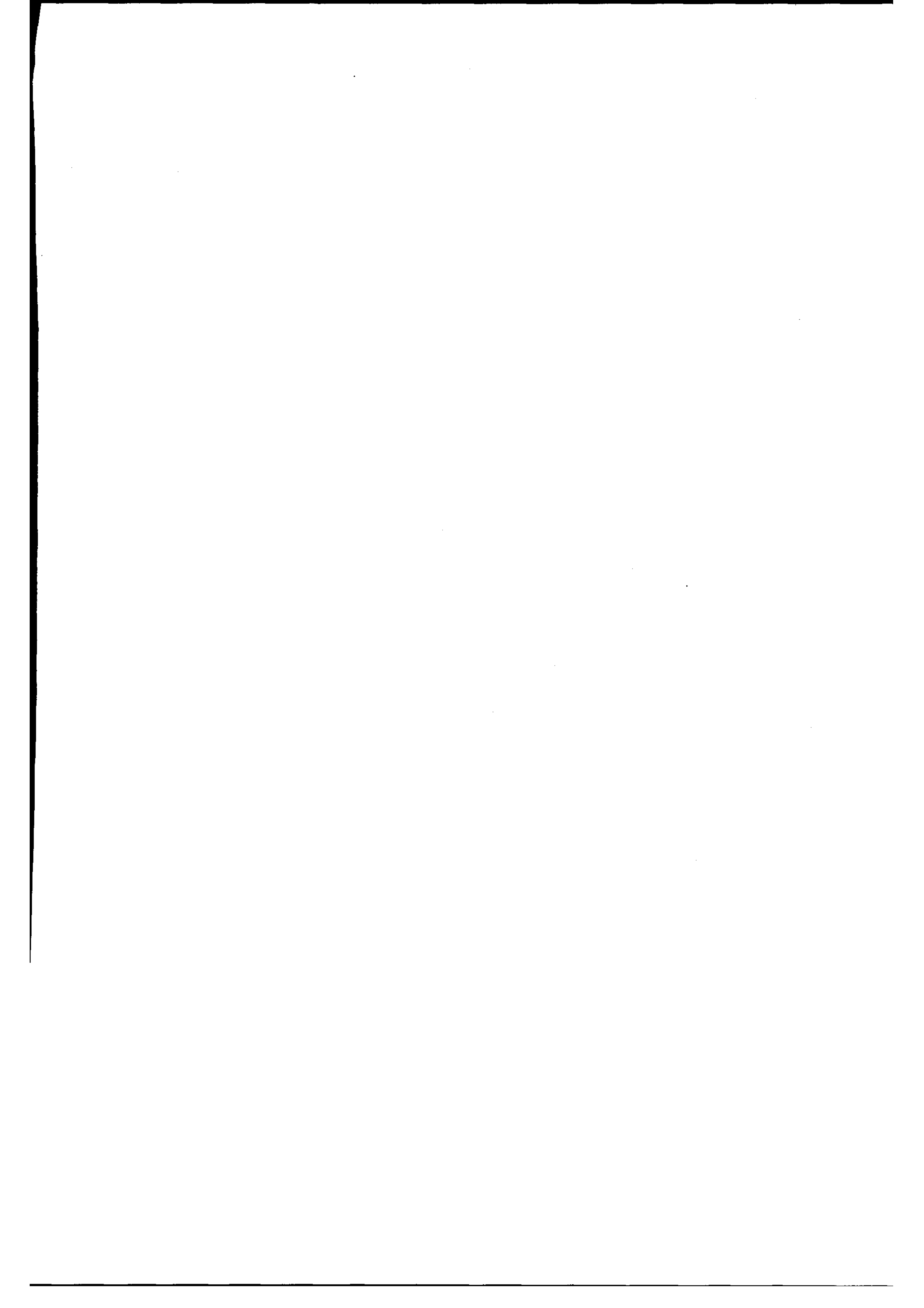
(٤) تعامل عوز مع الآخر (الفلسطيني) من خلال بعدين :

أولاً : انـتماؤه الواضـح للصهيونية، وهو ما يظهر فى نظرته للآخر (الفلسطيني) متفقاً مع بقية الأدباء الإسرائيليين.

ثانـياً : انـتماؤه لمعسـكر اليسـار الإسـرائيلي فـى نظـرته لكيفـية العلاقـة بـين الآخــر (الفلسـطيني) والإسـرائيلي كحل لما يمليه الواقع والظروف، فى إطار إحساس زائف بالذنب تجاه ما يعانيه الطرف الآخر فى الصراع.

الفصل الرابع

" الأنا " و " الآخر "
فى كتابات عوز السياسية



" الأنا " و " الآخر "
فى كتابات عوز السياسية

عاموس عوز ومواقفه السياسية :

يعتبر " عوز " من الأدباء الإسرائيليين أصحاب المواقف السياسية المعنيين بالمجتمع الإسرائيلى ورصد تياراته والتغيرات التى تطرأ عليه، وهو الأمر الذى أكسبه شهرة واسعة داخل وخارج إسرائيل حتى أصبح واحداً من المحسوبين على " معسكر الحمائم(*) " وحركة " السلام الآن " فى إسرائيل.

وكان " عوز " قد لعب دوراً فعالاً فيما بين عامى (١٩٦١ - ١٩٦٣) مع حركة (على المبدأ)، وبعد عام (١٩٦٣) ترك " المباى(*) " (الجناح اليسارى من حزب العمل). وفى عام (١٩٦٧) أصبح عضواً فى حركة (السلام والأمن) وفى عام (١٩٦٨) أصبح عضواً فى (لجنة السلام الفلسطينية الإسرائيلية)[1]. وفى عام (١٩٧٣) اشترك بفاعلية فى المعركة الانتخابية لحركة (موكيد(*)). وفى عام (١٩٧٧) أيد حركة (شلى(*)).

(*) معسكر الحمائم: تقسم المواقف فى إسرائيل تجاه العرب إلى قسمين متناقضين تماماً، أولهما فريق الصقور، والثانى فريق الحمائم. ويتسم موقف الحمائم بأنه الموقف اللين المتسامح الداعى إلى الحل الوسط والسلام، بينما يتسم موقف الصقور بأنه الموقف القومى المتطرف الذى لا يرى للخلاف العربى الإسرائيلى نهاية.

(*) المباى: حزب صيهونى عمالى، تأسس عام (١٩٣٠) أثر اندماج منظمتى (العامل الفتى) و(اتحاد العمال) حيث سيطر على المنظمة الصهيونية العالمية والقسم السياسى فى الوكالة اليهودية المسئولة عن شراء الأراضى من الأثرياء العرب وطرد الفلاحين الفلسطينيين، كما سيطر على (الهستدروت) وتولى "المباى" أيضاً دور القيادة الدبلوماسية الصهيونية منذ عام (١٩٣٩) بهدف تحويل فلسطين إلى دولة صهيونية.
(أنظر: تطور الأحزاب والحركات السياسية فى إسرائيل، الهيئة العامة للاستعلامات، القاهرة، مارس ١٩٨٤، ص ٧، ٨).

(١) رفعت فودة: عاموس عوز، حنة وميخائيل، الدار العربية للنشر ، القاهرة، ١٩٩٤ (ص١٣) .

(*) موكيد: حركة سياسية مستقلة انضمت بعد ذلك إلى كتلة مكونة معها حركة (السلام والمساواة)، وأصبح تمثيلهما فى الكنيست بالتناوب بينهما.
(أنظر: تطور الأحزاب والحركات السياسية فى إسرائيل، مرجع سابق، ص١٤).

(*) شلى: تعتبر حركة (السلام الإسرائيلى) من أهم الحركات التى ظهرت قبل انتخابات الكنيست التاسع، ويتزعمها الدكتور " يعقوب أرنون " وكيل وزارة المالية الإسرائيلى السابق. وضمت هذه الحركة عدداً من الحركات اليسارية الاشتراكية مثل حركة " موكيد "، وجناح من " الفهود السود " و حركة " الاشتراكيين المستقلين ". ومن أهدافها: إقامة سلام مع الدول العربية وعرب فلسطين على أساس إقامة دولة فلسطينية =

وفى عام (١٩٨١) أيد (المعراخ). وهو حالياً، ومنذ عام (١٩٧٨)، من الأعضاء النشيطين فى حركة (السلام الآن).

وتتنوع مقالاته فى الصحافة الإسرائيلية ما بين قضايا المجتمع والأدب والسياسة. وقد صدرت بخمس عشرة لغة فى الكثير من المختارات (الأنثولوجى). وكان " عوز " أيضاً من محررى كتاب " حديث المحاربين [*] " [1].

ويميل " عوز" فى كتاباته السياسية إلى النظر إلى الماضى حتى عام (١٩٤٨)، وهى السنوات التى سبقت حرب (١٩٦٧)، وذلك من أجل التغلغل فى أعماق الوضع فى إسرائيل وفى سنوات السبعينيات والثمانينيات [2].

وعلى الرغم من أن " عوز " كان جندياً احتياطيا فى حرب يونيو (١٩٦٧)، ثم فى حرب أكتوبر (١٩٧٣)، إلا أنه يحاول دائماً فى كتاباته داخل إسرائيل وخارجها أن ينشر أرائه عن السلام ويدعو فيها إلى التقارب التام بين اليهود والعرب [3].

وحول اشتراكه فى الحروب ومدى تناقض ذلك مع أرائه الذى يدعو فيها للسلام، يقول "عوز " : << فى عام (١٩٦٧)، ومع القوات المنتصرة فى صحراء سيناء، وفى عام (١٩٧٣) بين الدبابات المشتعلة فى هضبة الجولان، رأيت فى هاتين المرتين بكلتا عينى أنه ليس هناك بادرة أمل للضعفاء والقتلى، حتى أن الأقوياء والمنتصرين كان لديهم شيئاً من الأمل. وبعد هذه الحروب عدت للكتابة عن اقتراب الموت وعن التطلع إلى الخلاص، وعن طاقة الأشواق التى تحول بينى وبين كل شئ من حولى، وعن مدى الخوف وتصعيد القرار لفتح صفحة جديدة. إننى أكتب حتى لا نيأس وحتى لا نسلم أنفسنا إلى إغراءات الكراهية فى مقابل الكراهية ... لقد كتبت مقالات لأدعو فيها للتوصل إلى حل وسط غير مبدئى مع العرب، وربما أيضا غير عادل بين اليهود الإسرائيليين والعرب الفلسطينيين، لأننى وجدت أن كل من يطلب عدلاً كاملاً ومطلقاً فإنه يطلب الموت. >> [4]

= مستقلة إلى جانب دولة إسرائيل، والاعتراف بحق تقرير المصير للشعب الفلسطينى مقابل اعترافه بالدولة الإسرائيلية، وإعادة الأراضى التى احتلتها إسرائيل عام (١٩٦٧).
(أنظر: تطور الأحزاب والحركات السياسية فى إسرائيل، مرجع سابق، ص٣٥).

(*) **حديث المحاربين**: هو كتاب سجل فيه الأدباء الإسرائيليون ذكرياتهم عن الحروب التى خاضتها إسرائيل، وفقد الأعزاء والأقارب، والسأم الذى يجتاح المجتمع الإسرائيلى بعد الحرب.

(١) يوسف سيه لافان: "عاموس عوز"، مرجع سابق، (ص٦).

(٢) جرشون شاكيد: "جل أحير جل باسيبورت هاعفريت" (موجة وراء الأخرى فى الأدب القصصى العبرى)، مرجع سابق، (ص٦٧).

(٣) نعيم عرايدى: نافذة على الأدب العبرى الحديث، مرجع سابق، (ص١٤٣).

(٤) عاموس عوز: "بأور هاتيخليت هاعازاه" (فى الضوء الأزرق الساطع)، مرجع سابق، (ص٢٠٦).

وهكـذا، كـتب " عـوز " عن الحرب من أجل السلام، وبعدما رأى أن الحرب تزيد من محنة الفـرد الإسـرائيلى وتقضـى علـى كـل الآمـال، وتجعله أسيراً لتوترات نفسية معقدة. فـنجده يصـف أبيه فـى أحـد مقالاته السياسية، وهو يتسلم السلاح فى حرب (١٩٤٨)، وكيف حاول أبوه – وهو الرجل الذى يفكر ويكتب دائماً عن الدم والنار وأعمدة الدخان – أن يحشـو خـزنة بندقيـته الحقيقـية برصاصـات حقيقية، لكن تلك الرصاصات تملصت منه ورفضـت أن تحشر داخل خزنة البندقية. وفى تلك اللحظة أدرك " عوز " ذلك التوتر الذى يعـيش فـيه أبوه، وهو التوتر الذى يظهر لدى العديد من أفراد المجتمع ما بين رؤى خارجية متزنة وهادئة للغاية وبين بناء نفسى متوتر وثائر [١].

ويعتـبر " عوز " من الأدباء الذين اتخذوا على الدوام مواقف يسارية ملتزمة [٢]، بعد أن كان فى الماضى يمينياً متعصباً، لكنه قد يكون تحرر مؤخراً وصار ممن يشتركون فى مظاهرات " السـلام الآن " ويـبدى وجهـات نظـر تبدو مخالفة للوجهة التى كانت غالبة على أدبه [٣]، وقـاد مع حركة " السلام الآن " مظاهرة كبرى حشد لها أربعمائة ألف متظاهر فى تل أبيب ضـد غـزو لبـنان عام (١٩٨٢)، وأثار عواصف سياسية لم تهدأ حتى الآن بسبب تصريحاته وآرائـه حول أرض واحدة لشعبين، وعن رؤيته للصراع على أنه صراع بين حق مطلق وحق آخر مطلق، مما جعل البعض يطلقون عليه " ضمير إسرائيل [٤] ".

وقـد كـتب " عوز " الكثير من المقالات السياسية التى تتبلور فيها مضامين سياسية تعبر عن موقفه من قضايا الصراع العربى الإسرائيلى وكيفية حلها. ويعارض فيها ضم الأراضى المحـتلة بالقـوة ويـنادى بإقامـة دولـة فلسطينية، ويدعو إلى الحل الوسط والتسوية السلمية. وعلـى الـرغم من أن كل هذه الآراء السلمية تكمن فيها النغمة الصهيونية، وتفضيل اليهود علـى العـرب - كما سنرى - إلا أنها تثير ضده، من آن لآخر، عواصف وردود فعل غاضبة مـن بعض القوى داخل المجتمع الإسرائيلى، وخاصة من القوى اليمينية المتشددة. وقد كان آخـر ردود الفعـل هـذه ما حدث فى مارس (١٩٩٨) بعد إعلان فوزه بجائزة " إسرائيل " فـى الآداب، حيث ثارت ضده القوى الدينية المتشددة، التى خصها بنصيب كبير فى مقالاته السياسية ـوطالبت بسحب الجائزة منه، وذلك بسبب مقال كتبه فى عام (١٩٨٩) تناول فيه حقـيقة وأهـداف القـوى الدينـية فـى إسـرائيل والمستوطنين اليهود، ووصفوا مقاله هذا بأنه يحتوى على " أقوال افترائية عنصرية ".

(١) ساجي جرين: صحيفة هاآرتس الإسرائيلية، ٨-٣-١٩٩٨ .
(٢) د. رشاد عبدالله الشامي: عجز النصر، الأدب الإسرائيلي وحرب ١٩٦٧، مرجع سابق، (ص٥٢).
(٣) غانم مزعل: مرجع سابق، (ص٤٨).
(٤) رفعت فودة: مرجع سابق (ص٤).

ويـدرك " عـوز " تماماً هذه الاعتراضات التى تثيرها مقالاته السياسية، ولكنه لم يعبأ ـا، إذ يقـول : << لقـد أثـارت علىّ مقالاتى غضب جماهيرى كبير فى إسرائيل، وهناك مـن قـال أننى أعطى ذخيرة للعـدو، وهـناك مـن قـال إننى معنى بالحزن الفظيع والألم المستمر >> (١)

وهكـذا، لم يكتف " عـوز " بالتعبير عـن آرائه من خلال إنتاجاته الأدبية، بل مارس الكتابة الإسرائيلية فـى الفكـر الإسـرائيلى مـن خلال مقالاته الصحفية، التى تهتم بقضايا المجتمع والسياسة داخلياً وخارجياً، فصار صوته الأدبى والسياسى ذا صدى ينعكس جلياً علـى المجـتمع، ويـثير الكـثير مـن المعارضـين ضده، سواء من اليمين الصهيونى أو اليسار الصهيونى داخل إسرائيل.

أولاً: الأنا الممثلة لـ " اليهودى الإسرائيلى " فى كتابات عوز السياسية:

كـان اهـتمام " عـوز " بنفسـية الفـرد الإسـرائيلى وصراعاته، سبباً فى إثارة الكثير من قضـايا المجتمع الإسرائيلى فى مقالاته السياسية التى تعتبر امتداداً، وأحياناً تفسيراً لإنتاجاته الأدبية.

لقـد عـبر " عـوز " فـى مقـالات عديـدة عما يدور فى المجتمع الإسرائيلى بكل تياراته الدينـية والعلمانـية، واقـترب مـن الحصـون التى قلما أن نجد أحداً من الكتاب الإسرائيليين يقـترب مـنها، وأجـرى مقـابلات مـع فـئات مختلفة من المجتمع الإسرائيلى، رصد خلالها خـريطة الانقسـامات حـول قضـية الصـراع العربى الإسرائيلى، وحول الثقة فى السلام مع العرب، وحول الصراع بين اليهود الدينيين واليهود العلمانيين، وغيرها من القضايا.

وإذا حاولـنا، فـى البداية، أن نعرف ما هى أنماط الأنا الممثلة لـ " اليهودى الإسرائيلى " التـى تـناولها عـوز فى كتاباته السياسية، يمكن القول بأن عوز إدراكاً منه بحسه السياسى بأن قضـية الصراع العربى الإسرائيلى، هى قضية كيان ووجود بالنسبة لإسرائيل، وأنها الشراع الـذى يحـدد وجهـة المجـتمع الإسـرائيلى، فقـد تـناول فـى هـذه الكتابات كلاً من النمطين التاليين:

الأنا الممثلة لـ " اليهودى الإسرائيلى الدينى ".

و الأنا الممثلة لـ " اليهودى الإسرائيلى اليمينى المتطرف ".

وذلـك إدراكـا مـنه بـأن هـذين الـنمطين هما اللذان يقفان فى الجانب الآخر من المجتمع الإسـرائيلى العلمانـى، ولأنهمـا أصـبحا بفعـل عـوامل كـثيرة أثر حرب أكتوبر (١٩٧٣) يؤثـران فـى تـوجهات المجتمع الإسرائيلى بقوة، سواء على المعيار الخاص بطبيعة الدولة أو

(١) عاموس عوز: "بأور هاتيخيليت هاعازاه" (فى الضوء الأزرق الساطع)، مرجع سابق، (ص٢٠٨).

فيما يخص الموقف من قضية العرب الفلسطينيين ورؤيتهم للصراع حول الأرض والحقوق التاريخية والدينية المدعاة.

غير أننا لابد وأن نميز بالنسبة للنمط الأول ما بين الجماعات اليهودية الدينية المتشددة (الحريديم (*)) وبين الجماعات اليهودية الدينية المتطرفة، حيث أن الأولى تسعى إلى خلق "جيتو" يهودى داخل الدولة، يحافظ على خصائص يهودية الشتات من حيث الثقافة فى اللغة والتشدد فى تطبيق الشريعة اليهودية. وتقف موقفاً معادياً من الصهيونية العلمانية.

وبالإضافة إلى ذلك، فإن على العضو الذى ينتمى إلى هذه الجماعات أو هذه الطائفة الحريدية أن يمتثل للأسس (الثمانية عشر) التى تعتبر دستوراً للطائفة والتى تحدد أيضاً واجباته تجاه الطائفة، وأهم هذه الأسس: الانصياع لأوامر حاخامية ومحكمة الطائفة، ومعارضة الصهيونية وجميع نشاطاتها، ومقاطعة مدارس ومعاهد تعليم اللغات الأجنبية، ومقاطعة حزب "أجودات يسرائيل" لتعاونه مع الصهيونية، وعدم الاشتراك فى انتخابات الكنيست أو الانتخابات المحلية، وعدم تناول أى طعام أو شراب غير مصرح به من قبل محكمة الطائفة، والإيمان القاطع بأن إقامة الدولة الصهيونية قبل قدوم " المسيح المنتظر " إنما هو عقاب خطير من الله، وأن الكنيست تدنيس لأوامر الله، وإهانة للتوراه، لأن قوانينه تتناقض مع شريعة موسى، والمحافظة على اللباس العفيف، وإرسال الأبناء للتعلم فى مدارس مجازة من قبل الطائفة والتى غالباً ما تستخدم اللغة اليديشة فى التعليم، ولا تنتمى إلى أى تيار تعليمى آخر يتلقى مساعدات حكومية [1]..

أما الثانية – الجماعات اليهودية الدينية المتطرفة – فهى من أصحاب المواقف الصهيونية السياسية القومية المتطرفة التى تسعى لاستيطان الأراضى المحتلة باعتبارها ضمن حدود الوعد الإلهى أو ضمن الميراث الدينى والتاريخى لليهود.

(*) الحريديم: يطلق على اليهود المتدينين المغالين فى التشدد، والذين يعادون الصهيونية، ويكفرون الدولة ويعيشون في عزلة جيتوية. و " الحريديم " ليسوا كالمتدينين العاديين الذين يرتدون " الطاقية اليهودية "، فهم خلافاً لهؤلاء جميعاً يرتدون ملابس ذات لون أسود اياً كانت درجة حرارة الجو، ويرتدون غطاء أسود للرأس أسفل قبعة سوداء، ويرسلون ذقونهم. ويعيشون فى جو القرون الوسطى، ويتحدثون " اليديش ". وهم واثقون أن طريقهم هو الطريق الصائب الوحيد، ويستخدمون وسائل " الإكراه الدينى " والتدخل فى حياة الآخرين، وكل الوسائل بالنسبة لهم مشروعة بما فى ذلك استخدام سلاح الاعتداء والتفجرات ضد اليهود الآخرين الضالين، ويشنون حرباً على الثقافة العلمانية للمجتمع الإسرائيلى.

(أنظر: د. رشاد عبدالله الشامى: القوى الدينية فى إسرائيل بين تكفير الدولة ولعبة السياسة، سلسلة عالم المعرفة، إصدار المجلس الوطنى للثقافة والفنون والآداب، الكويت، يونيو ١٩٩٤، العدد ١٨٦، ص٣٠١، ٣٠٢).

(١) د. رشاد عبدالله الشامى: القوى الدينية فى إسرائيل بين تكفير الدولة ولعبة السياسة، مرجع سابق، (ص ٣٠٣)

لقد اختاروا – على عكس المتدينين الحريديم – طريق التكيف مع الوضع القائم ولخصوا موقفهم قائلين: << نحن لم نتوقع قيام دولة يهودية ذات طابع علمانى، لكنها على أية حال، وفى وضعها القائم تمثل من وجهة نظرنا هدية معجزة من الله، على الرغم من بعض النواقص التى تتصف بها، وينبغى أن نفهم جيداً أن وظيفتنا التاريخية تتمثل الآن فى المشاركة فى بناء الدولة، ودفعها نحو مستويات روحية أعلى >> (١).

أما الجماعات اليهودية اليمينية المتطرفة فهى من أصحاب الموقف القومى المتطرف الذى لا يرى للنزاع العربى الإسرائيلى أية نهاية، ويتخذ إجراءات شديدة اللهجة ضد الجانب الفلسطينى، ويؤمن بخلود النزاع العربى الإسرائيلى، ويتسم بالكراهية المفرطة تجاه العرب ويتبنى الكثير من الإجراءات التعسفية المتعنتة تجاه الفلسطينيين.

وعن موقع " عوز " من حيث هل هو " أنا " أو " آخر " ؟ بالنسبة لهذين النمطين للأنا الممثلة لـ " اليهودى الإسرائيلى " ، يمكن القول أن " عوز " وهذين النمطين يعتبروا " الأنا " ، وذلك على أساس أن هذين النمطين ينتميان إلى نسيج المجتمع الإسرائيلى، وعوز حتى وإن اختلف مع هذين النمطين فى الرؤى والأهداف، إلا أنه يعتبر من صلب هذا النسيج، وكلهم ينتمون إلى دولة إسرائيل. وقد نستطيع أن نطلق على هذين النمطين بالنسبة لـ " عوز " مصطلح (الأنا الآخر) إن صح هذا التعبير، وعلى أساس أن " عوز " علمانى ويسارى، وأنه يمثل الأنا (الفردية) بالنسبة لهما. وكان من الممكن أن ندرج هذين النمطين تحت مصطلح (الآخر) بالنسبة لعوز، على أساس أنه يختلف معهم فى توجهاتهم، إلا أننا آثرنا أن نضعهم ضمن (الأنا) على أساس أننا سوف نتعرض لموقف هذين النمطين من العربى الفلسطينى، وبالتالى سنعتبر العربى الفلسطينى هو (الآخر) بالنسبة لهم ولعوز أيضاً.

ويمكن القول أيضاً، أن الأنا الممثلة لـ (اليهودى الدينى) هى الآخر (اليهودى الدينى بالنسبة لـ " اليهودى العلمانى ") وذلك على أساس الصراع القائم الآن فى إسرائيل بين اليهود الدينيين واليهود العلمانيين، واختلاف توجهات كل منهم نحو القضايا المختلفة، سواء الداخلية منها أو الخارجية.

الأنا الممثلة لـ " اليهودى الإسرائيلى الدينى "

(الآخر اليهودى الدينى بالنسبة لليهودى العلمانى) :

هدد " عوز " المجتمع الإسرائيلى والدولة خلال تناوله لنموذج اليهودى الدينى فى كتاباته السياسية، من خطر هذه الجماعات الدينية، ورأى أنها تجر الدولة إلى حافة الهاوية.

(١)د. رشاد عبدالله الشامى: القوى الدينية فى إسرائيل بين تكفير الدولة ولعبة السياسة، مرجع سابق ، (ص ٩٣).

وكـان لاهـتمامه بالمجتمع الإسـرائيلى وتسـاؤلاته حـول مستقبل الصراع الدائر بين اليهود الدينـيين والعلمانـيين، ومغـزى هذا الصراع وهدفه، أثره البالغ فى تناوله القوى الدينية فى إسرائيل، وإلقاء الضوء عليها وكشف حقيقة هويتها وأهدافها الحقيقية، التى يرى عوز أنها قد تقوض أركان الدولة بأثرها، ودعا إلى كبحها قبل أن تكبح هى الدولة.

ويمكـن القـول، أن القـوى الدينية فى إسرائيل تمثل مروحة واسعة من الاتجاهات تتراوح بـين تأييـد الصـهيونية العلمانـية فـيما عـرف بـ " الصـهيونـية الديـنـية " وبـين " معاداة الصـهيونية "، وبـين السلفية المغالية فى التشدد وتكفير الدولة والانعزالية (الحريديم)، إلا أنهـا تشـترك جميعاً فى طرح تعريف اليهودية لتكون مجرد انتماء أو لمجرد الانتماء. إن المعيار لـدى هـذه القـوى سـواء حـزبية أو غـير حزبية، هو التقيد الصارم بالعبادات والتأكيد على الالتـزام "بالشـريعة الـيهودية " (الهالاخاه)، والتعبير عن الإيمان وسيادة الطقوس والتقيد بأحكام المذهب الدينى الذى يتمسك به زعماؤها الروحانيون فيما يتصل بقضايا الحياة [(١)].

ومـا يـبدو الآن على سطح المجتمع الإسرائيلى، أن هذه القوى تتزايد بشدة وتتداخل فى الشئون الحياتـية للمجـتمع وتفرض مبادئها بالقوة إلى حد يصل إلى العنف والمواجهة، وهو أمـر يـنذر بوجـود خطر قريب يهدد الدولة ويفرض تساؤلات عديدة حول هوية الدولة فى السـنوات القادمـة. ومـع هـذا التزايد لهذه القوى الدينية نشأ انقسام داخلى وصراع بين كل مـن التـيار الدينـى والتـيار العلمانى، وهو أمر مثيراً للدهشة، حيث أن إسرائيل قد مر على إقامـتها خمسـون عامـاً، ومن المفترض أنها تمثل أحد الأسس الرئيسية للمجتمعات الحديثة، وهـى الديمقـراطية. إلا أنـنا نجـد أن هـذه القـوى الدينـية ما زالت تمارس نفوذها من خلال جماعـات الضـغط الدينـية علـى الشـئون الحياتـية وعلـى القرار السياسى فى إسرائيل، ولم يقتصر نفوذها وتداخلها على الشئون التى تمس الديانة اليهودية فقط، بل تدخلت فى شئون المجـتمع الأخـرى – مـثلما حـدث مـع " عـوز نفسه حين طالبت القوى الدينية المتمثلة فى حـزب " المفـدال [(*)] " الدينـى بسـحب جائـزة إسـرائيل فـى الآداب التى حصل عليها فى مـارس (١٩٩٨)، " كمـا حـدث من قبـل مع الصحفى الإسرائيلى " شموئيل شنستر " مـن صـحيفة " معاريـف " فى عام (١٩٩٧)، وذلك لأنه عارض فى مقال له هجرة يهود

(١) د. رشاد عبدالله الشامى: القوى الدينية فى إسرائيل بين تكفير الدولة ولعبة السياسة، مرجع سابق (ص٩)

(*) **المفدال:** تأسس فـى عـام (١٩٥٦)، وهـو حـزب تجميعى يستهوى مجموعات شديدة التباين بين جمهرة الناخـبين، وقد كان هذا الحزب منذ تكوينه عضواً فى كل ائتلاف حكومى سواء مع العمل (عدا فترة ٥٨، ٥٩ حـيث انسـحب فـيها بسـبب إثارة قضية: من هو اليهودى ؟) أو مع الليكود، وينادى بتطبيق تعاليم التوراة بكل دقة إلى جانب تنظيم الشئون العمالية وفقاً لهذه التعاليم.

(أنظر: تطور الأحزاب والحركات السياسية فى إسرائيل، مرجع سابق، ص ١٨).

الفلاشـا ، لأنهـم يحملـون أمراضـاً معديـة ولأنهم غيّروا ديانتهم "[1] . وهو أمر يقودنا إلى طـرح سؤال فى غاية الأهمية حـــول هويـــة ومستقبل إسرائيل فـــى " الخمسينية " الثانية ؟ مـع تـزايد وتنامى جماعات الضغط الدينى فى إسرائيل وفرض نفوذها بالقوة، وهو سؤال يجـئ بعـدما تفـاقم الصـراع بـين الـيهود الدينيين والعلمانيين ، وتزايدت فجوة الانقسامات الداخلية داخل المجتمع الإسرائيلى.

ولنـر أولاً، أشـكال الصـراع بـين اليهود الدينيين والعلمانيين ، والواقع الثقافى والدينى الـذى يعيشون فيه ، ومدى انفصاله عن الواقع العام للمجتمع الإسرائيلى العلمانى، ثم بعد ذلـك نعـرض لـرأى عـوز فـى القـوى الـيهودية الديـنية ورؤيته لمستقبل الصراع بين اليهود الدينيين والعلمانيين.

أشكال الصراع بين اليهود الدينيين واليهود العلمانيين :

بـدأت أبعـاد هـذا الصراع بين اليهود الدينيين والعلمانيين مع نشأة حركة " الهسكالاه " التـى هـدفت إلى تحطيم النفوذ الدينى وسيطرته واستبداده على النفس اليهودية من الداخل ، وإلى تحطـيم أسـوار " الجيتو " الشاهقة التى كانت تفصل بين اليهود ووجوه الحياة العلمانية فى الدول التى كانوا يعيشون فيها.

ومـن أجـل تحقـيق هـذا الهـدف وتحطـيم الأسوار الداخلية للجيتو ولبناتها الدينية ، كان تركيـز حـركة " الهسـكالاه " ودعاتها من الفلاسفة والأدباء على ضرورة تغير نظام التعليم الدينـى والمـزج بيـنه وبـين التعلـيم العصـرى القائم على منجزات العقل فى العلوم الطبيعية والإنسـانية، وكـان مـن الطبيعى أن تنمو حركة " الهسكالاه " وأن تصل ، فى النهاية، إلى حد المجابهة الكاملة مع السلطة الكهنوتية وسيطرتها على كل وجوه الحياة اليهودية . . "[2].

ومـع انـتقال الـيهود مـن بلاد الشتات إلى فلسطين، انتقل معهم هذا الصراع واتخذ أبعاداً مخـتلفة وقد شهدت السنوات الأخيرة نمواً كبيراً فى أعداد ونفوذ اليهود الدينيين ، خاصة بعد حـرب يونـيو (١٩٦٧)، الأمـر الذى جعل اليهود العلمانيين يشعرون بأن الخطر يتهددهم واقـترح بعضـهم اقتسـام إسرائيل بين الطرفين. " وترك ١٠٪ من اليهود العلمانيين القدس فـى عـام (١٩٩٧) بسـبب تدهـور العلاقـة مـع اليهود المتطرفين "[3]، حيث تشهد القدس تركزاً يهودياً دينياً ، بينما تشهد تل أبيب تركزاً يهودياً علمانياً.

---

(١)صحيفة هاآرتس الإسرائيلية، ١١-٣-١٩٩٨.

(٢) د. إبراهيم البحراوى: الدين والدنيا فى إسرائيل، كتاب الهلال، مايو ١٩٩٨، العدد ٥٦٩، (ص١٠).

(٣) عطية عيسوى: إسرائيل تتساءل من أنا، الأهرام، ١٩٩٨/٥/٢ (ص٥).

وربمـا للمـرة الأولى علـى مـدى هـذه الفترة، منذ قيام دولة إسرائيل وحتى الآن، يرتبط القلـق بالانقسـام الداخلـى أكثـر من الصراع الخارجى، ويظهر ذلك مثلاً، من استطلاعات حديـثة أظهـرت أن ٦٠٪ يـرون الخطـر الأكـبر فـى التصدعات الداخلية، مقابل ٣٠٪ فقط يعتبرون الصراع الخارجى هو الأخطر [١].

وهكـذا، أصبح الانقسـام اليهودى الدينى العلمانى من أكثر القضايا التى تقلق المجتمع الإسـرائيلى، ويفـرض هذا الانقسام تساؤلات عديدة تتردد بقوة داخل إسرائيل وخارجها: هل هى دولة يهودية أم يهودية ديمقراطية ؟ . . ومن هو الإسرائيلى ؟ هل هو يهودى خالص أم إسـرائيلى يهـودى أم يهـودى إسـرائيلى أم إسـرائيلى فقـط ؟ خاصة وأن اليهود الدينيين المتشددين يرفضون الاعتراف بإسرائيل كدولة علمانية.

وحـول أشـكال الصـراع الدائر بين اليهود الدينيين والعلمانيين ومدى أهميته فى الخارج يقـول محمـد حقـى: << بـدأت الصـحف وكـل شبكات التليفزيون فى أمريكا تذيع وتشر عشرات المقالات والأفلام يومياً حول احتفال إسرائيل بمرور خمسين عاماً على إعلان إنشائها كدولـة، فـإذا بهـا جميعاً وبلا استثناء تقريباً، تتحدث عن هذه الاحتفالات بلهجة جديدة، يملـؤها القلـق علـى ما يجرى فى إسرائيل من انقسامات وصراعات دينية وعقائدية، وإذا بنا نشـاهد علـى شـبكات التليفـزيون الأمـريكية مناظر الاقتتال بين الجماعات الدينية اليهودية المتطـرفة مـن جانـب، واليهود العلمانيين من جانب آخر ... ورحنا نشاهد كل ليلة كيف أن هـؤلاء المتـزمتين والمتطـرفين مـن الـيهود اقـتطعوا جزءاً من مدينة تل أبيب، وأقاموا سياجاً حـولها، لمنع المواطنين من ركوب السيارات يوم السبت، على اعتبار أنه خروج على الديانة الـيهودية، وأقـام الـبعض الآخـر مكبرات الصوت يذيعون فيها خطبهم المديحية فى البيوت التـى حولـوها إلى معابـد، ويـرد علـيهم العلمانيون بإقامة صالات " للديسكو " والرقص والملاهـى الليلـية، ويعلقون على أبوابها مكبرات الصوت لكى تطغى على الخطب الدينية، ويـبدأ الطـرفان فـى تـبادل اللكمـات والضـرب بالأيـدى والعصى وتتدخل الشرطة يائسة لمحاولـة التفـريق بـين الجانـبين .... ووصـل الصـراع إلى تهشيم السيارات وحرق بعضها، وتـبادل إلقـاء القاذورات والمخلفات البشرية علناً، إلى حد جعل " مناحم فريدمان " ـ أحد علمـاء الاجـتماع فـى إسرائيل – أن يقول (إننا أصبحنا نعيش على الجرف، ولم نعد نطيق بعضنا البعض) >> [٢].

---

(١) د. وحـيد عـبد المجـيد: حـدود الانقسـام الداخلى فى إسرائيل، مركز الدراسات الاستراتيجية والسياسية، الأهرام، ١٩٩٨/٥/٨، (ص١٨).

(٢) محمـد حقـى: الصراع الداخلى فى إسرائيل على شاشات التليفزيون فى أمريكا، صحيفة الأهرام، ١٩٩٨/٥/١٢، (ص٦).

ومـا زالت المعركة الأكثر احتداماً، فى إطار هذا الانقسام تدور حول حرمة يوم السبت، ولعـل أخر مظاهرها هو حملة المتدينين ضد المجتمعات التجارية الكيبوتسية التى صار معتاداً أن تعمـل فـى ذلك اليوم، وحملة العلمانيين لإلغاء قانون محلى فى تل أبيب يحظر فتح أماكن التسلية والمطاعم فى اليوم المتنازع عليه [١].

لقـد وصـل الأمـر إلى تقسيم الأحياء إلى دينية وعلمانية، حيث تصدرت حى " بارديس حانـا" لافتة تقول: (إنكم الآن تدخلون حياً دينياً، وعليكم أن تتحشموا فى ملابسكم وأن تحترمـوا شعائر السبت)، فإذا ببعض سكان الحى يعلقون لافتات من بيوتهم تقول (إن حى " بارديس حانا" يفخر بأن يكون علمانياً).

ويشـدد و" واتنـبرج "، وهـو كاتب فى صحيفة " واشنطن تايمز "، على الانقسامات بـل والعـداوة السـافرة بـين المتشـددين الدينـيين والغالبية العظمى من السكان العلمانيين ... ويـروى الكاتب ما ذكرته كل وسائل الإعلام مما يحدث، من فرقة الرقص الشعبية التى هاج ضـدها المتديـنون المتشددون، لأن الراقصات فيها يخلعون ملابسهن الداخلية، فاضطروهن للـرقص بسـراويل طويلة، إلى أخر الروايات الأخرى مثل فرض الرقابة على فيلم تسجيلى لأنه أظهر الجانب الآخر لما حدث فى سنة (١٩٤٨)، وهو الجانب الفلسطينى [٢].

وهكـذا، اتخـذ الانقسام الدينى – العلمانى بين اليهود الدينيين واليهود العلمانيين صورة مخيفة ومـزعجة بالنسـبة للمجتمع الإسـرائيلى، وأظهر هذا الانقسام مدى الانفصال التام والواقـع الدينـى الـذى يعـيش فـيه الـيهود المتشددون عن الواقع العام للمجتمع الإسرائيلى العلمانـى، وممـا يـزيد مـن هذا الانفصال التام، أن اليهود الدينيين المتشددين لا يخدمون فى الجيش الإسـرائيلى ولا يدفعـون الضـرائب، لأنهـم يتفـرغون لدراسـة التوراه طوال اليوم ويحصلون على مبالغ باهظة لمدارسهم غير المعونات الاجتماعية الأخرى.

إن هـذا الانقسـام الدينـى العلمانى وتداعياته على مستقبل دولة إسرائيل، يجعلنا نقول، أن إسـرائيل تجـنح نحـو مـنعطف خطـير تزداد خطورته مع تزايد جماعات اليهود الدينية من ذوى القـبعات السوداء، خاصة وأنهم يتناسلون بغزارة، وكلما تزايد عدد اليهود الدينيين، حـيث بـدأوا يسـتقطبـون عـدداً كبيراً من العلمانيين، كلما تزايدت حدة الصراع بين اليهود الدينيين والعلمانيين، وهو الأمر الذى يجعلنا نقول: أن إسرائيل قد تصبح دولة يهودية دينية فـى غضون ثلاثين أو خمسين عاماً، خاصة مع تزايد وتنامى الأحزاب الدينية بصورة تدريجية داخـل الكنيسـت الإسـرائيـلى، وتـأثـير هذه الأحزاب على الانتخابات فى إسرائيل وعلى دائرة صنع القرار السياسى.

---

(١) د. وحيد عبد المجيد: مرجع سابق، (ص١٨).

(٢) محمد حقى: مرجع سابق، (ص٦).

وعلـى هـذا الأسـاس يمكـن دراسـة الأنـا المـثلة لـ (اليهودى الإسرائيلى الدينى) فى كتابات عوز السياسية من خلال الأبعاد التالية :

(أ) أهداف ومبادئ الأنا الممثلة لـ (اليهودى الإسرائيلى الدينى) :

يفند عوز فى كتاباته الأهداف الحقيقية لهؤلاء اليهود الدينيين قائلاً :

<< إن الأهـداف الحقيقـية لهـذه الجماعـة هـى ، فـرض سـلطة عنـيفة وقبيحة ومشوهة للـيهودية علـى دولة إسرائيل . . . إن الهدف الحقيقى لهذه الجماعة هو طرد العرب من أجل قمع اليهود بعد ذلك ، وإخضاعنا جميعاً لإدعاءات أنبيائهم الكاذبين المتوحشين >> (١) .

ويشـير عـوز فـى نفس المقال (١٩٩٨) إلى أعمال العنف والوحشية التى يقوم بها هؤلاء اليهود ، والهدف الحقيقى من وراءها ودور إسرائيل فى هذه المذابح قائلاً :

<< علينا أن نتذكر : أن هذه الرصاصات والبنادق والرشاشات ، تلقتها هذه الجماعة من دولـة إسـرائيل ، ومن أيدينا . لأن دولة إسرائيل لم تدرك أن هدفهم النهائى ليس هو تصفية العرب ، بل هو تصفية دولة إسرائيل ، وإقامة مملكة يهودا الدينية المتطرفة بدلاً منها>> (٢) .

وهكـذا ، ينوه عوز إلى خطر هذه الجماعات الدينية ، وهدفها الحقيقى فى تحويل إسرائيل مـن دولـة علمانـية إلى مملكـة ديـنية يهـودية متطـرفة ، ويـؤكد على هذا الهدف فى كثير من مقالاته السياسية ، ويرى أن هؤلاء الدينيين يريدون تحويل الدولة إلى " جيتو " وينظرون إلى العلمانية فى صورتها الديمقراطية على أنها نبت غـــريب ، كما أشـــار فى مقال نشر له فى نوفمبر (١٩٩٦) :

<< إن كـان هـؤلاء أو هؤلاء فهم يريدون سحق الدولة ، يرغبون فى تحويلها إلى مملكة ، ويـتطلعون إلى تشـكيلها كالجيـتو . إنهم يدعون ضدى ، وضدنا جميعاً ، بأن الديمقراطية هى نبت غريب >> (٣) .

ويـرد عـوز فـى نفس المقـال علـى هـذه الأفكـار ، بـأن الدولـة خلقـت علمانـية ومنذ الإرهاصات الأولى للحركة الصهيونية :

<< لـيس مصـادفة ، أن يكـون عـنوان كـتاب هرتسـل هـو " دولة اليهود " وليـــس " الدولـة الـيهودية " . فالدولـة لا تسـتطيع أن تكـون يهودية " مثلما أن الكرسى لا يمكن أن يصـبح يهـودياً " إن الأجـزاب الدينـية تحـاول منذ خمسين عاماً ، أن تعضد ما يطلقون عليه الطابع اليهودى للدولة ، ولكن ذلك مسمى عبثى >> (٤) .

---

(١)عاموس عوز: "بشم هاحييم فهاشالوم" (باسم الحياة والسلام)، صحيفة يديعوت أحرونوت الإسرائيلية، ١٠-٣-١٩٩٨.

(٢) نفس المرجع

(٣) عامـوس عـوز: "موخراحيم لهتعورير سووف مهاهيبنوزاه شل ماباه" (يجب أن ننتفض من استهواء الخريطة)، صحيفة معاريف الإسرائيلية، ٨-١١-١٩٩٦.

(٤)"موخـراحيم لهتعوريـر سـووف سـووف مهاهيبـنوزاه شـل مابـاه" (يجـب أن نـنـتفض مـن اسـتهواء الخريطة)، مرجع سابق.

ويؤكد عوز أيضاً على أن القوة لن تصنع شيئاً وأن إسرائيل دولة علمانية قائلاً :

<< إن أى محاولـة لزيادة " الطابع اليهودى " بالمعالجة السياسية والقوانين التعسفية ، وأية محاولـة لتقـريب مجيء المسيح عن طريق جيش الدفاع الإسرائيلي ، من شـأنه أن يعمق فقط التصدع ، فمن المستحيل تهويد إسرائيل بالقوة >>(١) .

ويواصـل عـوز تأكيده ، مـنذ الستينيات ، على خطر جنوح إسرائيل نحو التيار الدينى ، وهدف هذه الجماعات لتحويلها إلى دولة دينية ، ويحذر من ذلك ومن تدهور هذا الوضع فى ظل الظروف الراهنة ، وذلك فى مقال له نشر فى أكتوبر (١٩٦٧) :

<< إن إسـرائيل الجديـدة ليسـت نموذجاً من سوق مملكة داود وسليمان ولا دولة الهيكل الثانى . إن هذه الدولة غارقة فى وضع معوج ومرتبط بكل ما هو "مقابل" أو " معأرض " فالـتوراه والأنبـياء والمشنا والجمارا و البيوط والهالاخاوت والصلوات ، كل هذا حاضر هنا ويحملق فينا من كل صوب دون أن نكون وسطهم ودون أن نكون بعيداً عنهم . . >>(٢).

ويـرى عـوز فـى نفس ذلـك المقـال أن إسـرائيل كدولـة علمانـية ، تستطيع أن تواكب المجـتمعات الحديـثة وأن إسـرائيل كدولـة علمانـية هـى التـى صـنعت إسـرائيل كدولـة وكمؤسسات :

<< . . ولكـن لا ننسـى ولا يجـب أن نسـمح بـأن ننسـى أنـه : لا يقيم إله ولا مسيح ولا معجـزة ولا مـلاك اسـتقلال اليهود فى أرضهم . بل فعلت هذا الحركة العلمانية السياسية ، صاحبة الأيديولوجية الحديثة والتكتيك المعاصر . . >> (٣).

وهكـذا ، يـرى عـوز أن إسـرائيل كدولة علمانية تستطيع أن تتقدم وتنفتح على العالم ، وتسـتطيع أن تكـون مـن الدول المتقدمة فى إشارة إلى أن إسرائيل كدولة يهودية دينية ستعيد أيـام " الجيـتو " والانغـلاق وتسـلط الـدين اليهودى على كل المجالات الحياتية إلى الشعب اليهودى مرة أخرى ليعيش فى غيائب الظلمة والرجعية من الانعزالية الجيتوية .

(ب) الأعمال التى تقوم بها الأنا الممثلة لـ (اليهودى الإسرائيلى الدينى) :

يشـير عـوز فـى مقالاتـه السياسية إلى الأعمال التى تقوم بها هذه القوى الدينية ، من قتل ومـذابح وقمـع ، حتى فى يوم السبت الذى من المفترض أنه يوم مقدس بالنسبة لهم ، حيث يشير إلى ذلك فى مقال له نشر بأبريل (١٩٩٨) قائلاً :

---

(١)"موخـراحيم لهتعوريـر سـووف مهاهيبـنوزاه شـل مابـاه" (يجـب أن ننـتفض مـن اسـتهواء الخريطة) ، مرجع سابق.

(٢)عاموس عوز : "بأور هاتيخيليت هاعازاه" (فى الضوء الأزرق الساطع) ، مرجع سابق ، (ص٧٨).

(٣)نفس المرجع ، (ص٧٦).

<< مـاذا تبقـى لـنا ؟ تعصب صاخب وغاضب من أجل تقديس السبت، حتى ولو كان بإضـرام الـنيران ورشـق الحجـارة فـى يـوم السبت لمدنسى السبت. أو طرد صاخب ومذل لمتهودين لم يراعوا دقة الشرائع فى التهويد >> (١).

ويقـول عـوز أيضـاً فى إشارة إلى الأعمال الحقيرة التى يقوم بها هؤلاء الدينيون فى مقال كتبه عام (١٩٨٩):

<< إن كـل مـن يقـوم بتعذيب الأطفال والنساء والرجال تعذيباً سادياً أو من يقوم بعمل مذبحة فـى قـرية، أو يحرق بـاب أحـد الصحفيين، أو يضـرب جـندياً فـى جيش الدفاع الإسـرائيلى، أو يقـتل معارضـاً سياسيـاً، فإنـه " لا يأخـذ القانون بالأيدى " بل هو حقير ومجرم، يجب أن تناله يد القانون " >> (٢).

ويواصل عوز تهكمه على هذه الأعمال فى نفس المقال قائلاً:

<< إن سـلطة الاحـتلال الإسـرائيلى فـى المناطق تنهار وتتعفن، ليس بسبب أن الأطفال يرشـقون الحجارة والزجاجات الحارقة، فالقدس المتشددة أيضاً هناك من يلقى فيها الحجارة فـى أيـام السبت، كمـا أن عـالم الجـريمة فـى تـل أبـيب قـد أصـبح خبيراً فى الزجاجات الحارقة>>(٣).

ويواصل عوز هجومه الشديد على هؤلاء الدينيين فى مقال له عام (١٩٩٨):

<< إن الحـريديم يلومونـنا علـى أن النشـيد الوطنـى والعلم وصفارة يوم ذكرى أحداث الـنازية وأكالـيل الـزهور، هـى مـن عـادات الأغـيار. هـم على حق تماماً فى الوقت الذى يظهـرون فيه أمامنا متنكرين فى صورة من الإقطاعيين البولنديين (*) التى ترجع إلى القرن الـ ١٧ . هـم علـى حق فى الوقت الذى يرقصون فيه رقصات الكفر، هم على حق فى الوقت الـذى يغـنون فـيه أنغام الأكارينا (*) . هم على حق فى الوقت الذى يتناقشون فيه معنا طبقاً لأدوات الفكر الخاصة بأرسطو عن طريق رمبام (*) >> (٤).

---

(١) عاموس عـوز: "بليـى جاأفـاه، بليـى تقفاه" (بلا غرور وبلا أمل)، صحيفة تل أبيب الإسرائيلية، ٢٩-٤-١٩٩٨.

(٢)عاموس عوز: "بشم هاحييم فهاشالوم" (باسم الحياة والسلام)،مرجع سابق، (ص٥).

(٣)نفس المرجع، (ص٥).

(*) كناية عن إقطاعى بولندى كان يهود بولندا يقدمون له الضرائب لإرضائه.

(*) الاكارينا: آله طرب نفخية من خزف أو معدن بيضوية الشكل ذات أنبوبة وثمانية ثقوب Ocarina.

(*) رمبام: هـو " ربى موشيه بن ميمون " ولد فى قرطبة فى مارس عام (١١٣٥). كان من أشهر علماء اليهود فـى القـرون الوسـطى، استخدم اللغة العربية فى أكثر مؤلفاته الفلسفية، وإن كان قد كتب معظمها بحروف عبرية، شأنه فى ذلك شأن معظم علماء اليهود فى القرون الوسطى.

(٤)عاموس عوز: "بليى جاأفاه، بليى تقفاه" (بلا غرور وبلا أمل)، مرجع سابق، (ص٦٤).

(ج) موقف الأنا الممثلة لـ (اليهودى الإسرائيلى الدينى) من الآخر (الفلسطينى) :

تتعامل هـذه " الأنـا " مع " الآخر الفلسطينى " ، وكأنه عدو لابد من قمعه، وترفض الحل الوسط وإقامة الدولة الفلسطينية، ولا تغير من نظرتها إلى العربى بدعوى أنه ليس شريكاً فى السلام، فيقول عوز موجهاً حديثه إلى اليهود الدينيين، فى مقال كتبه عام (١٩٨٩):

<< . . ومن المستحيل أن نستمر فى استخدام الحجة القديمة التى تقول: إنه لا يوجد من نتحدث معه، وإنه لا يوجد شريك للسلام، وأنه بدون المناطق سيقوم أعداؤنا بقذفنا فى البحر. إن هذه الحجة قد ماتت >> [١].

ويسخر عوز من هؤلاء الدينيين لصلفهم ضد العرب الفلسطينيين إلى حد تهكمه على الوصايا العشر والتوراه، فى مقال له كتبه عام (١٩٩٨):

<< إننى لا أعرف: ربما كان مكتوباً فى الوصايا العشر: لا تتنازل، لا تصفح، لا تعطى، لا حكم الذاتى، لا دولة فلسطينية، لا حل وسط، العربى سيبقى عربياً . . >> [٢].

ويشير عوز كذلك فى مقاله هذا إلى مسألة القمع والترحيل التى تتبناها هذه الجماعات الدينية، ساخراً من هذا الموقف المتعنت تجاه الآخر (الفلسطينى):

<< . . ربما إذا أتى أحد إلى " هليل الشيخ [*] " وطلب منه أن يقول له الشريعة كلها باختصار شديد، فقد يجيب عليه ببشاشة وبكل لطف قائلاً: (إقمعهم قمعاً، ورحّلهم ترحيلاً) >> [٣].

ويرى عوز فى موقف هذه " الأنـا " الدينية ومحاولاتها لتوجيه ضربة قوية ضد الفلسطينيين كالترحيل الجماعى، أنه أمر يصعب تحقيقه كما ذكر فى مقاله عام (١٩٨٩):

<< إذا كان هناك بينكم من تعلل بالأمل فى تنفيذ ضربة واحدة - مثل الترحيل الجماعى أو ارتكاب جرائم حرب جماعية أخرى - فليكن واضحاً لكم أن هذه الضربة لن تقوم، ولن تحدث . . >> [٤].

وتقف هذه " الأنـا " الإسرائيلية الممثلة لليهودى الدينى موقف الرافض للسلام مع الآخر (الفلسطينى)، وترى أن أرض إسرائيل لابد وأن تكون كاملة وأنها غير قابلة للتفاوض:

---

(١)عاموس عوز: "بشم هاحييم فهاشالوم" (باسم الحياة والسلام)، مرجع سابق، (ص٥).

(٢)عاموس عوز: "بليى جاأفاه، بليى تقفاه" (بلا غرور وبلا أمل)، مرجع سابق، (ص٦٤).

(*) هليل الشيخ: من الأباء المفسرين للمشنا، وهو من أكبر المفسرين (٧٠ — ١٠ ق.م) وكان معاصراً لميلاد المسيح، كما كان أول من أطلق عليه لقب " ربى ".

(أنظر: د. ألفت محمد جلال: الأدب العبرى القديم والوسيط، مطبعة عين شمس، ط١، ١٩٧٨).

(٣)عاموس عوز: "بليى جاأفاه، بليى تقفاه" (بلا غرور وبلا أمل)، مرجع سابق، (ص٦٤)..

(٤)عاموس عوز: "بشم هاحييم فهاشالوم" (باسم الحياة والسلام)، مرجع سابق، (ص٥).

<< . . أنـتم إسـرائيليون تـرغبون فـى أرض إسـرائيل الكاملة، ولا تؤمنون بالسلام مع العرب . . >>[1]

وتنظـر هذه " الأنا " إلى الآخر (الفلسطينى) نظرة فوقية، عبر عوز عن استيائه منها فى مقال له كتبه عام (١٩٩٨) قائلاً:

<< . . فـى الحقيقة عندما يقول الحاخام الأول السابق، راب الياهو، " إننا رفعنا العرب مـن الزبالة، وهم ناكرون للجميل "، فإن هذا الأمر يثيرنى، ولدى حساب مرير مع رجال مثله . . >>[2].

وهكـذا، تقـف " الأنـا " الإسـرائيلية الممـثلة لليهودى الدينى موقف الرافض للسلام، وعدم الاعتراف إلا بأرض إسرائيل الكاملة، وتتبنى مواقف متزمتة ضد الآخر (الفلسطينى) مثل القمع، ومحاولة الترحيل الجماعى، ولا تؤمن بالسلام معه أو حتى بالحل الوسط، على اعتبار أن الآخر (الفلسطينى) يعيش فى كنف دولة إسرائيل ويتمتع بما فيها، ولا يحق له أن يطلب أكثر من ذلك وإلا اعتبر ناكراً للجميل.

(د) موقف عوز من الأنا الممثلة لـ (اليهودى الإسرائيلى الدينى) :

أدرك عـوز حقـيقة هـذه القـوى الدينية المتشددة والمتطرفة، لذلك كانت خطبه وأحاديثه ومقالاتـه السياسـية المختلفة تتضـمن تحذيـرات شـديدة اللهجـة إلى كل من المؤسسات فى الدولـة، وإلى الحكـومة والمجتمع، محذراً من استقطاب هذه الجماعات الدينية لجزء كبير من الشـعب فـى ظـل التـزايد والتنامـى الملحـوظ لهم، ومحذراً من تأثيرهم على القرار السياسى وعلى المجتمع، على اعتبار أنهم خطر قائم على دولة إسرائيل:

<< . . إنهـم بالتأكـيد يمـثلون خطـراً على كل ما هو غـــال ومقدس لدينا. فـ "جوش امونيم (*) " والمستوطنون هم بصفة عامة، فى رأيى، خطر قائم على دولة إسرائيل >>[3].

ويواصـل عـوز حديثه، فـى مقـال لـه نشـر فـى مارس عام (١٩٩٨)، محذراً من هذه الجماعات الدينية التى تحاول فرض معتقداتها بالقوة لترهب المجتمع وتمهد لقمعه:

---

(١) عاموس عوز: "بشم هاحييم فهاشالوم" (باسم الحياة والسلام)، مرجع سابق، (ص٥).

(٢) أورنا قدوش مع عاموس عوز، صحيفة معاريف الإسرائيلية، ٢٩-٤-١٩٩٨، (ص٣٠).

(*) (كتلة الإيمان): هـى حـركة استيطانية من شباب المتدينين، تكونت بعد حرب أكتوبر (١٩٧٣) بقيادة الحاخـام " دوركمـان "، ويعتبر أعضاؤها أن دولة إسرائيل هى بداية الخلاص، ويعد العلم السياسى الدينى لجوش امونيم هو أحد المراجع الرئيسية للمجتمع الإسرائيلى المتدين.

(أنظر: د. رشـاد عـبدالله الشـامى: القوى الدينـية فـى إسرائيل بين تكفير الدولة ولعبة السياسة، مرجع سابق، ص١٠٤، ١٣٧).

(٣) أورنا قدوش مع عاموس عوز، صحيفة معاريف الإسرائيلية، ٢٩-٤-١٩٩٨، (ص٣٠).

<< جماعة صغيرة، جماعة دينية، منحطة ومتوحشة، انقضت علينا منذ بضع سنوات من إحدى الزوايا المظلمة لليهودية، تهدد بتخريب كل ما هو غال ومقدس لدينا، لتفرض علينا طقوس دموية وحشية ومجنونة . . >> (١) .

ويقـول عـوز فى خطاب له أمام حركة " السلام الآن " فى عام (١٩٨٩) محذراً الدولة منهم:

<< . . إذا لم تـنهض دولـة إسـرائيل لتصدهم الآن، فإن اليوم الذى سيقفون فيه حيالنا قريب >>(٢).

ويواصل عوز تحذيره محدداً موقفه فى نفس هذا الخطاب قائلاً:

<< . . إذا لم نـنتفض الآن، فـإن الجنون سيكون معيار الغد، ذلك المعيار الذى سيكون مصـير مـن يعارضـه السـجن. لقـد حانت اللحظة لننهض ونعلن من هنا عن النذر القاطع وهو: إنهم لن ينجحوا >> (٣).

ويـوجه عوز كلمته إلى جميع فئات المجتمع من صقور وحمائم دون استثناء، محذراً إياهم من جنوح اليهودية على أيدى هؤلاء إلى الظلمة والحيوانية:

<< إذا لم تهـبوا جمـيعاً - أيهـا الصقور والحمائم، الدينيون والعلمانيون، الحاخاميون، والمستشارون القضائيـون - لتسموا السادية بأنها سادية والمذبحة بأنها مذبحة، فإن اليهوديـــة نفسهـــا سوف تنساق إلى سراديب الحيوانية والقذارة >> (٤).

ويـرى عـوز أن الديانـة الـيهودية فى خطر مهيب على أيدى هؤلاء المتعصبين الدينيين، وأنهـم يستخدمون الديانـة كسـاتر يخفى نواياهم البغيضة والحقيرة، حتى أننا نجده يطالب بفصل الدين عن هؤلاء الدينيين وليس عن الدولة، كما ذكر فى مقال له عام (١٩٩٨):

<< إننى أفكر فى أننا لسنا فى حاجة إلى فصل الدين عن الدولة، بل إلى فصل الدين عن الدينيين >> (٥).

وربما كان عوز صادقاً إلى حد كبير عندما حذر " رابين (*) " و " شامير (*) "، آنذاك، مـن أن رصاص القتلة سوف ينال منهم، وهو ما تحقق بالفعل مع رابين، وذلك فى خطاب له أمام حركة " السلام الآن " فى عام (١٩٨٩):

---

(١)عاموس عوز: "بشم هاحييم فهاشالوم" (باسم الحياة والسلام)، مرجع سابق، (ص٤).

(٢)نفس المرجع، (ص٤).

(٣)نفس المرجع، (ص٤).

(٤)نفس المرجع، (ص٥).

(٥)عاموس عوز: "بليى جاأفاه، بليى تقفاه" (بلا غرور وبلا أمل)، مرجع سابق، (ص٦٣).

(*) اسحاق رابـين: رئيس الوزراء الإسرائيلى الأسبق، وهو من اليسار الإسرائيلى، وينتمى إلى حزب العمل، وقد تم اغتياله فـى عـام (١٩٩٥) علـى يد " يجال عامير " أحد المتطرفين الإسرائيليين بسبب اتفاقيات السلام التى أجراها مع الفلسطينيين.

(*) أسحاق شـامير: رئـيس الـوزراء الإسـرائيلى الأسـبق، الـذى تـولى الوزارة عام (١٩٨٣) بعد استقالة "مناحم بيجين".

<< هـناك مـن يحشو فى خزنة بندقيته الرصاصة المخصصة لكم يا سيد شامير، ويا سيد رابـين. . وقـد تلقـى مـنكم تصديقاً مسبقاً بأن قتلكم سيكون فى مجمله تعبيراً عن " فرض القانون بالقوة " >> (١).

ولم يكـتف عـوز بـذلك بـل أكد لهم، فى نفس هذا الخطاب، على أن رصاص هؤلاء القتلة سوف ينال منهم ولن يكونوا فى منأى عنه إذا لم يهموا بعمل شئ لكبح جماحهم:

<< إن لم تهـبوا انـتم يا سيد شامير، ويا سيد رابين، وأنتم أيضاً أيها الحاخاميون الكبار وغير الكبار، لتدعون القتل قتلاً، فلن تكونوا أنتم أيضاً محصنين ضد رصاص القتلة >>(٢).

ويـدرك عـوز أن الصـراع بين اليهود الدينيين والعلمانيين حول أمور عديدة، ومن بينها حـدود الدولـة، من شأنه أن يزيد من التصدع الداخلى فى المجتمع الإسرائيلى، لذلك فهو يـؤكد لكـلا الطـرفين علـى أن الخريطة الداخلية أهم بكثير، وذلك فى إحدى مقالاته لعام (١٩٩٦):

<< لقـد حـررت حـرب الأيـام السـتة المـارد من الزجاجة، ومنذ ذلك الحين والدينيون والعلمانـيون يتساءلون إلى أين ستصل حدود الدولة، ولكننى أنا الصغير أقول لكم: .. إن الخريطة الداخلية هى الأهم بالفعل >> (٣).

كما أنه أكد على ذلك أيضاً فى مقال آخر له كتبه عام (١٩٩٨) قائلاً:

<< يجب أن نخرج من استحواذ الخريطة علينا، كما يجب أن نكسر استهواءها >>(٤).

ومـن المعـروف أن حدود الدولة كانت مثار اهتمام الدينيين منذ حرب يونيو (١٩٦٧)، حـيث كانـت سبباً رئيسياً فى زيادة عدد اليهود الدينيين داخل إسرائيل، حيث أرجعوا هذا الانتصـار الكـبير واحتلال إسرائيل لأجزاء كبيرة من أراضى الدول العربية إلى معجزة إلهيه حققهـا لهـم الرب مكافأة لهم، واستغل الدينيون هذا الموقف واستقطبوا عدداً كبيراً لديهم من اليهود العلمانيين، بالإضافة إلى ما حققوه من مقاعد فى الكنيست.

ويقـف عـوز أيضـاً مـوقفاً شديداً من هذه القوى الدينية بجماعاتها المختلفة، ويرى أنها تـزيد مـن خطـر الانقسـام الداخلى والذى من شأنه أن يقضى على الدولة ويمزق الشعب، ويحـذر مـن ذلـك فـى مقـالات عديـدة، حتى أنه يطلق صرخة مدوية يعبر فيه عن مخاوفه

(١)عاموس عوز: "بشم هاحييم فهاشالوم" (باسم الحياة والسلام)، مرجع سابق، (ص٥).
(٢)نفس المرجع ، (ص٥).
(٣)"موخـراحيم لهتعوريـر سـووف مهاهيبـنوزاه شـل مابـاه" (يجـب أن ننـتفض مـن اسـتهواء الخريطة)، مرجع سابق(ص٧).
(٤)عاموس عوز: "بليى جاأفاه، بليى تقفاه" (بلا غرور وبلا أمل)، مرجع سابق، (ص٦٤).

وتوجسه تجاه هذا التمزق والتصدع الذى هو فى طريقه إلى الشعب الإسرائيلى، قائلاً فى خطابه أمام حركة "السلام الآن" عام (١٩٨٩):

<< إننا نطلق تحذيراتنا هذه بلغة لا تحتمل إلا معنى واحداً: نحن لا نريد تمزق الشعب، ولكننا لن نسلم بأى حال وتحت أى ظرف كان بتحويل ذلك الوطن إلى وحش، ولن نسمح لكم باستخدامنا للقيام بدور أسنان ومخالب هذا الوحش >> (١).

ترى هل تصدق مخاوف عوز من أن إسرائيل تجنح نحو منحنى التمزق الداخلى، مثلما صدق حين تنبأ باغتيال رابين، وقد حدث ذلك ؟ وهل ستصبح إسرائيل داخليا " غابة " كما يقول؟

إن كل الحقائق والمؤشرات التى تطفو الآن على سطح المجتمع الإسرائيلى داخلياً، تقول إن القلق يعتمل فى نفوس الإسرائيليين حول المستقبل بسبب الصراعات القائمة بين فئات الشعب، وخاصة مع اليهود المتشددين المتعصبين، وذلك فى ظل تزايد وتنامى هذه القوى الدينية المتعصبة، ومحاولة فرض سيطرتها بالقوة لا بالاختيار، ومواجهاتها الدامية مع اليهود العلمانيين من ناحية، ومع العرب الفلسطينيين من ناحية أخرى.

وعلى المستوى السياسى، فإذا كان هناك مشكلة سياسية قابلة لأن تهدد دولة إسرائيل، فهى تتعلق بما يمكن أن نسميه التشرذم أو التفتت الحزبى الذى تعود مقدماته الأولية إلى انتهاء نظام الحزب المهيمن فى عام (١٩٩٧)، دون أن تتوافر إمكانيات لاستقرار نظام حزبين (العمل والليكود). فقد أخذ هذان الحزبان فى التراجع دون أن يفقدا مكانتهما المميزة كلياً، فيما ازدادت أهمية أحزاب صغيرة صارت متوسطة الحجم، قوية النفوذ مثل حزبى " شاس (*) " و " المفدال " الدينيين (٢).

لقد كان اليهود المتديسنون ينظرون إلى الصهيونية ودولة إسرائيل بوصفهما من تعاليم الكفار التى نشرها المرتدون، واغتصاباً وقحاً لوعد الرب بخلاص الأرض على يد المسيح المخلص. لكن الاتجاهات الصهيونية العلمانية فى الدولة حاولت، ولو على حساب القيم العلمانية، تهدئة روعهم وحماية حقوقهم الدينية ومنحهم مزايا. وهو الأمر الذى جعل

---

(١)عاموس عوز: "بشم هاحييم فهاشالوم" (باسم الحياة والسلام)، مرجع سابق، (ص٥).

(*) شاس (اتحاد حراس التوراة السفارديم): شكل هذا الحزب فى عام (١٩٨٣)، وظهر فى انتخابات عام (١٩٨٤) لأول مرة كقائمة طائفية تمثل اليهود الشرقيين فى الأحزاب الدينية. والزعيم الروحى لهذا الحزب هو الحاخام " عوفاديا يوسف " رئيس مجلس كبار علماء التوراة السفاردي. ويؤكد هذا الحزب على الاحتياجات الروحية لشعب إسرائيل، ويدعو إلى " إعادة زهوه إلى سابق عهده "، أى العودة إلى الأصول التوراتية.

(٢) د. وحيد عبد المجيد: مرجع سابق، (ص١٨).

اليهود المتدينون ينتهزون الفرصة التى أتاحتها الديمقراطية الإسرائيلية، وشكلوا الأحزاب السياسية لزيادة هذه الامتيازات، ولكنهم مع هذا ظلوا بمنأى عن مفاهيم الصهيونية، وعملوا على تقويض الدولة، وتحويلها إلى دولة شريعة، وكثفوا حملاتهم لتطبيق تفسيراتهم الخاصة، بصدد مسألة " من هو اليهودى ؟ ". لتأكيد سلطتهم فى تحديد مواصفات المواطن الإسرائيلى وهويته على أساس دينى بحت [(١)].

وهكذا، لم تأت مخاوف عوز وتحذيراته شديدة اللهجة من فراغ، بل لأنه كأديب وككاتب وكإنسان إسرائيلى فهو يعيش قلق الانقسام الداخلى وحدوده، والذى سيتحدد بناء على من ستكون له الكلمة العليا التيار الدينى أم العلمانى ؟

ولعل ذلك الانقسام الداخلى ينبع من الحقيقة التى لا يمكن تجاهلها بالنسبة للصراع بين الدينيين والعلمانيين فى إسرائيل، وهى أن هناك هوة واسعة بين هذين المعسكرين تزداد اتساعاً عاماً بعد عام. وإذا كان الحديث قد جرى بعد اغتيال رابين (نوفمبر ١٩٩٥)، وبعد انتخابات (١٩٩٦) عن " الصراع الثقافى "، وعن تغيير شكل الدولة، وعن الصراع بين " تل أبيب والقدس "، فإن الشعب المقيم فى إسرائيل الآن ليس مجرد كتلتين سياسيتين أو رؤيتين ثقافيتين، بل هما بالفعل شعبان لكل منهما هويته ومعتقداته ومفاهيمه الخاصة[(٢)]. وهو الأمر الذى حدا بعوز لأن يتنبأ بالوضع الذى ستكون عليه إسرائيل فى الأعوام القادمة قائلاً فى مقال له عام (١٩٨٩):

<< ستكون هنا غابة، ستكون هنا بيروت >> [(٣)].

الأنا الممثلة لـ (اليهودى الإسرائيلى اليمينى المتطرف) :

تتبنى بعض القوى اليمينية الصهيونية فى إسرائيل، وعلى رأسها " الليكود "، اتجاها يقضى بضم الأراضى الفلسطينية المحتلة إلى إسرائيل ومنح الفلسطينيين حكماً ذاتياً محدوداً، فى المسائل المتعلقة بالتعليم والأحوال الشخصية والقضاء والصحة وغيرها من المجالات، مع الإبقاء على السيطرة الأمنية وتوسيع المستوطنات. وهو حل لا يصل بالقضية إلى نزع فتيل التوترات، ويخلق مشكلة لوضع هؤلاء العرب بالنسبة للدولة. وقد حاول البعض من اليمين الصهيونى حل هذه الإشكاليات بطرح البديل الأردنى، دون أن يوضح كيف سيتم تنفيذه [(٤)].

(١) د. رشاد عبدالله الشامى: إشكالية الهوية فى إسرائيل، مرجع سابق، (ص١٦).
(٢)نفس المرجع ، (ص١٦، ١٧).
(٣)عاموس عوز: "بشم هاحييم فهاشالوم" (باسم الحياة والسلام)، مرجع سابق، (ص٥).
(٤) د. رشاد عبدالله الشامى: إشكالية الهوية فى إسرائيل، مرجع سابق، (ص١٨).

وقـد أجـرى عـوز لقـاءات عديـدة مـع بعـض المواطـنين الإسـرائيليين مـن المسـتوطنين الصـهاينة، الـذين يؤمـنون بـتلك الـتوجهات اليمينية المتعصبة ضد العرب، ورصد خلالها اتجاهـات عدم الثقة فى السلام مع الطرف (الآخر)، وأن الصراع العربى الفلسطينى سيظل قائمـاً دون نهاية، وذلك لاعتبارات أمنية، كما يرى هذا الجناح اليمينى المتطرف الذى يتسم مـوقفه بعدم اللين أو التسامح تجاه ما يسمى بالحل الوسط والسلام مع العرب الفلسطينيين.
ويـرى المسـتوطن الإسـرائيلى اليمينـى ضرورة توسيع الأراضى المحتلة وإقامة المستوطنات بهـا، علـى اعتبار أن هذه الأرض العربية هى أرضه التى منحها له الرب، ولا يمكن التنازل عـنها، وهنا تنشأ كراهية المستوطن الصهيونى للطرف الآخر (الفلسطينى) الذى يحاول أن يدافـع عـن أرضـه، فتـزداد فجـوة الصـراع بـين الطرفين، خاصة وعندما يتسم الموقف من السلام والأرض مع الآخر (الفلسطينى) بالصلف والتعنت.
ويمكـن دراسـة الأنـا الممـثلة لــ (اليهودى الإسرائيلى اليمينى المتطرف) فى كتابات عوز السياسية، من خلال الأبعاد التالية:

(أ) موقف الأنا الممثلة لـ (اليهودى الإسرائيلى اليمينى المتطرف) من السلام:

أجـرى عـوز عـدداً مـن اللقـاءات مـع المسـتوطنين الـيهود رصد خلالها توجهاتهم نحو السـلام، ومـوقفهم مـن الحل الوسط. وقد نشرت هذه اللقاءات فى مقالات له بانتظام فى صـحيفة (دافار) فى شهرى نوفمبر وديسمبر (١٩٨٢)، وكذلك فى يناير (١٩٨٣). ومن خـلال هذه المقالات، يمكن القول أن الجانب اليمينى من المجتمع الإسرائيلى يرى أن السلام مظهـر للضـعف والاستسـلام، وهـو مـا ظهـر خـلال سؤال لعوز وجهه إلى سيدة تدعى " هاريـت " حـول رأيها فى السلام مع مصر، حيث أكدت فى إجابتها على أن الشعوب غير اليهودية كافة تكره اليهود وشعب إسرائيل:

<< . . هذا لم يكن سلاماً، بل كان خضوعاً وتبديداً للوقت، فقد باعوا كل شئ لمصر فـى مقابـل قطعـة ورق. وعامـة، أنا لا أؤمن بأن هناك سلاماً، فكراهية غير اليهود لشعب إسرائيل هو أمر أبدى. فلم يحدث ذات مرة سلاما بيننا وبينهم. . >> (١).

وتـؤمن هــذه السـيدة اليمينـية أن الحــرب هــى السـبيل الوحـيد للـتعامل مــع الآخـر(الفلسـطينى)، فهـى تقـول فـى إجابة لعوز حول رأيها فى حالة ما إذا اقترح العرب اتفاقية سلام أو حل وسط:

---

(١) عاموس عوز: " بوه فشام بإيرتس يسرائيل بستاف ١٩٨٢، مأماريم"(فى كل مكان فى إسرائيل،فى خريف ١٩٨٢)، دار نشر عم عوفيد، تل أبيب، ١٩٨٨، (ص٤٩).

<< يجب أن نقول لهم ببساطة شديدة: نأسف، لقد جئتم متأخرين، بل يجب أن نخوض معهم حرباً حتى لا يؤثروا فى الضعفاء منا >>(١).

ويؤمن البعض الآخر من الإسرائيليين اليمينيين بالسلام مقابل السلام فقط، وأن العرب الفلسطينيين بإمكانهم أن يعيشوا فى سلام إذا توقفوا عن المطالبة بحقوقهم، حيث يقول " مناحم " لعوز متدخلاً في الحديث حول السلام مع الآخر (الفلسطينى):

<< إننى أكثر تطرفاً من " هاريت "، ولكننى بصفة خاصة أرى أن هناك احتمالات طيبة للعيش مع العرب فى مودة. متى ؟ بعد أن يدركوا أنهم يعيشون هنا لدينا كرماً منا وليس وفقاً لحق لهم >> (٢).

وتأتى الرغبة فى إمكانية العيش مع العرب فى حالة ما إذا صمتوا عن مطالبتهم بالأرض والسلام، فليعيشوا أقلية، والأكثر من ذلك يلتحقوا بالجيش:

<< أن يعيشوا لدينا، إذا رغبوا فى ذلك لم لا ؟ وأن يعملوا ويربحوا، . . وأن يعيشوا لدينا مثل الدروز، وأن يلتحقوا بالجيش لم لا ؟ . . >>(٣).

ومن المعروف أنه قد ترددت على مدى سنوات، أصوات تؤيد تجنيد الأقلية الفلسطينية فى إسرائيل فى جيش الدفاع الإسرائيلى، وذلك على أساس توسيع حقوق المواطنين الفلسطينيين ومساواتها باليهود، غير أن هذا الموضوع يحظى باتفاق تام بين المواطنين الفلسطينيين وبين المؤسسة الأمنية الإسرائيلية، يقضى بأنه يجب منع تجنيد الفلسطينيين فى جيش الدفاع الإسرائيلى نظراً لمراعاة مشاعر الجانبين (٤).

ويجئ رفض اليهودى الإسرائيلى اليمينى المتطرف للسلام، اعتقاداً فى أن القوة ستردع من يحاول أن ينال من الإسرائيليين، فيقول أحد المستوطنين اليمينيين فى إجابة لسؤال له حول السلام:

<< إننى لا أبحث لدى غير اليهود عن الاحترام، ولست فى حاجة إلى حبهم. . وكل من يرفع يده على أولادى، سوف أدمره وأدمر أولاده >>(٥).

ويريد هذا المستوطن اليمينى المتطرف - والتى تحتوى أقواله على توجهات يمينية متعصبة ليس ضد العرب فحسب، بل ضد البشرية بأسرها - من اليهود أن يكونوا فى مكان الصياد المفترس، ويريد من إسرائيل كدولة أن تردع كل من يحاول أن ينال منها:

---

(١) عاموس عوز: " بوه فشام بإيرتس يسرائيل بستاف ١٩٨٢، مأماريم" (فى كل مكان فى إسرائيل، فى خريف ١٩٨٢)، مرجع سابق (ص٥٢).

(٢) نفس المرجع، (ص٥٢).

(٣) نفس المرجع، (ص٥٢).

(٤) د. رشاد عبدالله الشامى: إشكالية الهوية فى إسرائيل، مرجع سابق، (ص١٧٨).

(٥) عاموس عوز: " بوه فشام بإيرتس يسرائيل بستاف ١٩٨٢، مأماريم" (فى كل مكان فى إسرائيل، فى خريف ١٩٨٢)، مرجع سابق (ص٧٠).

<< الأشـرار، ما أسوأهم فى العالم ؟ ومن يحاول فقط أن يصيبهم بأذى يقطعون له يديه ورجلـيه. . فكـل مـا يـرغبونه هـو الافـتراس، ولـديهم مـن القـوة مـا يكفـى للاصـطياد والافـتراس. فهـم يصـطادون ويفترسـون. . حينئذ، ومن الآن، فأنا أريد أن أرى إسرائيل أيضاً فى هذا النادى >> (١).

وإمعـــانـا فـــى أن القـــوة ستضـمـــن لهـم السـلام، وأن لغـة القـوة ستحقق الأمن للإسـرائيليين يقـــول هـــذا المستوطـن الصهيـونى اليمينـى، أن إسرائيل على استعداد لبدء الحرب العالمية الثالثة فى مقابل مقتل طفل واحد منهـم:

<< لنقسـوا ونحـرق كـل حقـول الـبترول فـى الشرق الأوسط. . . فنحن على استعداد فجأة، ستكون تلك هى النهاية، وقبل وجبة الإفطار أن نبدأ الحرب العالمية الثالثة >> (٢).

ويـرى المستوطن الإسـرائيلى اليمينـى المتطرف، أيضاً، أن القتل والنفى والطرد للعرب الفلسـطينيين أفضـل مـن السـلام، وأن العـنف وحـده هـو الضـمان الوحـيد لأمن الشعب الإسرائيلى ولسلامه:

<< لنقتل العرب طبقاً للضرورة وننفيهم، ونطردهم، ونحرقهم. . >> (٣).

ويؤكـــد علـــى هـــذا مستـــوطن يمينـــى آخـر قـــائلاً:

<< سـوف أفعـل كـل شـئ لطـرد العـرب بعـيداً، وسوف أفعل كل شئ من أجل إثارة معـاداة السـامية. أمـا أنـتم فعليكم بكـتابة القصـائد الشـعرية، حـول مرارة القدر لهؤلاء العرب >> (٤).

وهكـذا، تتضـح الـتوجهات اليمينـية المتطـرفة ضـد العـرب الفلسـطينيين لـدى بعض المواطـنين الإسـرائيليين، الـذين حسـموا مـوقفهم تجاه السلام ورفعوا شعار الحرب والقتل والـدمار لكل من يحاول أن يصيب دولة إسرائيل بأذى، فهم لا يؤمنون بالسلام، وذلك من مـنطلق القـوة التـى ستضـمن لهـم الأمـن والأمـان، ومـن مـنطلق عدم الثقة فى السلام مع العـرب، وهو ما اتضح من خلال الحوارات السابقة التى أجراها عوز معهم، ومن منطلق " معـاداة السـامية " أيضـاً التى زرعتها الصهيونية فى النفسية اليهودية على مر الأزمان، حتى صـارت عقـيدة ومـبدأ لا يمكن لهذه الفئة المتطرفة الحيد عنهما، وهو ما ظهر من رصد عوز لأفكارهـا ومعـتقداتها ونظـرتها للعـرب الفلسـطينيين على أنهم أعداء للأبد يريدون إبادة

---

(١)عامـوس عوز: " بوه فشام بإيرتس يسرائيل بستاف ١٩٨٢، مأماريم"(فى كل مكان فى إسرائيل،فى خريف ١٩٨٢)،مرجع سابق (ص٧٢).

(٢)نفس المرجع (ص٧٢).

(٣)نفس المرجع (ص٧٧).

(٤)نفس المرجع (ص٨٠).

الشعب اليهودى. وهو ما يبدو، أيضاً، فى خطاب أرسله أحد الإسرائيليين المتعصبين إلى عوز يتحدث فيه عن السلام مع العرب ونيتهم الحقيقية فى إبادة اليهود، وأن من يؤمن فى السلام مع العرب فهو مريض:

<< هل يريد العرب دولة فى الضفة ؟ إنهم يريدون الانتصار علينا باكتساح. هذا هو ما يريدونه.. والله كلكم مرضى، والأكثر مرضاً منكم هؤلاء الأدباء والأساتذة (*) اليساريون ومراسلو التليفزيون و " السلام الآن " >>(٢).

وهكذا، تنظر هذه " الأنا " اليمينية المتطرفة إلى الآخر (الفلسطينى)، على أنه لا يطلب السلام، بل يرغب فى إبادة اليهود وتدميرهم. وربما يرجع هذا الاعتقاد إلى تلك العقد النفسية التى أصيبت بها النفسية اليهودية على مر التاريخ، حيث كانت تمثل عنصراً شاذاً بين المجتمعات التى كانت تعيش بينها فى بلاد الشتات، حتى صارت " معاداة السامية " جداراً عالياً من الشكوكية وعدم الثقة فى " الآخر " يفصل بينها وبين غير اليهود، وخاصة العرب.

ويمكن القول أن تاريخ الشعب اليهودى ودولة إسرائيل يشكل دليلاً موضوعياً مسهباً للشكوك التحذيرية نحو الغرباء (٣). فهم يعتقدون أنه إذا كان العرب لم ينجحوا حتى الآن، فى تصفية دولة إسرائيل، فإن ذلك ليس بسبب عدم توافر قصدهم، ولكن لأنهم لم ينجحوا فى ذلك. غير أن الأهم من ذلك أن هناك إجماعا بين أعضاء الصفوة السياسية الإسرائيلية المعاصرة، عن أنه لو كانت الدولة العربية قد ألحقت هزيمة عسكرية لإسرائيل، فإن أغلب اليهود الشرقيين والغربيين فى إسرائيل كانوا سيصفون جسدياً، .. ففى الوقت الذى يرون فيه أن اليهود شعب مسالم، يقدرون أن العرب بحكم مزاجهم العميق يحبون الصراع والحرب (٤).

ويرى كذلك الإسرائيليون اليمينيون، ومن منطلق ما يسمى بنزعة العرب للحرب، أنه إذا تحقق السلام مع الطرف الآخر فى الصراع، فإن ذلك من شأنه أن يهيأ الفرصة للعرب فى القضاء عليهم، ومن شأنه أيضاً أن يؤثر على المفهوم الأمنى لديهم:

(*) الأساتذة: كان أنصار حركة السلام فى إسرائيل بعد حرب يونيو (١٩٦٧) من خلفيات متعددة، وكان البارزون من بينهم هم الملقبون بـ " الأساتذة " فى المصطلح الإسرائيلى الدارج، وهم جماعة متمركزة أساساً فى الجامعة العبرية، وإلى حد ما فى الجامعات الأخرى، ولا يمثل هؤلاء أكثرية الأساتذة، ولكن اللقب يرتبط بالموقف من السلام، إذ ينظر إليهم على أنهم يحملون تراث جماعة (حلف السلام) التى تأسست عام (١٩٢٥) التى كانت تتألف فى معظمها من الأساتذة.

(أنظر: د. رشاد عبدالله الشامى: إشكالية الهوية فى إسرائيل، مرجع سابق، ص ١٨٣).

(٢) عاموس عوز: " بوه فشام بإيرتس يسرائيل بستاف ١٩٨٢، مأماريم"(فى كل مكان فى إسرائيل، فى خريف ١٩٨٢)، مرجع سابق. (ص٣٧).

(٣) نفس المرجع، (ص ٢١٨).

(٤) السيد ياسين: الشخصية العربية بين صورة الذات ومفهوم الآخر، مرجع سابق، (ص١٤٦).

<< ماذا، أليس لديك إجابة لهؤلاء العرب الذين يريدون إبادتنا ؟ >>(١).

والســلام كـذلك بالنسبة لهـذه الفـئة اليمينية المتطـرفة، مـن شـأنه أن يهـدد المجتمع الإسرائيلى داخلياً فتقول " سارة "، وهى من اليمينيين المتطرفين لعوز:

<< إذا حـدث سـلام، فقـد يقضى علينا العرب، معاذ الله، حيث سيعملون من أجل هذا، أما نحن فستحلل >> (٢).

وهكـذا، حسـمت هـذه الفـئة اليمينـية موقفها وتمسكت به، ورفضت السلام، وآمنت بالصـراع، واستـمرارية العـداء العربـى ضـد دولـة إسرائيل وشعبها، حتى فى ظل وجود فرصة للسلام. وهو أمر يجئ نتيجة إيمان هذه الفئة اليمينية الإسرائيلية بمعتقدات خاطئة مثل معـاداة السـامية، وأن الآخـرين لا يفهمون سوى لغة القوة فقط، وهو ما ينطوى على كثير من النظرة الفوقية للآخرين غير اليهود.

لقد تمسك هذا القطاع من المجتمع الإسرائيلى بمبدأ أن هذا الصراع غير قابل للحل، وأن العـداء العربـى لـن يـتوقف تجـاه إسـرائيل. وقـد بدأ هذا القطاع ينظر إلى الدولة باعتبارها الوريـثة للـيهودى المكـروه والمضـطهد ورفعـت شـعار " عيسو يكره يعقوب " وهكذا فإن العناصـر اللاعقلانـية والمخـاوف والشـكوك أصـبحت لها شرعية وأصبحت توجه المجتمع وقادته (٣).

(ب) موقف الأنا الممثلة لـ (اليهودى الإسرائيلى اليمينى المتطرف) من الأراضى العربية:

تمخضـت حـرب يونـيو (١٩٦٧) عن عدة اتجاهات طفت على سطح الحياة السياسية فى إسرائيل، تجاه ما أسفرت عنه هذه الحروب من نتائج التوسع الإقليمى الإسرائيلى منها (٤):

(١) اتجـاه رأى أن الأراضـى التـى تم احتلالها هى جزء من " أرض إسرائيل الكبرى " وفق الحـدود الـواردة فـى الـوعد الإلهـى فـى الـتوراه، واعتـبر أن هـذه الأراضى هـــى، (الأراضى المحررة).

(٢)اتجـاه معـتدل رأى في احتلال هذه المساحات من البلاد العربية ورقة للمساومة من أجل الحصول على السلام واعتبر أن هـذه المناطـــق المختلة هى(المناطق المحتفظ بها).

(٣) اتجـاه رفـض مـبدأ احـتلال أراضى الغير بالقوة، ورفض الاعتراف بأن هذه المناطق هى جـزء من " أرض إسرائيل الكبرى "، أو أنها تشكل ورقة للمساومة من أجل السلام، واعتـبر أن إسـرائيل تحـولت إلى دولـة احـتلال اسـتعمارية بمـا يتـناقض مـع أخلاقـيات الصهيونية المثالية وأطلق على هذه المناطق اسم (المناطق المحتلة).

---

(١)عامـوس عوز: " بوه فشام بإيرتس يسرائيل بستاف ١٩٨٢، مأماريم"(فى كل مكان فى إسرائيل،فى خريف ١٩٨٢)،مرجع سابق (ص١٨٦).

(٢) نفس المرجع (ص١٦٨).

(٣) د. رشاد عبدالله الشامى: إشكالية الهوية فى إسرائيل، مرجع سابق، (ص٢٢٤).

(٤) نفس المرجع (ص١٧٩، ١٨٠).

وبالطبع تنتمي هـذه " الأنـا " إلى الاتجـاه الأول، حيث تـرفض السـلام مع العرب، وبالتالى فهى ترفض التنازل عن أى جزء من هذه الأراضى تحت أى ظروف.

وقد رصد عوز كذلك موقف بعض المستوطنين الإسرائيليين المتطرفين من تلك الأراضى العربية، خلال عدد من الحوارات التى أجراها معهم وكتب عنها فى مقالاته السياسية، فهم يـرون أن هـذه الأراضـى هـى أراضـى الـيهود، أرضـهم، والتـنازل عنها يعنى التنازل عن الأمـن، وعـن الـوعد الإلهـى لهـم، لـذلك فهـم يحسـمون مـوقفهم منذ البداية ويرفضون الـتفاوض علـيها ويغلقـون بـاب الحـل الوسـط، على أساس أن موضوع الأراضى العربية المحتلة، غير قابل للتفاوض.

ويتضـح كل هذا من خلال أحاديث عوز مع قطاع كبير منهم، وممن لهم توجهات يمينية متطـرفة بالنسبة لموضوع الأراضى، ضد العرب، وذلك من خلال المقالات التى كتبها عوز فى أواخر (١٩٨٢) وبداية (١٩٨٣):

<< ربمـا يفهم العرب ذات مرة، أن هذه الأراضى هى أرض اليهود. وكل العالم سوف يفهـم ذلـك. بشـرط أن نفهـم نحـن ذلـك بأنفسنا قبل كل هذا، وأن نتحد، وأن يكفوا عن السعى داخلياً ضد حقوقنا فى هذه الأراضى >>(١).

وقـد كـان هـناك اتجاه، بعد حرب (١٩٦٧)، حاول استغلال ميكانيزم الصراع العربى الإسـرائيلى بشـأن فـرض الأمـر الواقـع مـع استغلال عنصر الوقت، ورأى أنه كما اعترف المجتمع الدولى والعالم العربى بإسرائيل داخل حدود ما بعد حرب (١٩٤٨) فى ظل سياسة " فـرض الأمر الواقع "، فإنه مع التسويف وتغيير معالم المناطق المحتلة والسعى لتهويدها وفتح باب الجدل والمفاوضات حول مصير الأراضى لمدة ٣٠ عاماً على سبيل المثال، فإنه لن يأتى عام (١٩٩٧) إلا وسيعترف العالم بأن هذه الأراضى هى جزء من دولة إسرائيل (٢).

وهو ما يؤكد عليه مستوطن يمينى آخر يدعى " مناحم " قائلاً:

<< إن المسـلمين يعـرفون جـيداً فـى ثـنايا قلـوبهم أن هـذه الأرض، هى أرضنا. وهذا مكـتـوب لـديهـم حتى فى كتبهم. فى القرآن. وفى النهاية سوف يضطرون إلى الاعتراف بذلك >>(٣).

وتنظـر هذه الفئة إلى الأراضى المحتلة على أنها تقع ضمن ما يسمى بالوعد الإلهى لهم، فقـد منحها لهم الرب، ولا يجوز التنازل عنها أو التفريط فيها مهما كانت الظروف، فيقول

---

(١) عاموس عوز: " بوه فشام بإيرتس يسرائيل بستاف ١٩٨٢، مأماريم" (فى كل مكان فى إسرائيل، فى خريف ١٩٨٢)، مرجع سابق (ص٥٠).

(٢) د. رشاد عبدالله الشامى: إشكالية الهوية فى إسرائيل، مرجع سابق، (ص١٨٠).

(٣) عاموس عوز: " بوه فشام بإيرتس يسرائيل بستاف ١٩٨٢، مأماريم" (فى كل مكان فى إسرائيل، فى خريف ١٩٨٢)، مرجع سابق (ص٥١).

" عميئيل " وهو دكتور مهاجر من أمريكا، ومحاضر فى علوم الدولة بجامعة " بار إيلان " ، فى حديث له مع عوز عن الأراضى العربية:

<< يحظر علينا التنازل عن أرض إسرائيل، فما أعطاه لنا الرب، لا يمكن أن نعطيه لهم هدية >> (١).

وهكذا تنظر هذه الفئة اليمينية المتطرفة إلى الأراضى العربية على أنها منحة من الرب لهم، لا يمكن أن تكون قابلة للتفاوض فهى أرض مباركة من عند الرب لابد وأن تتخذ لها كافة الوسائل للدفاع عنها، حيث انتهجت هذه القومية المتطرفة سياسة تتميز بمزيد من التعصب والتطرف تجاه العرب عامة، وتجاه الفلسطينيين، بصفة خاصة، وأبدت استعدادها من خلال الغيرة على " أرض إسرائيل الكاملة " لاتخاذ جميع التدابير الممكنة (الطرد ـ الترحيل) لحل المشكلة الفلسطينية. ولم تعد " المناطق المحتلة " مجرد وسيلة من أجل الدفاع عن الدولة، وفق النظريات الأمنية، بل أصبحت، وفق هذه الأيديولوجية، هدفاً مقدساً، وتحولت صيغة " الوعد الإلهى " إلى برنامج سياسى ملزم (٢).

وترى هذه الفئة اليمينية المتطرفة أن وجود العرب الفلسطينيين على هذه الأرض، هو أمر عرضى وأنهم مدنسى هذه الأرض اليهودية التى منحها لهم الرب ولديها أمل فى أن الرب سيقوم بعملية تطهير لهذه الأرض من هؤلاء الفلسطينيين غير الجديرين بتلك الأرض الطاهرة والتى دنسوها.

وتأكيداً على تلك الرؤية اليمينية يقول عوز فى إحدى مقالاته السياسية، أنه ظهر أمامه فجأة فى نابلس شاب يهودى طويل القامة، وأمسك بكتفه قائلاً:

<< أتنتظره ؟ . . سوف يأتى ! فى القريب العاجل ! ربما الليلة ! ربما فى الصباح، سوف يأتى قريباً هنا ! . . ويقوم بعملية تطهير كبيرة، تطهير مقدسة ! ويعيدنا من كل أنحاء العالم إلى أماكننا، ويعيدهم إلى أماكنهم، كلهم، فهذه هى مدينة الملك داود، وليست مدينة محمد ! . . >> (٣).

وهكذا، تنظر هذه الفئة إلى الوجود العربى فى فلسطين، على أنه وجود غير شرعى، أى وجود استثنائى، وهى ترتكز فى ذلك إلى الرؤية الصهيونيـــة التى ترى أنه لا مكان لأى وجود غير يهودى فى فلسطين، وأنه إذا حدث وأقام شعب آخر على أرض

---

(١)عاموس عوز: " بوه فشام بإيرتس يسرائيل بستاف ١٩٨٢، مأماريم"(فى كل مكان فى إسرائيل،فى خريف ١٩٨٢)،مرجع سابق (ص٥٩).

(٢) د. رشاد عبدالله الشلمى: إشكالية الهوية فى إسرائيل، مرجع سابق، (ص٢٢٥).

(٣)عاموس عوز: " بوه فشام بإيرتس يسرائيل بستاف ١٩٨٢، مأماريم"(فى كل مكان فى إسرائيل،فى خريف ١٩٨٢)،مرجع سابق (ص١٤٢-١٤٣).

فلسطين، فإن وجود هذا الشعب يصبح وجوداً عرضياً، ويفتقر إلى أية شرعية لوجوده، طالما أن اليهود عادوا إلى فلسطين. وعلى هذا الأساس فإن الصهيونية كانت تنظر إلى فلسطين باعتبارها " أرضاً خربة وخاوية "، أو وفق الشعار الصهيونى المعروف: (أرض بلا شعب لشعب بلا أرض)[١].

وغير ذلك، لا تعترف هذه الفئة الإسرائيلية اليمينية المتطرفة بوجود مدينة عربية على أرض فلسطين، وتتساءل فى دهشة عما لدى العرب هنا ليبحثون عنه:

<< فلتسألهم ! وتسألهم، ماذا لديهم ليبحثوا عنه هنا ؟ هل توجد هنا مدينة عربية ؟ أليس لديهم بلاد >>[٢].

كما أن فكرة الحل الوسط، وإمكانية إعطاء جزء من الأراضى للفلسطينيين هو أمر غير وارد ولا يمكن التفكير فيه، لأنه ينطوى على خسارة كبيرة وفادحة:

<< مع الأغيار ؟ دائماً تصبح لدينا مشاكل عندما نتنازل لهم. وقد حدث ذلك فى التوراه أيضا. فشاؤول خسر مملكته لأنه عطف على عماليق، فالأغيار مجبرون على أن يكونوا ضدنا >> [٣].

وتدعوا هذه الفئة الإسرائيلية اليمينية المتطرفة إلى ضم المناطق العربية لتوسيع حدود دولة إسرائيل عن طريق الاستيطان والتوسع، وبالتالى فإن التنازل عن القدس هو أمر غير وارد على الإطلاق:

<< ماذا يحدث إذا أخذنا هذه المناطق لضمها إلى حدود دولة إسرائيل ؟ . . وهل تريد أيضاً أن نعطيهم القدس ؟ ومن بعدها بيت شمش، وهل الباقى ليس ضمن حدود إسرائيل >> [٤].

والحل الأمثل فى نظر الأنا الممثلة لـ (اليهودى الإسرائيلى اليمينى المتطرف) للحفاظ على هذه الأراضى وعدم التنازل عنها، هو القوة والتى هى كفيلة بردع من يطالبون بتلك الأراضى:

<< إن العرب مشكلة. ربما يكون هم التجربة التى وضعنا فيها الرب. فإذا صرنا أقوياء ومتعنتين، فهذا هو بداية الخلاص >> [٥].

---

(١) د. رشاد عبدالله الشامى: الفلسطينيون والإحساس الزائف بالذنب فى الأدب الإسرائيلى، مرجع سابق، (ص١٥٧).

(٢)عاموس عوز: " بوه فشام بايرتس يسرائيل بستاف ١٩٨٢، مأماريم"(فى كل مكان فى إسرائيل،فى خريف ١٩٨٢)،مرجع سابق (ص١٤٣).

(٣)نفس المرجع ، (ص٥١).

(٤)نفس المرجع ، (ص٣٧).

(٥)نفس المرجع ، (ص٥٩).

ولعل إبراز عناصر تكريس القوة فى مجمل العلاقات سواء مع العالم بأسره أو مع العالم العربى بصفة خاصة من خلال مقولة " القوة تحل كل شئ " من أهم العوامل التى تميز الأيديولوجية القومية المتطرفة، فيما عدا المغزى الرئيسى لقيمة " أرض إسرائيل " [1].

(جـ) موقف عوز من الأنا الممثلة لـ (اليهودى الإسرائيلى اليمينى المتطرف) :

يـرفض عـوز باعتبار أنه يسارى، وينتمى إلى ما يسمى بـ " معسكر اليسار " الذى يبدو وكأنـه يـبدى نـوعاً من المرونة فى التعامل مع قضية الصراع العربى الإسرائيلى، مبادئ هذه الفـئة اليمينـية المتطـرفة، ولـذلك فلـم تسـلم مـن انـتقاداته الشـديدة فـى مقالاته السياسية المخـتلفة، والتـى حـذر فـيها مـن الـتوجهات اليمينـية المتطرفة ضد العرب، على اعتبار أن الصـراع، هـو صـراع بـين حقـين ـ كما يقول ـ وأن الوجود العربى هو أمر واقع لا يمكن أن يعـيش الإسـرائيليين فـى مـنأى عـنه، ولـذلك فهـو يهـاجم المستوطنين اليمينيين والأعمال القمعـية التـى يقومون بها، ويهاجم كذلك سلطة الاحتلال الإسرائيلى، فيقول فى مقال له كتبه عام (١٩٨٩) :

<< لقـد أصـبحت سـلطة الاحـتلال الإسـرائيلى فـى المناطق وحشاً.. بخروج عصابات مكـونة مـن قطـاع طـرق مسـلحـين لتفـتك بالعرب، وأحياناً باليهودى أيضا الذى يبدو، لسوء حظه، مثل العربى >>[2].

ويـرى عـوز أن التنازل عن الأرض ليس خطراً حقيقياً على إسرائيل بقدر خطر الحروب واستمرار الاحتلال، قائلاً فى نفس هذا المقال والذى أعيد نشره فى مارس (١٩٩٨) :

<< أود أن أتـوجه إلى.. مـئات الآلاف مـن الإسـرائيليين الـذين يؤمنون بأن التنازل عن الأراضـى يمـثل خطـر الموت على الدولة.. إن استمرار الاحتلال والحروب القادمة هو الذى يمثل خطر الموت ضد هذه الدولة >>[3].

ويـرفض بجانـب هـذا الموقف الإسرائيلى اليمينى المتطرف من السلام على اعتبار أن هذا الرفض ينطوى على كثير من الغباء وقصر النظر فى المستقبل، وقد أكد على ذلك من خلال نفس ذلك المقال والذى كان عبارة عن خطاب له أمام حركة " السلام الآن " عام(١٩٨٩) :

<< ربمـا عندما يأتى السلام فى نهاية المطاف قد نضطر جميعاً، إسرائيليون وفلسطينيون، لبناء نصب تذكارى مشترك لغبائنا وعمى أبصارنا >>[4].

(١) د. رشاد عبدالله الشامى: إشكالية الهوية فى إسرائيل، مرجع سابق، (ص٢٢٥).
(٢)عاموس عوز: "بشم هاحييم فهاشالوم" (باسم الحياة والسلام)، مرجع سابق، (ص٥).
(٣)نفس المرجع ، (ص٥).
(٤)نفس المرجع ، (ص٥).

ويقول أيضاً مؤكداً على أن رفض السلام قد يزيد من عدد الموتى والضحايا :

<< ليتنا عند حلول يوم السلام ألا نضطر ، يهود وعرب ، إلى مسح بصاق الموتى من على وجوهنا >> [١].

كما يعارض عوز الموقف الإسرائيلى اليمينى المتطرف فى سياسة الضم والاستيطان وتوسيع الأراضى ، على أساس أن كل هذا لن يؤدى إلى حصول إسرائيل على ما تريده

<< إن أى طفل اليوم ، يعلم أنه فى نهاية الأمر ستحصل إسرائيل على أقل مما كانت تستطيع أن تحصل عليه قبل خمس ، أو عشر ، أو خمس عشرة سنة >>[٢].

كما يضيف إلى هذا موقفه من الاستيطان ، وينظر إليه على أنه عمل دنئ وحقير وفيه ظلم ، وذلك كما عبر فى لقاء صحفى معه فى أبريل عام (١٩٩٨) :

<< إننى اعتقد أن أعمال الاستيطان هى عمل ظالم ، وخطير أيضاً >>[٣].

وعلى اعتبار أن الواقع يفرض نفسه ، وأن الفلسطينيين هم أمر واقع لا يمكن تجاهله يوجه عوز كلمته فى مقال كتبه فى أبريل عام (١٩٩٧) إلى رئيس الوزراء الإسرائيلى " بنيامين نتنياهو [*] " الذى يقف موقفاً يمينياً متشدداً ، ويتملص من اتفاقيات السلام ، ويتبنى سياسة توسيع المستوطنات على حساب الفلسطينيين قائلاً :

<< . . إن السيد " نتنياهو " نفسه ، ليس مهيأ لأن يقف موقفاً ناضجاً أمام الواقع الذى يمليه الآخرون ، وأمام الواقع الذى يخلقه بأعماله الطائشة >> [٤].

ويحذر عوز هؤلاء اليهود اليمينيين المتطرفين من خطر التلويح بالقوة التى لن تؤد إلى شئ قائلاً فى مقال له كتبه فى مارس (١٩٩٧) :

<< لقد ظللنا عشرات السنين ـ نحن وهم ـ يتحدث كل منا إلى الآخر بلغة القوة فقط . وهذه اللغة وحدها لم تؤد ولم تستطع أن تؤدى إلى حصولهم على وطن ، وهى أيضاً لم تؤد ولم تستطع أن تؤدى إلى حصولنا على الاعتراف والأمان . >> [٥].

وحول القدس كعاصمة موحدة لإسرائيل ، يرد عوز فى نفس المقال السابق على اليهود اليمينيين المتطرفين قائلاً :

---

(١)عاموس عوز: "بشم هاحييم فهاشالوم" (باسم الحياة والسلام) ، مرجع سابق ، (ص٥).

(٢)نفس المرجع ، (ص٥).

(٣)أورنا قدوش مع عاموس عوز ، مرجع سابق ، (ص٣٠).

(*) **بنيامين نتنياهو**: ينتمى إلى حزب " الليكود " اليمينى المتطرف ، وهو زعيم الحزب ، وفاز برئاسة الحكومة بعد نتائج انتخابات الكنيست الرابع عشر (مايو ١٩٩٦) ، بفارق أقل من ١٪ على منافسة " شمعون بيرس " زعيم حزب " العمل ". ويعد فوزه ائتلافاً حكومياً مع الأحزاب اليمينية المتطرفة والأحزاب الدينية الإسرائيلية.

(٤) عاموس عوز: "متساداه شل ايحاد ايخاد " ، صحيفة يديعوت احرونوت الإسرائيلية ، ٢٤-٤-١٩٩٧ .

(٥) عاموس عوز: الجبل والسور ، يديعوت أحرونوت ١٩٩٧/٣/٤ ، مختارات إسرائيلية ، مركز الدراسات السياسية والاستراتيجية (الأهرام) ، أبريل ١٩٩٧ ، السنة الثالثة ، العدد ٢٨ ، (ص١٢).

<< . . لـن يستطيع أى جبل وأى سور أن يحمى القدس من القدس ويجب أن نتكيف فى الـنهاية مـع حقـيقة أننا لسنا وحدنا فى القدس، مثلما لسنا وحدنا فى " أرض إسرائيل " ، ومـن يطلـق شـعارات رنانـة عـن القدس التى توحدت ولن تقسم أبدا إلى أبد الآبدين. من الأفضل أن يفتح عينيه ويرى أن القدس مدينة مقسمة. >>(١)

ويـؤكد عـوز مـراراً وتكراراً لليهود اليمينيين المتطرفين على أن الفلسطينيين موجودون، وأن هذه حقيقة لا مراء فيها:

<< (نحـن لسـنا وحـدنا هنا). يجب أن تتحول هذه الكلمات الأربع البسيطة إلى ملصق نضـعه علـى زجـاج السـيارات. والنوافذ والشرفات حتى نردده طوال اليوم. . . أليس من يحـاول أن يتصـرف كـأن الآخـرين غير موجودين إنما يحكم على نفسه بأن يقضى حياته مثل الجبل المحاط بسور. >>(٢)

وهكـذا، يـدحض عـوز مـزاعم القـوى الإسـرائيلية اليمينـية المتطرفة، ويرفض مبادئها القائمة على التوسع والضم، ورفض السلام.

وعلى الرغم من أن بعض مقالات عوز السياسية تحتوى على نداءات السلام والتعاطف مـع الحـق الفلسـطينى، إلا أنها تحوى فى طياتها توجهات صهيونية ـ كما سنرى فيما بعد ـ تجعلـنا نقـول أن عـوز يدعـو للسـلام وإعطـاء الأرض للفلسـطينيين، ليس حباً أو احتراماً للعرب بقدر ما يتعامل مع المواقف من منظور الأمر الواقع، وهو ما جعله يكرر فى كثير من مقالاته السياسية حقيقة (نحن لسنا وحدنا هنا).

ثانياً: الآخر (الفلسطينى) فى كتابات عوز السياسية:

تـناول عـوز الآخـر (الفلسـطينى) فـى الكـثير مـن مقالاته السياسية، من خلال زاوية الصراع بين الفلسطينيين والإسرائيليين، وأرجع عملية الصراع الدائر بين الطرفين إلى خوف كل منهم من " ظل الماضى "، حيث تخشى " الأنا " الإسرائيلية من ظل الشتات التى قبعت فـيه سـنوات طويلة، ويخشى الآخر (الفلسطينى) من ظل الاستعمار الصهيونى الذى يهدد هويته وينفى حقوقه، وذلك فى مقال كتبه فى سبتمبر (١٩٧١):

<< . . وهـنا تكمن أحد جذور المأساة. فالإسرائيلى ينظر إلى عدوه، ولا يرى إلا ظلال كارهيه ومضطهديه التـــى تطـــل عليه من الماضى المظلم، والعرب لا يتحملون الذل، فقد خضعوا مئات السنين للاضطهاد العثمانى أو عشرات السنين للحكم الأوربى >>(٣).

---

(١) عاموس عوز: الجبل والسور، مرجع سابق، (ص١٢).

(٢) المرجع السابق، (ص١٢).

(٣)عاموس عوز: "بأور هاتيخيليت هاعازاه" (فى الضوء الأزرق الساطع)، مرجع سابق،(ص١٠٦).

ولـذلك كـان تـناول عـوز للآخر (الفلسطينى) فى كتاباته السياسية من خلال إشكالية الصراع والقضايا الشائكة التى تربط بين الأنا (اليهودى الإسرائيلى) والآخر (الفلسطينى) بالنسبة لمسألة الأرض والسلام وحق الفلسطينيين فى إقامة دولتهم.

ولنعـرض، أولاً، لأنمـاط الآخـر (الفلسـطينى) التـى وردت فى كتاباته السياسية، ثم نتناول بعد ذلك المحاور التى تناول عوز من خلالها الآخر (الفلسطينى).

(١) أنماط الآخر (الفلسطينى) فى كتابات عوز السياسية :

جـاءت أنماط الآخر (الفلسطينى) التى تناولها عوز فى كتاباته السياسية مختلفة تماماً عن تلـك الأنماط التى تناولها فى أعماله الأدبية، فإذا كانت تلك الأنماط الأدبية قد انحصرت فى العربى المتخلف، وسافك الدماء، واللص و. . . الخ، فإننا نجد أن النمط الذى تعامل معه عـوز وقدمـه فـى مقالاته السياسية هو نمط الفلسطينى المثقف المتحرر الذى يعى قضايا وطنه ويدافع عنها.

وفى مقال له بعنوان (الفجـر) كتـبه عـام (١٩٨٣) أورد عـوز بعـض الشخصيات الفلسـطينية التـى التقى بها فى زيارة له لصحيفة " الفجر العربى " بنابلس، وكانت جميعها أنماطـاً تشـير إلى الآخر (الفلسطينى) الذى يعمل محرراً وأديباً وصحفياً ورساماً وباحثاً، إلى غـير ذلـك مـن الأنمـاط التى قلما نجدها فى الأدب القصصى أو الروائى لعوز نفسه، أو فى كتابات أديب إسرائيلى آخر :

<< زياد أبو زياد، الذى يبلغ من العمر ٤٢ عاماً، هو المحرر الحالى للصحيفة >>(١).

<< . . " أبو خالد " هو محرر الركن الأدبى لصحيفة الفجر >> (٢).

بالإضـافة إلى العمـل الصـحفى فـإن الآخـر (الفلسـطينى) الـذى ورد فى كتابات عوز السياسية يجيد التحدث باللغات بما فيها العبرية ذاتها :

<< . كنت أحتسى القهوة مع " على الخليلى " . . بينما كنا نتحدث بالإنجليزية >>(٣).

<< . . كان " زياد أبو زياد " يتحدث العبرية بطلاقة . . >> (٤).

وذكـر عـوز فـى هـذا المقـال أيضـاً الآخـر (الفلسـطينى) وهـو يعمـل باحثاً فى شئون المجتمع :

<< . . بحث كتبه " على عثمان " يدور حول تحرر المرأة الفلسطينية >> (٥).

---

(١)عامـوس عوز: " بوه فشام بايرتس يسرائيل بستاف ١٩٨٢، مأماريم"(فى كل مكان فى إسرائيل،فى خريف ١٩٨٢)،مرجع سابق (ص١٢٤).

(٢)نفس المرجع ،(ص١٣٤).

(٣)نفس المرجع ، (ص١٣٤).

(٤)نفس المرجع ، (ص١٢٤).

(٥)نفس المرجع ، (ص١٣٤-١٣٥).

والآخـر (الفلسـطينى) يتـناول قضـايا وطـنه - كمـا ذكـر عوز - بجرأة وتحدى وتشغله مشاكل شعبه :

<< . . ومقـال حـول الهـوية الفلسـطينية فـى القرن الـ (١٩) كتبه " مهاجر " فلسطينى يسكن فى " شيلوة " ويدعى " محفوظ محفوظ " >> (١).

وتـناول عــوز كـذلك نمـط الآخـر (الفلسـطينى) الـذى يعمل فى مجال الأدب بأنواعه المختلفة ، فمثلاً نجده يعمل أديباً وشاعراً :

<< .كان اللقاء الشهرى هذه المرة مع " أكرم حانيا " ، وهو مؤلف قصص قصيرة >>(٢).

وعلـى سـبيل المثال أيضاً نلاحظ نمط آخر للفلسطينى ، وهو الشاعر الذى يكرس شعره ووجدانـه لوطـنه السـليب ويحلـم بآمـال العودة إلى الوطن ، فقد احتوت الصحيفة كما ذكر عوز على :

<< . . قصـائد كتبها خمسة من الشعراء المعاصرين من الضفة والقطاع ، وكانت معظمها تـدور حـول (موضـوع أمـل اسـتعادة القومـية ، والهـوية الثقافـية ، وأشـواق العـودة إلى الوطن) >>(٣).

ومـن الأنمــاط التـى تـناولها عـوز عن الآخر (الفلسطينى) ، نمط الأستاذ الجامعى الذى يحاضر فى أعرق الجامعات بالخارج :

<< قصـص قصـيرة . . . كـتب إحـداها الدكـتور " عـدنان القاسـم " وهـو من مواليد نابلس ، ويعمل محاضراً فى جامعة السربون بباريس . . >> (٤).

ويشـير عـوز كذلك فى هذا المقال إلى نبوغ الآخر (الفلسطينى) منذ الصبا ، حيث يعمل أيضاً فى مجال الفكر السياسى :

<< نشـر " أبـو خالـد " حتـى ذلـك الحين خمسة عشر كتاباً . وقد بدأ الكتابة فى موطنه بنابلس عندما كان صبياً >> (٥).

وكـان نمـط رجـل الشـرطة الـذى يقوم بالحراسة من الأنماط التى أتى بها عوز كذلك فى كـتاباته السياسـية ، حـيث يقول على لسان أحد المستوطنين الذى التقى به ويدعى " تسفى باحور " :

---

(١)عامـوس عوز: " بوه فشام بايرتس يسرائيل بستاف ١٩٨٢ ، مأماريم"(فى كل مكان فى إسرائيل،فى خريف ١٩٨٢) ،مرجع سابق (ص١٣٤-١٣٥).

(٢)نفس المرجع ، (ص١٣٥).

(٣)نفس المرجع ، (ص١٣٥).

(٤)نفس المرجع ، (ص١٣٥).

(٥)نفس المرجع ، (ص١٣٦).

<< كنت مع رجال الشرطة العرب نقوم بأعمال الحراسة خشية اللصوص >>(١).

وهكـذا جمع عـوز فـى كـتاباته السياسية أنماط للآخر (الفلسطينى) تشير إلى نمط جديد بعكس مـا جـاء فـى أعمالـه الأدبية ، وربما جمع عوز كل ما يشير إلى رؤيته الإيجابية للآخر (الفلسطينى) على لسان " تسفى باحور " من مستوطنة " بيت شلوموه " حيث يقول :

<< لقـد نشـأ لـدى العـرب الآن ، بصـفة خاصـة ، جـيل جديـد على عكس ما كان فى الماضى : مثقفون ، وهادئون ، وجادون ، ومثاليون أيضاً >>(٢).

ولكـن ، يـبدو أن عوز استكثر على الآخر (الفلسطينى) أن يكون من بين هذه الأنماط ، فـراح يصـف الجـو الـذى تعيش فـيه هيـئة تحريـر صحيفة " الفجر " العربية ، بجو إحدى المجـلات العـبرية التـى تعـود إلى القـرن التاسع عشر ، وقارن بينها وبين صحيفة " الفجر " العبرية التى أسسها " بيرتس سمولنسكن (*) " مع بداية نشأة الأدب العبرى الحديث :

<< تسكن هيـئة تحريـر صـحيفة " الفجـر " التـى تصدر فى القدس الشرقية فى الطابق الثانـى مـن بـيت حجـرى عربـى قـديم ، بالقرب من بوابة نابلس . . وكان الجو الذى يسود حجرات هيئة التحرير ، يشبه جو أحد مكاتب مجلة عبرية أو صحيفة يديشية فى شرق أوربا قبل الخراب : جو فقير ومتحمس >> (٣) .

وهكـذا ، لم يـنس عـوز أن يعقد مقارنة بين انطباعاته عن هذه الدار الصحفية التى تضم نخبة مـن المـثقفين الفلسطينيين وبين طلائع حركة التنوير اليهودية (الهسكالاه) فى سعيهم مـن أجل تثقيف اليهود في شرق روسيا وإخراجهم من ظلمات الجهل وسيطرة رجال الدين المتـزمتين الجهـلاء خلال القرن التاسع عشر ، وذلك رغم الفارق الكبير بين الدورين ، الدور الـذى قامـت به حركة التنوير اليهودية ضد سلطة رجال الدين اليهودى لإغراقهم اليهود فى الجهـل والـتخلف ، وبـين دور المـثقفين الفلسـطينيين الـذين يسعون إلى تحرير شعبهم من نير الاحتلال الإسرائيلى .

---

(١)عامـوس عوز: " بوه فشام بايرتس يسرائيل بستاف ١٩٨٢ ، مأماريم"(فى كل مكان فى إسرائيل،فى خريف ١٩٨٢)،مرجع سابق ، (ص١٥٩).

(٢)نفس المرجع ، (ص١٦٨).

(*) **بيرتس سمولنسكن:** هو كاتب عبرى ولد فى عام (١٨٤٢)، وتوفى فى عام (١٨٨٥)، وقد نشأ بين عائلة فقيرة فى روسيا ، وكان من رواد حركة الهسكالاه وأنشأ مجلة " الفجر ". من أعماله:
روايـة (الضـال فـى دروب الحـياة) صدرت فى أربعة أجزاء. وكان فى أعماله يهاجم المتعصبين الدينيين، وكان يؤيد ما يسمى بالقومية اليهودية التى لا ترتبط بالأرض وإنما ترتبط بالتوراه.

(٣)عامـوس عوز: " بوه فشام بايرتس يسرائيل بستاف ١٩٨٢ ، مأماريم"(فى كل مكان فى إسرائيل،فى خريف ١٩٨٢)،مرجع سابق (ص١٢٣).

وتأكـيداً علـى هـذه المقارنة غير العادلة، حاول عوز إبراز فقر هذه الصحيفة العربية التى تحوى بينها كتاباً وأدباء وعلماء ومثقفين :

<< لقـد أحصيت خمس حجرات صغيرة بالية بعض الشىء، وبها مكاتب خشبية بسيطة وكراسى منزوعة الألوان >> (١).

(٢) الآخر (الفلسطينى) وأبعاد الصراع العربى الإسرائيلى :

ظهـر الآخـر (الفلسطينى) فى كتابات عوز السياسية من خلال إشكالية الصراع العربى الإسـرائيلى، وتداعـيات أبعادهـا علـى مسـتقبل العلاقات بين الفلسطينيين والإسرائيليين، وموقـف كل منهما تجاه الآخر، وتجاه أبعاد الصراع العربى الإسرائيلى. وقد انصب هذا فى عـدة أبعـاد تـناول عـوز من خلالها الآخر (الفلسطينى) فى ظل الصراع القائم والدائر بينه وبين الإسرائيليين :

(أ) موقف الآخر (الفلسطينى) من السلام :

تـناول عـوز رؤيـة الآخـر (الفلسطينى) للسلام مع الإسرائيليين، وذلك ضمن سلسلة المقـالات التى كتبها فى أواخر عام (١٩٨٢) وبداية عام (١٩٨٣)، من خلال عدة لقاءات أجـراها مـع بعـض الفلسـطينيين، رصـد خلالهـا موقفهم من قضية السلام ومن الحروب، وأظهـرت هـذه اللقـاءات التـى تحدث عنها عوز فى مقالاته السياسية تطلعات الفلسطينيين للسلام العادل الذى يجئ فقط فى مقابل الأرض.

ففـى لقاء جرى فى " رام الله " دار حوار بين عوز وبعض الفلسطينيين حول موقفهم من السـلام ورفضـهم للحـرب التـى من شأنها أن تزيد من عدد الموتى وموت الأقارب، ومدى تحقيق ذلك فى ظل الظروف الراهنة. فهم يريدون السلام العادل الذى يقره الزعماء :

<< سلام يتفق عليه الكبار . . سلام عادل >> (٢).

ولديهم أمل كبير فى أن السلام سيتحقق فى النهاية، إذا حصل العرب على أرضهم :

<< ربما يأتى فى النهاية. إن شاء الله >> (٣).

ويوكلون الزعماء لإقرار السلام، ويرحبون بالحوار العاقل من أجل التوصل إليه :

<< فلينه الكبار ذلك. فهذا شأنهم، ليس شأننا يأتى السلام بالعقل وليس بالقوة >>(٤).

---

(١)عامـوس عوز: " بوه فشام بإيرتس يسرائيل بستاف ١٩٨٢، مأماريم"(فى كل مكان فى إسرائيل،فى خريف ١٩٨٢)،مرجع سابق (ص١٢٣).

(٢)نفس المرجع ، (ص٦٣).

(٣) نفس المرجع ، (ص٦٧).

(٤) نفس المرجع ، (ص٦٧).

وهكـذا، نلاحظ أن الآخر (الفلسطينى) يرفض فرض السلام بالقوة، ويرى أن التفاهم والحـوار همـا السبيل الوحيد لإقرار السلام، ويرفض مبدأ " أن العرب لا يفهمون غير لغة القوة" الذى يؤمن به الطرف الآخر، ويتعامل من خلاله.

وفـى الوقت الذى يتطلع فيه الآخر (الفلسطينى) للسلام، فإنه يخشى الحرب، ويرى أن التعنت الإسرائيلى من شأنه أن يجلب حروباً أخرى، تزيد من عدد الموتى:

<< .. ولكننى أعتقد، أنه ربما قد تكون هناك حرب أخرى >> [١].

ويؤكد على ذلك فى سخرية:

<< ربما أيضاً لم يكن عدد الموتى كافياً >> [٢].

وفـى حـوار بـين عـوز و " نايـف " أحـد مواطنى مدينة " رام الله " ، تبدو مدى النظرة التشاؤمية تجاه الوضع العام، فهو يتطلع للسلام، إلا أنه يرى أن الظروف غير مهيأة لذلك:

<< وماذا سيحدث بعد الحرب القادمة ؟

" حـرب أخـرى " يتوقف نايف، ثم يقول " وبعد ذلك حرب أخرى أيضاً. حتى مائة حرب" وماذا فى نهـاية الحـــروب ؟

" فى النهاية ربما يتعبون. وقد لا يبقى هناك جنود. وربما يعودون إلى صوابهم " >> [٣].

ويحـاول عوز إبراز أن الآخر (الفلسطينى) يؤمن بوجود اليهود كأمر واقع، وأن السلام لابـد وأن يـنطلق مـن خـلال هـذا الـبعد، وهـى نفس النظرة التى يؤمن بها عوز فى كتاباته السياسية، فيقول " نايف " محللاً الوضع القائم بينهم وبين اليهود:

<< يشـبه هـذا الوضـع بـين الـيهود والعرب، اثنان يقفان فوق السقف ويمسكان به بقوة ومعاً. إما أن يسقطا معاً من فوقه أو أنهما يأخذا حذرهما. فليس لديهما خيار، فعليهما أن يمسكا معاً وبكل قوة، مثل حمارين على عربة واحدة، إذا تصرف كلاهما بطيش فسوف تنكسر الرأس والقدم >> [٤].

ويطلـب " نايـف " مـن عـوز أن يكتب من أجل السلام، ليعبر عن مطلب الفلسطينيين جميعاً فى السلام، ورفضهم للحروب والعنف والدمار وزيادة عـدد الثكـــالى:

<< إن شـاء الله، سيـأتى السـلام فى النهاية. وإذا كتبت عنا فى صحيفة إسرائيلية ؟ .. ولتكـتب: أنهـم جميعاً فى الضفة الغربية يريدون السلام. الكبار والصغار. ولتكتب: لقد أهلكـتهم الحروب.. ولتكتب للإسرائيليين، أن القوة لا تساعدهم، فالقوة مثل المال. اليوم

---

(١)عامـوس عوز: " بوه فشام بايرتس يسرائيل بستاف ١٩٨٢، مأماريم"(فى كل مكان فى إسرائيل،فى خريف ١٩٨٢)،مرجع سابق ، (ص٦٣).

(٢)نفس المرجع ، (ص٦٣).

(٣)نفس المرجع ، (ص٦٣).

(٤)نفس المرجع ، (ص٦٨).

معى، وغداً معك، وغداً معه. فيجب أن ننهى كـل الحـروب بالعقـل، وليس بالقوة. وطبقاً للعدل. فلتكتب من أجل السلام >>(١).

وهكـذا، يـتفق الفلسـطينيون حـول تطلعهـم لسـلام العـادل الشامل، ويؤكدون على رغبتهم فى ذلك السلام من خلال:

توكـيل الـزعماء (الكـبار) للتوصـل إلى سـلام، علـى أسـاس أن هناك تأييد ومساندة للـزعماء الفلسـطينيين فى سعيهم نحو السلام من أجل الشعب الفلسطينى، وثقتهم الكاملة فى أنهم يعبرون عن مطالب الشعب الفلسطينى.

أن السـلام لا يمكـن فرضـه بالقـوة، لأن سياسـة الردع والعدوان لا تجلب إلا مزيداً من الكـراهية، وانفجـار الوضـع وتدهوره بين الفلسطينيين والإسرائيليين، وذلك لإيمان الآخر (الفلسطينى) بحقه على أرضه والدفاع عنها حتى الموت.

كـراهية الحـروب، وفظاعـتها، وسـخرية الفلسـطينيين مـن تـزايد الحـروب وإيمـانهم باسـتمرارها فـى ظـل استمرار التعنت الإسرائيلى الذى لا يؤدى إلا إلى مزيد من عدد الموتى لكلا الطرفين.

(ب) رؤية عوز لحق الآخر (الفلسطينى) فى تقرير المصير:

عالجـت معظـم حـركات السـلام فى إسرائيل مسألة " حق تقرير المصير للفلسطينيين " علـى أنهـا جوهـر الصراع العربى الإسرائيلى، وانتهوا إلى القول بأنه فى اللحظة التى يكون فـيها للفلسـطينيين دولـة سـتتبخر أسـباب الصـراع. وعلـى سبيل المثال، فمن بين أهداف وتـوجهات حـركة " السلام الآن " (أن جميع الخلافات ينبغى أن تحل من خلال مفاوضات بهـدف التوصـل إلى حـل جذرى، يتضمن حق شعوب المنطقة فى العيش داخل حدود آمنة ومعترف بها وعدم اللجوء للعنف فى حل الخلافات)[٢].

وقـد حظـيت " حـركة السـلام " الإسـرائيلى بتأييد عدد كبير من الأدباء الإسرائيليين، وذكـر الصـحفى والكاتـب الإسـرائيلى " عاموس إيلون "، وهو من المتعاطفين مع هؤلاء الأدبـاء: " تميـز الأدب الإسـرائيلى الحـديث باتجاه سلمى غريزى وبرغبة جامحة فى تفهم العـدو "، والـتعاطف معـه، بلغـا حـدا دفـع بعـض الـنقاد إلى التحذيـر مـن الاتجاهات " الانتحارية " التى قد تعكسها هذه التيارات[٣].

(١)عاموس عوز: " بوه فشام بايرتس يسرائيل بستاف ١٩٨٢، مأماريم"(فى كل مكان فى إسرائيل،فى خريف ١٩٨٢)،مرجع سابق، (ص٦٨).

(٢) د. رشـاد عـبدالله الشامى: حركات السلام فى إسرائيل، مجلة إبداع، العدد السادس / يونيو ١٩٩٨، (ص ٣٣).

(٣) د. رشاد عبدالله الشامى: إشكالية الهوية فى إسرائيل، مرجع سابق، (ص١٨٤).

ويعـتـبر عـوز أحـد الأدبـاء الإسـرائيليين الـذين ينـتمون إلى حركة " السلام الآن " فى إسـرائيل، ولـذلك تـبدو كـتاباته السياسـية متميزة بالرغبة فى الوصول إلى حل مع الطرف الآخـر فـى الصـــراع، وقد يكون ذلك إيماناً منه بحق الآخر (الفلسطينى) فى تقرير مصيره وإقامة دولته.

لقـد أشــار عـوز فـى العديـد مـن مقالاتـه السياسـية إلى حـق الفلسـطينيين فـى تقرير مصـيرهم، وحـذر مـن الـتعامل مع الموقف وكأن الآخرين غير موجودين فى مقال كتبه فى مارس (١٩٩٧) قائلاً:

<< . . يـا ويلـهم ويـا ويلنا لو عدنا لنتصرف وكأن الآخرين غير موجودين أو أنهم غير ذى أهمية >> (١).

وكان قد أكد على ذلك بعد انتصار إسرائيل فى حرب يونيو (١٩٦٧)، وذلك فى مقال له كتبه فى أغسطس عام (١٩٦٧):

<< إن الحـق المقدس فى تقرير المصير، وفى الاستقلال السياسى، يجب أن يحافظ "حتى " على العرب، هذه حقيقة أساسية توضع فى طى النسيان لدينا وفى نشوة انتصاراتنا >(٢).

ويحـذر عـوز ـ فـى نفـس المقـال ـ مـن اسـتمرار الاحـتلال بالقـوة، ودون رغـبة مـن الفلسطينيين، فإن ذلك من شأنه أن يعقد الموقف، ويزيد من الكراهية بين الطرفين:

<< إنـنا محكـوم علينـا الآن بالسيطرة على أناس لا يرغبون فى حكمنا . . لأن الاحتلال أيضاً هلاك اختيارى، وهو احتلال مدمر >> (٣).

ويـرى عـوز أن الفلسـطينيـين، هـم وحـــدهم، المخــولون فى تحديد هويتهم حسبما يتراءى لهم، فى مقال كتبه فى أكتوبر عام (١٩٦٧):

<< إن الأحـاديـث الشـائعة الآن حـول " دفـع " جموع الفلسطينيين من هنا إلى الكويت الغنـية، أو العـراق الخصـبة، هـى أحاديـث، فـى الواقع تافهة مثل الأحاديث الممكنة حول هجـرتنا، بجموعـنا، إلى بروكلين " اليهودية " . . ولكن أليس فى الواقع مثلما من حقى أن أرى نفسى يهودياً إسرائيلياً، وليس بروكلينياً، فكذلك العربى الفلسطينى من حقه أن يرى نفسه فلسطينياً وليس عراقياً أو كويتياً . . >>(٤).

وهكـذا ينظر عوز إلى الآخر (الفلسطينى)، على أنه إنسان له كل الحق فى تقرير مصيره وتحديد هويته ويدحض مـزاعم البعض، ومحاولاتهم لطمس هوية الفلسطينيين، ويطالب - فى نفس المقال - بإعطاء الفرصة الكاملة لهم لتقرير مصيرهم:

---

(١) عاموس عوز: الجبل و السور، مرجع سابق، (ص١٢).
(٢)عاموس عوز: "بأور هاتيخيليت هاعازاه" (فى الضوء الأزرق الساطع)، مرجع سابق،(ص٧٠).
(٣)نفس المرجع ، (ص٧٢).
(٤)نفس المرجع ، (ص٨٢).

<< . . لم يكـن لهـؤلاء السكان، أبداً، أية فرصة لتقرير المصير، أو للتعبير عن مرادهم بصـورة ديمقـراطية، هـل هـم شـعب فلسطينى أم جزء من الأمة العربية الكبيرة إن مطلبهم بشأن تقرير المصير به عدل كبير >> [١].

ويـرفض عـوز فـى المقـال ذاته أن يحدد رأيه حول أصل هؤلاء العرب الذين يعيشون بين اليهود، فى إشارة منه إلى وجود ما يسمى بالطرح الكنعانى [*] للهوية فى إسرائيل:

<< إننـى لا أسـتطيع أن أحدد الآن، إن كان عرب البلاد يشعرون بأنفسهم كفلسطينيون أم أردنـيون . . هاشميون أم أبناء سوريا الكبرى - أو ربما يكونون من نسل العبريين القدامى، الذين أجبر أباؤهم على اعتناق الإسلام، والآن جاءهم الخلاص. لا أدرى >> [٢]

والجدير بالذكـر أن الجماعـة الكنعانـية تـرى أنـه فى هذه المنطقة التى كانت تسكنها فى الماضـى شـعوب تـتحدث العـبرية علـى اختلاف لهجاتها، وتشمل سوريا ولبنان والأردن وفلسـطين، ولـدت الأمة العبرية القديمة التى أنشأت حضارة عبرية، وكانت أمة وثنية على غـرار سـائر الأمـم المحيطة بها إلى أن خربها الغزاة الأجانب الذين دمروا ممالكها المختلفة . . وهـذه الأمـة، التى يشكل الاستيطان العبرى فى فلسطين نواتها سوف تنتشر مرة أخرى فى تلـك الـبلاد القديمـة، مـع إعـادة سكانها الذين فرض عليهم المحتلون العرب الثقافة واللغة العربية، إلى ثقافتهم العبرية الأصلية. وهذه الدولة العبرية التى ستمتد عبر كل البلاد القديمة ستقوم بعملـية فصـل كاملـة بـين الـدين والدولـة، وسـوف تطبق فيها المساواة المطلقة بين المواطنين [٣].

ويـؤكد عوز على رفضـه للطــرح الكنعـــانى للهوية فى إســرائيل، والذى يرى أن العرب الفلسطينيين هم من نسل العبريين القـدامى:

<< إننـى أرى أن عـرب فلسـطين هـم عـرب فلسـطين وليسـوا من نسل شعوب كنعان القديمـــة متنكـــرين. وهـــم أيضاً ليسوا مسحوق إنسانى ينتظرنا أن نعجنه كما نريد >> [٤].

(١)عاموس عوز: "بأور هاتيخيليت هاعازاه" (فى الضوء الأزرق الساطع)، مرجع سابق، (ص٨٤).

(*) الطرح الكنعانـى: إن التسمية التـى اشـتهرت بهـا هذه الحركة – الحركة الكنعانية – هى تسمية أطلقها علـيها مـن قـبل السخرية، الشاعر العبرى أفراهام شلونسكى (١٩٠٠ – ١٩٧٣) استناداً إلى الفقرة الواردة فـى سـفر الـتكوين: "فقال ملعون كنعان عبد العبيد يكون لأخوته " (التكوين ٩: ٢٥). أما الاسم الحقيقى لهـذه الحـركة فهـو "حـركة العـبريين الشـبان " (تسمية استوحوها مـن ثـورة " الأتراك الشبان " بزعامة اتاتـورك)، والتـى جاء أول ظهور لها عبر كتيب نشر عام ١٩٤٣ تحت عنوان " رسالة إلى المقاتلين من أجل حرية إسرائيل "، كتبه الشاعر يوناتان راتوش.

(أنظر د. رشاد عبدالله الشامى: إشكالية الهوية فى إسرائيل، مرجع سابق، ص٣٢).

(٢)عاموس عوز: "بأور هاتيخيليت هاعازاه" (فى الضوء الأزرق الساطع)، مرجع سابق، (ص٨٣).

(٣) د. رشاد عبدالله الشامى: إشكالية الهوية فى إسرائيل، مرجع سابق، (ص٣٩).

(٤)عاموس عوز: "بأور هاتيخيليت هاعازاه" (فى الضوء الأزرق الساطع)، مرجع سابق، (ص٨٧).

ويـؤكد عـوز أيضـاً علـى أن العـرب الفلسـطينيين لن يسمحوا لأحد بالتدخل فى تقرير مصيرهم، وفى تحديد هوية مستقبلهم:

<< . . ولكننـى أعـتقد تقـريباً فـى حقـيقة مفادهـا، أنهـم لـن يكونوا سعداء فى تسليم مستقبلهم لأيدى اليهود. حتى ولو كان هؤلاء اليهود مثقفين ومتنورين >> [١].

وهكـذا، ينظـر عـوز إلى " حق الفلسطينيين فى تقرير مصيرهم " على أنه شأنهم فقط، أو مـن منطلق أن الآخر (الفلسطينى) لن يصمت تجاه محاولات طمس هويته، وحقه فى أن يكون حراً على أرضه مؤكداً ذلك فى مقال له كتبه فى أغسطس (١٩٦٧):

<< إن شعب فلسطين الذى من حقه " أن يكون شعباً حراً على أرضه "، يجب أن تحفظ وتعـود لـه حقوقه، فى ذلك اليوم الذى نضمن فيه الاعتراف بحقوقنا فى أن نكون شعباً حراً على أرضاً >> [٢].

وعلـى الـرغم مـن أن عـوز يـؤكد علـى حق الفلسطينيين فى تقرير المصير، إلا أننا نجده يرهن ذلك بتحقيق السلام، ويضع أمن وحقوق الإسرائيليين فى المقدمة:

<< يجـب علينـا أن نقـول لمواطنـى المناطق المحتلة أقوالاً بسيطة وواضحة: إننا لا نشتهى أراضيكم. ولم نـأت لـتهويدكم. لكنـنا جئنا هنا لنسيطر حتى نوقع اتفاقية سـلام خـلال عام أو عشرة أعوام، أو جيل، وبحلول ذلك اليوم سيكون الخيار لكم >> [٣].

وهكـذا، وعلـى الـرغم مـن أنـنا نلاحـظ فى الفقرة السابقة ربط عوز بين " الأرض فى مقابـل السـلام "، إلا أنه لم يحدد شروط محددة لمعايير السلام المطلوب، والذى على ضوئه يمكـن أن يـتحقق مـا دعـا إلـيه مـن إعادة الأرض وتحقيق حق تقرير المصير، وعدم التدخل لتشـويه الهـوية الفلسـطينية، ولكنه ترك كل هذا للزمن وللصدفة التاريخية مما يجعلنا نشكك فـى مصـداقية عوز بالنسبة لتعامله مع أبعاد الصراع الفلسطينى الإسرائيلى، وحقيقة مناداته بحـق تقريـر المصير للفلسطينيين الذى يقره فقط ويعترف به فى حالة الضمان الأمنى الشامل للشعب الإسرائيلى.

(جـ) موقف عوز المتناقض من الصراع مع الآخر (الفلسطينى):

علـى الـرغـم مـن أن عـوز نظـر إلى الصـراع مـع الآخـر (الفلسـطينى) على أنه صراع قـدرى، أى أن كـلا الطـرفين كتب عليهما أن يتصارعا معاً حول هذه الأرض، حيث ينظر كل طرف من أطراف الصراع إلى هذه الأرض على أنها أرضه ولا يمكن التنازل عنها، حيث لا مـأوى لأى مـنهما إلا علـى هـذه الأرض، إلا أننا نستطيع أن نقول بأن عوز وقف موقفاً

(١)عاموس عوز: "بأور هاتيخيليت هاعازاه" (فى الضوء الأزرق الساطع)، مرجع سابق ص٨٣).
(٢)نفس المرجع ، (ص٧١).
(٣)نفس المرجع ، (ص٧٢).

متناقضاً وغير واضح تجاه الآخر (الفلسطيني) وتأرجح ما بين مواقفه السياسية التي يدعو إليها وبين ما يطرحه من حلول تناقض هذه المواقف. ولنعرض، أولاً، تأكيده على اقتسام الأرض بين الشعبين وحق كل منهما فيها، ثم نتعرض بعد ذلك لهذا الموقف المتناقض الذي يتأرجح من خلاله عوز في مواقفه السياسية.

فإذا كان عوز يرى أن الفلسطينيين ينظرون إلى أرضهم نظرة المظلوم الذي سلبت أرضه ولا يستطيع إلا أن يدافع عنها، فما هو التبرير الذي يراه عوز في تمسك الإسرائيليين بدولتهم ورؤيتهم لها على أنها هي الوطن الوحيد لهم بعد سنوات طويلة من الشتات ؟

يقول عوز في مقال له كتبه في سبتمبر (١٩٧١):

<< . . . إن الأسباب التاريخية والدينية، والمشاعر الدينية، والثقافات، كل هذا أدى إلى أن يكون المكان الوحيد الذي كان من الممكن إقناع اليهود القوميين بالمجيء إليه هو فلسطين>> (١).

ويشبه الهجرات الصهيونية إلى أرض فلسطين بعودة أسراب العصافير والحيوانات إلى أماكنها:

<< . . شعب نهض من أماكن مختلفة وذهب إلى مكان بعينه قاصداً إياه، وذلك من أجل أن يكون شعباً، أليس هناك تجوال للعصافير أو هجرة لأسراب الحيوانات من مكان قديم إلى مكان جديد، أو من مكان جديد ثم العودة إلى المكان القديم >>(٢).

هكذا، يقر عوز بحق الإسرائيليين في هذه الأرض، وينظر إلى وجودهم في بلاد الشتات على أنه كان وجوداً مؤقتاً و " العودة إلى المكان القديم " هو الأمر الطبيعي والشرعي.

ولإيمان عوز بحق كل طرف في الصراع، فإنه ينظر إلى كلا الطرفين بالغريق الذي يتشبث بلوح خشبي في الماء وممسك به آخر. ومن هنا فمن حق هذا الغريق أن يتشبث بالحياة حتى آخر لحظة:

<< إن التبرير الحاسم.. هو تبرير الغريق الذي يتشبث بلوح خشبي وحيد. خاصة وهو مستعد للتشبث به.. ولو في مقابل ضغط أرجل الجالسين على اللوح الخشبي، دون أن يزاحمهم، ودون أن يطلب منهم الابتعاد تماماً أو الغرق في الماء >>(٣).

ومن منطلق هذا المبدأ يرى عوز أن هذه الأرض هي وطن لكلا الشعبين كما قال بعد حرب (١٩٦٧) في مقال كتبه في أكتوبر (١٩٦٧):

---

(١)عاموس عوز: "بأور هاتيخيليت هاعازاه" (في الضوء الأزرق الساطع)، مرجع سابق،(ص٩٥).

(٢)نفس المرجع ،،(ص٩٥-٩٦).

(٣)نفس المرجع ،،(ص٩٦).

<< . . إن قطعـة الأرض هـذه، تعتـبر وطناً لكلا الشعبين اللذين حكم عليهما أن يعيشا كل منهما فى مواجهة الآخر ولو حتى بانفلاق من الغيظ >> [١].

ويقول فى المقال ذاته، تأكيداً على هذا المبدأ:

<< هذه الأرض أرضنا، وهى أيضاً أرضهم. عدلاً فى مقابل عدل >> [٢].

ومـن هـنا يطالـب عـوز بأن يكون الاستيطان الصهيونى بجانب الفلسطينيين وليس على أراضيهم:

<< يجـب ألا يكـون اسـتئناف الاسـتيطان اليهودى فى الخليل وفى المدن العربية الأخرى على حســاب المواطنين العرب، ولا علــى أرضهـم. بل بجــانبهم، ومعهم >>[٣].

وعلـى الـرغـم مـن هـذه النظـرة الإيجابـية لعـوز فـى مـوقفه مـن الصـراع مـع الآخـر الفلسـطينى، ورؤيـته لـه علـى أنـه صراع بين حق وحق، إلا أننا نستطيع أن نقول بأن عوز يـناقض نفسـه ويتبنـى هـذا الموقـف مـن خـلال فرضـيات الأمـر الواقـع فحسب، وهو أن الفلسـطينيين موجـودون بالفعـل، وليس من خلال إيمان عميق بهذا الحق، فنجده يقول فى لقاء أجرى معه وتحدث عنه فى مقال له نشر فى سبتمبر (١٩٧٧):

<< . . حقـاً، إننـى أدعـو إلى تقسـيم الأرض بـين شعبيها، وبشروط خاصة، لكن هذا التقسيم هو حل وسط وضرورة الواقع. ليس أقل أو أكثر >> [٤].

وتأكـيداً علـى عـدم مصـداقية عوز لكل ما أثاره من قضايا فى طرحه للصراع من الآخر (الفلسـطـينى)، وعلـى الرغم من رؤيته التى تقول إن هذه الأرض وطن لكلا الشعبين نجده يـثير، فى مقال كتبه فى أكتوبر عام (١٩٦٧)، وهو نفس المقال الذى أكد فيه على أن هذه الأرض هـى أرض الفلسـطينيين مـثلما هى أرض اليهود، سؤالاً يردده بعض الإسرائيليين، مكتفياً بالرد عليه أنه لا داع منه الآن:

<< . . " أى ثـروة حضـارية صـنعها هنا الفلسطينيون " أو " بأى أسلوب حافظوا على طبيعة الأرض وعلى تربتها " >> [٥].

وهنا نلاحظ عدم جدية عوز فى طرحه لحق الآخر (الفلسطينى) فى الأرض، وذلك من خـلال مـواقفه الضمنية على عدم جدارته بهذه الأرض، وفى إشارة منه إلى تفوق اليهود فى تعبيد الأرض وزراعتها فور مجيئهم إلى هذه البلاد.

---

(١)عاموس عوز: "بأور هاتيخيليت هاعازاه" (فى الضوء الأزرق الساطع)، مرجع سابق ، (ص٨٧).

(٢)نفس المرجع ، (ص٨٢).

(٣)نفس المرجع ،ص٨٩).

(٤)نفس المرجع ، (ص١٤٥).

(٥)نفس المرجع ، (ص٨٢).

ومما يؤكد على أن هناك تأرجح في موقف عوز من قضية الأرض، نجده يؤكد ـ في نفس المقال ـ على أن الآخر (الفلسطيني) يسعى إلى انتصار عروبة هذه الأرض في مقابل سلب كيان اليهود كدولة :

<< . . وتلك هي المأساة : . . . إننا نرغب في العيش كأمة وكدولة لليهود، وهم يرغبون في سلب كياننا كأمة، وانتصار عروبة هذه الأرض >>(١).

وهكذا، لا يثق عوز في الطرف الآخر من الصراع، ولذلك فإن طرحه للصراع على أنه صراع بين حق وحق لا ينبني على أساس قوي وإيمان عميق بهذا الحق بقدر ما ينبني على فرضيات الأمر الواقع ومحاولة الخضوع لمتطلباته وتجنب الصدام معه .

ومما يؤكد على تأرجح عوز في مواقفه تجاه الآخر (الفلسطيني)، وعدم مصداقيته في حق الآخر في الصراع، نجده يرفض التنازل عن الأرض، ويرفض أن يكون " أول " من يتنازل عنها وذلك في مقال كتبه في سبتمبر عام (١٩٧١) :

<< لا . لن أكون الأول في العالم، أو الوحيد في العالم، الذي يتخلى عن الباب والقفل . . وعن السور الذي حول حديقته . . لم أكن ذات مرة مثل الرجل المسن الذي دفع إلى روضة الأطفال . . لن أكون، بالنسبة لهذا الأمر، نوراً لغير اليهود . . ولكن سوف أكون سعيداً إذا كنت العاشر في العالم، وربما يقال الخامس أو السادس في ضاحيتي بالشرق الأوسط، الذي يتنازل عن الألعاب القاتلة للقومية الإقليمية >>(٢).

وهكذا يرى عوز أن التنازل عن الأرض هو بمثابة التنازل عن " القفل " و " الباب " و " السور " مما يؤكد على عدم مصداقيته فيما يطرح، وهذا لا يأتي إلا من إحساسه بأن الفلسطينيين أمر واقع لا يمكن العيش في منأى عنه، وعدم الاكتراث بهم هو مثل عدم الاكتراث بالأمن والسلام، مما جعله يقع في تأرجح واضح ما بين رغبته في الأمن والسلام وبين رغبته في الاحتفاظ بالأرض، وهو ما جعله يقع في تأرجح أو تناقض آخر جعله يحذر من استمرار الصراع بهذه الصورة، ويتنبأ بما يمكن أن يحدث في ظل استمرارية الصراع مع الآخر (الفلسطيني) في مقاله الذي كتبه عام (١٩٧١) :

<< إنني أرى ما يمكن أن يحدث إذا استمر هذا الصراع لمدة عشرين أو ثلاثين عاماً : حيث سيحدث، في الواقع، مثلما حدث في المشهد الأخير لـ "هاملت" ، وسيتبادل العرب والإسرائيليون السيف المسموم >> (٣).

(١)عاموس عوز: "بأور هاتيخيليت هاعازاه" (في الضوء الأزرق الساطع)، مرجع سابق، (ص٨١).

(٢)نفس المرجع ، (ص١٠٠).

(٣)نفس المرجع ، (ص١٠٦).

يمكـن القـول ، مـن خـلال ما سبق ، على الرغم من أن نظرة عوز للصراع مع الآخر بها شـئ من حق الآخر (الفلسطينى) فى الصراع ، وبالتالى حقه فى الأرض ، وفى الاستقلال . إلا أن صـهيونية عـوز تغلـب علـى رؤيـته فـى حـل هذا الصراع ، فهو يجعل حق الآخر فى الصـراع مـرهون بحـق الإسـرائيليين بالعيش فى سلام وآمن . والأمر بهذه الصورة يجعل من الصـعوبة بمكـان أن يتحقق التوازن فى الصراع ، وأن تتحقق أدنى مطالب الطرف الآخر فى الصـراع مـثل عـودة الأرض ، وإقامـة الدولة ، وحق تقرير المصير ، لأنه يرهن ذلك بتحقيق السلام ، وكيف يتحقق ذلك السلام دون تحقيق هذه المطالب الشرعية ؟

الفصل الخامس

دراسة تحليلية مقارنة لرؤية " الأنا " و" الآخر " بين أعمال عوز الأدبية وكتاباته السياسية

دراسة تحليلية مقارنة لرؤية " الأنا " و " الآخر " بين أعمال عوز الأدبية وكتاباته السياسية

إذا كـنا في هـذا الفصـل بصـدد الكشـف عن رؤية عوز لـ " الأنا " و " الآخر " كأديب إسـرائيلي ورؤيـته لهمـا ككاتب سياسي ، وهل هناك اختلاف في ذلك بين كونه أديباً وكونه كاتـباً سياسـياً ؟ وهل هناك وحدة في الرؤية أم اختلاف بين النص الأدبي والمقال السياسي ؟ فلابـد وأن نشـير ، في الـبداية ، إلى ماهـية المقـــال علــى أساس أن النـص الأدبي كقصـة أو روايـة أو "نوفـيلاه " تحكمـه عـدة عناصـر أساسية تكمن في الحبكة والشخصيات والزمان والمكان ، أما المقال فهو لون آخر من ألوان الكتابة .

يقـول " علـى أدهـم " عن المقال : << المقال من غير شك لون من ألوان الأدب ودرب مـن دروب الإنشـاء . ولكنه ربما كان من أشد ألوان الأدب استعصاء على التعريف ، وتأبياً علـى الـتحديد ، ومـن أقـوى أسـباب ذلك أنه ليس هناك من يستطيع أن يزعم أنه قد أدرك كـنهه ، وعـرف طبيعـته معرفة محكمة دقيقة . فليس للمقال صورة قد توافقت عليها الآراء وانعقـد علـيها الإجمـاع ، فقـد يكتب نثراً ، وقد ينظم شعراً كما يرى الناقد " وستلاند " . وقـد يكون طويلا فضفاضاً ، وقد يكون قصيراً موجزاً ، وقد يكون فاكهة مرحة ، وقد يكون جـاداً وقوراً ، وقد يتناول موضوعاً مهماً ، وقد يدور حول موضوع من الموضوعات العادية المألـوفة ، وقد يتأنق الكاتب في كتابته ويتخير له أبلغ العبارات ، وقد يتحرى في كتابته اليسر والسهولة ويرسل نفسه فيه على سجيته . >>[1]

وقـــد اتفـق الـنقاد علـى أن الـنظام التقلـيدي لصـياغة المقـال يجب أن يكون على النحو التالي[2] :

(١) المقدمـة : وتشـتمل علـى معـارف مسـلم بهـا لـدى القراء ، أو فكرة معينة تثير اهتمام القارئ .

(٢) العـرض أو صلب الموضوع : وهو النقاط الرئيسية ، أو الطريقة التي يؤدى الكاتب من خلالهـا هدفـه مـن الكتابة ، والتي يذكر فيها شواهد وحقائق معينة تؤيد الفكرة التي بنى عليها المقال .

(٣) الخاتمة : وهى ثمرة المقال ، وهى التي تبلور النتيجة أو الهدف الذي كتب من أجله .

---

(١) علـى أدهـم: علـى هـامش الأدب والـنقد، الهيـئة العامـة لقصور الثقافة (كتابات نقـدية شهرية)، أبريل ١٩٩٨ ، (ص ٢٠١) .

(٢) د. سعيد عبـد السلام: دراسـة معجمية لمصطلحـات الأدب، مكتبة الأهرام، القاهرة ، ١٩٩٧ ،(ص ٤٠٩)

ولا يحـاول المقـال بطبيعـته - قصـر أو طال - استيفاء الحقائق جميعها أو حشد المعلومات الغزيـرة، وإنما يختار كاتب المقال جوانب من الموضوع الذي يطرقه، ويعرضها للبحث والنظر ويسلط عليها أضواء فكره، ويلونها بلون شخصيته ... والمقال بطبيعته، يقدم لك الكاتب كما يقدم لك الموضوع الذي يكتبه بوحي من شعره وفكره والحالة النفسية المستولية عليه [1] . ويستوحي كاتب المقال فكره من إنتماءاته العقائدية أو الحزبية أياً كانت، ويغرس فيه أهدافه ورؤيته للأحداث والظروف التي تقع في مجتمعه، فينقدها أو يمدحها، ويرفضها أو يؤيدها، وقد يحاول أن يفسر تلك الأحداث ويحدد أهدافها .

ويمكـن القـول، أن هناك تجاوباً بين التطورات التي حدثت في كتابة المقال والأحوال التي أحاطت بكتابته . مثل سائر فروع الأدب يتأثر بالبيئة ويعمل على أن تلائم طبيعة فنها وبين التيارات الفكـرية والاتجاهات النفسية، والأحـوال الغالـبة . وربما كانت الصحافة أقوى المؤثـرات في كـتابة المقالـة الحديـثة ... فالمقـال الصـحفي يتـناول المشكلات القائمة والقضايا العارضـة مـن الناحية السياسية ... والمقالة الصحفية مجلاة لدقائق الأحاسيس وسر الخواطر، ويمكـن أن تكـون مرآة جيدة الصقل تعكس صورة الكاتب وظلال العصر الذي يعيش فيه، والبيئة الاجتماعية والسياسية التي تحتويه [2] .

أمـا بالنسبة للمقال العبري الحديث، فإن واضعي أساسه هـم " ناحوم سوكـولـوف " (١٨٦٠ - ١٩٣٦)، و " دافـيد فريشـمان " (١٨٦٠ - ١٩٢٢)، و " مـيخا يوسـف برديشفســكى " (١٨٦٥ - ١٩٢١)، و " حاييـم نحمان بياليك " (١٨٧٣ - ١٩٣٤)، و " آحـاد هاعام " (١٨٥٦ - ١٩٢٧) . وفى الأدب العبري المتأخر ظهـر المقـال عند : " ي. فـيخمان " و " ي. شـتاينبـرج " و "ص. تسـفى ديـزندروك" و "ص. تسـفى فويسلفســكى" و "أ. شـتاينمان" و "أ. رجلسـون" و "دوف سـادان" و "ب. كورتسـافيـل " و " ي. كـوهين " وغيرهـم . وقـد قل في عصر الدولة كتابة المقال ولكن نجد استجابة " موشـيه شـامير " و " سـاميخ يـزهار " و " آهـارون ميجد " و " حانوخ برطوف " و " موشيه دور " وغيرهم، ولكنه لا يشكل غرضاً رئيسياً في كتاباتهم [3] .

أما عن موضوعات المقال العبري، فقد شملت ألواناً مختلفة منها المقال الفلسفي، والمقال الأدبي الشـعري، والمقـال الـنقدي التعبيري، والمقال الأدبي الاجتماعي الوصفي، والمقال الـذي يتـناول وصـف المشـاعر الملتهـبة، والمقـال الفكـري الجدلـي . وغـير ذلك من المقال البيوجرافى والنقدي والتأملى والتاريخي و الفلسفي والشعري [4] .

---

(١) على أدهم: مرجع سابق، (ص ٢٠٢، ٢٠٣) .
(٢) نفس المرجع، (ص ٢٠٤ : ٢٠٦) .
(٣) د. سعيد عبد السلام: مرجع سابق، (ص ٤٠٩) .
(٤) نفس المرجع، (ص ٤٠٩، ٤١٠) .

أمـا بالنسبة للفـارق بـين المقال الصحفي والكتابة الأدبية، فإنه يمكن القول عندما يكون هـناك أديب معنى بالأحداث التي تقع في بلده، فهو يعكس ذلك في أعماله الأدبية من رواية أو قصة، وقد يستغرق ذلك العمل منه بضعة شهور أو أقل أو أكثر وربما سنوات، وفى هذا العمـل يخضـع ذلـك الأديـب لقناعاته الفكرية وأراءه في الأحداث التي جرت أو الجارية. والعمـل الأدبـي يخضع، بطبيعة الحال، لقواعد مثل الحبكة والشخصيات والزمان والمكان، وهى قواعد تتطلب من الأديب جهداً ملحوظاً حتى يستطيع أن يوظفها لخدمة فكرته.

وقـد يحتوى ذلك العمل الأدبي على إشارات رمزية تنم عن فكرة الأديب، يختلف عليها الـنقاد ويفسـرها كـل واحد منهم على هواه، وقد يكون ذلك التفسير قريباً مما يريد أن يقول الأديـب، وقـد يكـون بعـيداً تمامـاً، وهـنا يخضـع العمـل الأدبـي للـتأويلات والتفسيرات المختلفة.

أمـا إذا أتـيحت لـنفس هـذا الأديـب فرصـة للكتابة الصحفية، أو فرصة لكتابة مقالات معنـية بالواقـع السياسـي الـذي يعـيش فيه مجتمعه ودولته، فهو يستطيع من خلال المقال أن يـتحدث مباشـرة عـن فكره وأيديولوجيته، ويستطيع كذلك من خلال هذا اللون من ألوان الكـتابة، والـذي يسـتغرق في كتابته بضع ساعات، أن يعكس كل ما يدور في ذهنه عن هذا المجـتمع دون أن يـتطلب مـنه ذلك جهد الكتابة الأدبية، لاسيما وأنه لا يحتاج فيه إلى الكتابة الرمـزية، فهـو يكـتب بصـورة مباشرة ودون تكلف، وذلك لأنه يخاطب قاعدة عريضة من الجماهير بفئاتها المختلفة، مفسراً وناقداً ومحذراً ومؤيداً.

وإذا كـان العمـل الأدبـي يعد مرآة للمجتمع تعكس كل ما يدور فيه من أحداث مختلفة، سـواء أكانـت اجتماعـية أم ثقافـية أو سياسـية، فإن كتابة المقال تعكس واقع هذا المجتمع، وتعكـس فكر الكاتب ورأيه في الحدث واقتراحه في الحلول المختلفة، ويختلف هذا اللون عن العمـل الأدبـي في أنـه يستطيع أن يرصد التغيرات التي تطرأ على المجتمع والقوى المؤثرة فيه بصـورة يومـية أو أسبوعية، وهو أسهل في الوصول إلى المتلقي عن العمل الأدبي الذي تقرأه فئة معينة من الناس.

ويعتـبر عامـوس عـوز مـن الأدبـاء القلائـل في إسـرائيل الـذين جمعوا بين العمل الأدبي والكـتابة السياسـية الصـحفية (*). وإذا كـان عـوز قـد تحـدث في العديد من المناسبات عن الصـعوبات الـتي تـواجـهه مـن جـراء الكـتابة الصـحفية، وكـيف أنها تثير ضده الجماهير

(*) ربما يذكرنا ذلك المزج بين الأدب والكتابة السياسية، بالأديب السياسي المصرى " إحسان عبد القدوس"، الذى جمع أيضاً بين الكتابة الأدبية والسياسية، ومزج كلاهما معاً حتى أننا نجده يقول: (أنا أكتب القصص وأنا أعيش السياسة .. وأكتب السياسة وأنا أعيش القصص)، وبذلك أصبح يعرف بأنه الأديب السياسى الذى أدخل لأول مرة الأحداث السياسية الصحيحة الواضحة فى قصصه ورواياته، وكانت مقالاته التى حملت عنوان " على مقهى فى الشارع السياسى " من أشهر ما كتب فى مرحلته الأخيرة.

الإسرائيلية، سواء من اليمين المتشدد باعتباره يسارياً أو من اليهود الدينيين المتشددين باعتباره علمانياً، فإننا نجده يقول عن العمل الأدبي، موضحاً الفارق بينه وبين المقال :

<< عندما أجلس لأكتب قصة يكون لدى بالفعل أناس يسمونهم " شخصيات " . وبصفة عامة يكون لدى رجل – أو امرأة – في المركز، ويحيط بهم آخرون . ووقتها لا أعرف ماذا سيحدث لهم ؟ وكيف سيعامل كل منهم الآخر ؟ . لكنهم يتجمعون لديّ، وبالفعل أجرى معهم حوارات ونقاشات، وتحدث بيننا شجارات . وأحياناً، أقول لهم : ابتعدوا عن هنا واتركوني . >> (١)

ويقول عوز، أيضاً، شارحاً كيف يكتب قصة أو رواية : << عندما شرعت في تأليف قصصي الأولى، وكان ذلك في العشرين من عمري، كنت لا أجلس للكتابة قبل أن أعرف القصة شفاهة من البداية وحتى النهاية، حيث كانت لديّ ذاكرة قوية للغاية ... ولكنني الآن عندما أريد من الناس أن يفعلوا ذلك وذلك، أجدهم فجأة يريدون غير ما أريد مطلقاً >> (٢)

ويقول عوز، مواصلاً حديثه عن الظروف التي تحيط به عند كتابته لأي عمل أدبي :

<< ... فالقصة حية بالفعل، ولا يجب أن أقف من خلف الشخصيات لدفعهم، فهم يتدافعون إليّ بين الصفحات وبين قصاصات الورق الصغيرة وعلى المنضدة، وداخل أحلامي في الليل . وهم يتدافعون إليّ أيضاً في منتصف أو نهاية اليوم، حتى عندما لا أكتب بصفة عامة، وعندما أتحدث مع أحد في السياسة أو أنظم موضوعات أو أقرأ صحيفة . فهم بالفعل يعيشون معي . >> (٣)

وإذا كانت الكتابة السياسية، سواء على شكل مقال أو غيره، تكتب بوعي و " عن قصد " في اتجاه الهدف والمضمون، فإن عوز في معرض حديثه عن الحالة التي يكتب خلالها قصة أو رواية يشير إلى أنها حالة تجمع بين الوعي والحلم :

<< هناك من يتساءل دائماً، هل هناك قصة تكتب " عن قصد " أو من خلال " إدراك كامل "، وما هو هذا " الإدراك الكامل " ؟ ... فإذا جلس إنسان ليؤلف الموسيقى فعليه أن يكون يقظاً وحاداً ... ومن جانب آخر عليه أن يعيش قليلاً داخل الحلم . فإذا كان يقظاً فقط، فهو لن يستطيع أن يؤلف أى موسيقى، وإذا كان يعيش داخل الحلم بكامله فلن يستطيع أيضاً أن يؤلف، أو أنه يؤلف موسيقى مخلخلة . وفى صباح اليوم التالي يتعجب من نفسه قائلاً : كيف حدث ذلك الهراء ؟ >> (٤)

---

(١)عاموس عوز: "بأور هاتيخيليت هاعازاه" (فى الضوء الأزرق الساطع)، مرجع سابق، (ص٢١٣).

(٢)نفس المرجع ، (ص٢١٣-٢١٤).

(٣)نفس المرجع ، (ص٢١٤).

(٤)نفس المرجع ص٢١٥).

والسؤال الآن هـو : هل يختلف عوز عندما يمسك بالقلم في الصحافة ككاتب، وعندما يمسك به كأديب ؟ وهل يجب أو يجوز الفصل بين النص الأدبي والمقال الصحفي لعوز، من حيث توجهاته الفكرية وطرحه لآرائه في القضايا المختلفة ؟

تقـول " امونه آلون " الناقدة الإسرائيلية في هذا الصدد : << لا يجب علينا أن نفصل بين الإنتاج الأدبي لعاموس عوز وبين مقالاته الصحفية، على الرغم من أن هناك من يؤكد على أنـنا مضـطرون للفصل بين الإنتاج الأدبي لعوز وبين مقالاته الصحفية ... فالأدب القصصي لعوز يتداخل ويرتبط بمقالاته الصحفية، كما أن كتاباته الصحفية تتداخل في قصصه . فهذا أو ذاك، يشـجع علـى الاقتراب والغوص أكثر، وكلاهما يكشف عن ذلك الشيء الغامض في الحياة وعـن تلـك الشـريحة المتدفقة في أمور النفس الإنسانية – أى نفس – والتى من أجل كشفها يقوم بصفة عامة الأدب والفن بأنواعهما . >>[١]

وإذا كـان هـناك بعـض الأدبـاء في إسـرائيل قـد تخـتلف مواقفهم السياسية عن مواقفهم الأدبـية، أى تـتعارض أراؤهم السياسية مع ما يكتبون من أعمال أدبية، فإننا قد نستطيع أن نكشـف عـن مـدى الـتوافق بـين مواقـف عـوز السياسية وبين مواقفه الأدبية من خلال عقد مقارنة لرؤية " الأنا " و " الآخر " في كل من أعماله الأدبية وكتاباته السياسية . ولنتبين ما إذا كـان هـناك اخـتلاف بـين عوز ككاتب سياسي وبين عوز كأديب ؟ وهل هناك وحدة في الرؤية أم أن هناك اختلافاً ما بين الكتابة الأدبية والكتابة السياسية لديه ؟

أولاً : " الأنا " بين أعمال عوز الأدبية وكتاباته السياسية :

الأنــا الممثلة لـ " اليهودي الصهيوني " :

يقـول عـوز في معـرض حديثه عن موقفه من الصهيونية : << إننى صهيونى فيما يتعلق بخـلاص الـيهود، ولـيس فـيما يـتعلق بـ " خـلاص الأرض المقدسة " . إننا جئنا إلى هذه الأرض لكـي نكـون أمـة حرة، ولم نأت هنا لكي " نحـرر هذه الأرض المتألمة والمدنسة من نير الغربـاء " ... فكلمة (تحرير) تنتسب إلى بشر وليس إلى تراب وحجارة . >>[٢]

ويقول أيضاً في كتاباته السياسية، موضحاً ماهية الصهيونية التى يؤمن بها :

<< إننـى أؤمـن بالصهيونية الواضحة، والقوية، والتى تتحلى بضبط النفس، وأنظر إلى الماضى اليهودى على أنه درس وليس أمراً غامضاً أو كابوساً موحشاً >>[٣]

ويقــول كــذلك، موضـحاً أهـداف الصـهيونيـة في خلـق هـذا الـنمط مـن " اليهودى الصهيـونى " : << إننى أؤمن بأن الصهيونية هى حركة التحرير القومى لشعب إسرائيل ...

---

(١)ايمونه ايلون: "لو موخراحيم لهفريد" (لسنا مضطرون للانفصال)، صحيفة يديعوت احرونوت، ١١-٣-١٩٩٨.

(٢)عاموس عوز: "بأور هاتيخيليت هاعازاه" (فى الضوء الأزرق الساطع)، مرجع سابق، (ص٧٦).

(٣)نفس المرجع، (ص٨٧).

لقـد جـاءت الصهيونية لتؤسس ذلك التحرير القومى لليهود . . إنها نشأت من أجل هؤلاء الـيهود الـذين يـرغبون في رؤية أنفسهم شعباً بين الشعوب، وليسوا مجموعة دينية تعيش بين شـعب آخـر ... لقد قامت الصهيونية من أجل هؤلاء الذين رغبوا في تقرير مصيرهم القومى – أو اضطروا للاحتياج له – وفى منحهم ما تحصل عليه كل الأمم : إقليم وسيادة . >>[١]

وهكـذا، ومـن خـلال تأكـيد عوز على تحرير الإنسان اليهودى، أولاً، ليكون له شعب مـثل سـائر الشـعوب، يمكـن القـول بـأن تحريـر الإنسـان اليهودى في نظر عوز باعتباره من الصـهيونيين الاشـتراكيين، لا يقـف عـند هـذا الحـد فحسـب، بـل انتهى بحتمية " الإقليم والسيادة "، وهـو في هذا المجال يرفض التحرير للإنسان اليهودى عن طريق الاندماج كما حـدث لسـائر الـيهود في غـرب أوربا وفى أمريكا، الذين رفضوا فكرة الصهيونية بمحتواها المرتبط بإقامة دولة يهودية في فلسطين .

وكان قد هجر معظم اليهود ممن خرجوا من أسوار " الجيتو " في الغرب التقاليد اليهودية التـى صادفت العالم اليهودي بين جدران " الجيتو "، وسعوا لترسيخ جذورهم في بيئتهم : عـن طـريق الانصـهار، وعـن طـريق إقامة معابد إصلاحيـة، وعـن طريق الزواج المختلط وتغـيير الـديـن [٢] . فقد رأى بعض اليهود في غرب أوربا أن العيش في الشتات أفضل بكثير مـن دولـة تـزرع في الشـرق الأوسـط، ولا تعيش الأمن والاستقرار . وقد ساعد على ذلك تلك الصلاحيات والمراكز التى يتمتعون بها في البلاد التى تحتويهم .

أمـا بالنسـبة للصـهيونى في شـرق أوربـا، فقد كانت مشكلة ماهية اليهودية قضية تحظى باهـتمام خاص . لقد حدث في الشرق بداية ترسيخ الجذور في العالم غير اليهودي، وكانت ملموسـة فيها كذلك – وعلى الأخص بين طبقة المتنورين (المسكيليم) – تلك الرغبة الهائلة لأن يكونـوا شـعباً بالمعنى المزدوج للكلمة، وأن يتخلصوا من الإذلال عن طريق التحول إلى " شـعب كسائر الشعوب " [٣] . وهو ما جعل عوز يواصل تأكيده على أن الصهيونية حركة للقضاء على الماضي اليهودي في الشتات قائلاً :

<< إن الصهيونية لم تكن حركة للمسرنمين الدينيين الذين يسيرون في جهل وراء أى نبى راع، بـل كانـت – علـى الأقـل في اتجاهاتهـا الأولى – رد فعـل فكـرى وسياسى واجتماعي لمسائل الحياة والموت . >>[٤]

---

(١)عاموس عوز: "بأور هاتيخيليت هاعازاه" (فى الضوء الأزرق الساطع)، مرجع سابق،(ص٩٥).

(٢) د. رشـاد عـبد الله الشامى: القوى الدينية فى إسرائيل بين تكفير الدولة ولعبة السياسة، مرجع سابق،(ص ١٩) .

(٣) نفس المرجع، (ص ٢١، ٢٢) .

(٤)عاموس عوز: "بأور هاتيخيليت هاعازاه" (فى الضوء الأزرق الساطع)، مرجع سابق،(ص١٢٠).

لقـد تطلـع عـوز مـثل سائر الأدباء الإسرائيليين إلى طمس الماضي اليهودي في الشتات، وإلى خلـق إنسـان عـبري جديـد. ونظـر إلى الصـهيونية علـى أنها حركة لتحرير اليهود من ماضـيهم الذلـيل، وليست حركة لتحرير " الأرض المقدسة " . وهو يترجم هذا الموقف في أعمالـه الأدبـية، فقـد رأيـنا شخصية " اليهودي الصهيوني " في أعماله الأدبية تتسم وروح الإنسـان العبري الجديد المرتبط بأرض فلسطين، والتى جاءت ملامحه لتعطى إحساساً بالقوة والغلظة، كما رأينا فـي شخصـية " ايتشه " بطـل قصـة (نيـران غريبة)، وفى شخصية " عزرا " أحد أبطال رواية (مكان آخر)، حتى أن الفتاة الصهيونية بدت في صورة وحشية وتتقارب في ملامحها مع الفتى اليهودى الصهيوني، مثل " نوجه حاريش " في رواية (مكان آخر)، و" طوفاه " في قصة (كل الأنهار) .

وواصـل عوز إسباغ الهوية الجديدة للإنسان العبري الجديد الذي جاء على النقيض تماماً مـن الآخر (اليهودي الجيتوى) في بقية أعماله الأدبية، ليمثل رمزاً للقوة والشجاعة والفطنة وقـوة البنـيان، وهـى صـفات تتطلـبها الحـركة الصهيونية التى لا يجدى معها ذلك الإنسان الجيـتوى الضعيف . فجاء معظم أبطاله ليعبروا عن ذلك الإنسان الصهيوني الجديد، مثل " شمشون " في قصة (في اتجاه الريح)، و " جوئيل جرمانسكى " في قصة (سومكى) .

إن محاولـة خلـق الإنسـان العـبرى الجديـد في ارتـباطها العضـوى في عملية الخلق بأرض فلسطين ترتب عليها أن اليهودى وهو في النهاية بشر، وإنسان مثل سائر البشر، قرر أن ينزع مـن داخلـه كـوامن الإنسـانية الخـيرة والطبيعـية، ورأى أنـه لابد لكى يحقق أهدافه، من أن يكشف عن البعد الآخر في إنسانيته، وهو بعد القسوة والشر والعنف .

وإذا كان عوز قد عبر عن ذلك في أعماله الأدبية، فقد أكد عليه أيضاً في كتاباته السياسية قـائلاً : << لقـد أخـذ كـل فـرد علـى عاتقـه مسـألة العبور من هذا الماضى، ليصبح إنساناً جديـداً لـيس يهـودياً، بل عبرياً لفحته الشمس، قوياً وشجاعاً، خال من العقد والعصبية الـيهودية، يحـب العمـل والأرض . وفـى الأعمـاق بكت الآمال المكبوتة في أن يكون ذلك الإنسـان سـيداً قادمـاً مـن المدنية، وأن يكون في أفخر ثيابه، وأن يأكل الفطائر بالزبد، وأن يكون شخصية محترمة وموقرة وذات أخلاق . >>[1]

وإذا كـان عـوز قـد ركـز في أعمالـه الأدبـية علـى إبـراز كل ما هو إيجابي في " اليهودى الصهيونى " من حيث طبيعته، مثل استعراض القوة والقيام بالأعمال البطولية الأسطورية، التـى تظهـر شجاعة هذا الإنسان العبرى الجديـد، فـي محـاولة لطمس ضعف وجبن الآخر (الـيهودى الجيـتوى)، مـثلما رأينا في شخصية القاص في رواية (مكان آخر) الذى يقول :

(١)عاموس عوز: "بأور هاتيخيليت هاعازاه" (فى الضوء الأزرق الساطع)، مرجع سابق،(ص١٢٧-١٢٨).

<<إننى أملك يديـن قويتين في استطاعتهما أن تلينا الحديد >>[١]، وفى شخصية " ايتشه " في قصـة (ديـر الصـامتين) الـذى يقول عنه القاص : << . . وفى إحدى العمليات قفز " ايتشـه " بمفـرده داخـل نفـق تحصـن فيه العشرات من الأعداء المسلحين، فتجمد دمهم حين شـهق شهقة وحشية، وأنزل عليهم رعباً أسود حتى فروا من أمامه . >>[٢] . إذا كان عوز قـد ركـز علـى ذلـك في أعمالـه الأدبية المختلفة، فإننا نجده يؤكد على ذلك أيضاً في كتاباته السياسية، إذ يقول : <<إن الصهيونية في رأيى هى تشخيص للمرض، وهى روشتة وعلاج . وإن كانت مجهوداً بائساً، إلا أنه مجهود عظيم يخص مجموعة من اليهود لتحرير أنفسهم من أى سـجن (بدنـى أو نفسـى)، وللشـفاء مـن الأمـراض الـيهودية الشائعة، والتى هى ثمار التشتت وغياب المكان . >>[٣]

وهكـذا، يـرى عـوز أن ظهـور هـذا النمط من الإنسان العبرى الجديد، هو أحد أهداف الصـهيونية مـن أجـل تحقيق أحلامها، وظهوره أو الحث على ظهوره يعنى تحرير اليهود من سـجنهم " البدنـى " و " النفسـى " ومـن العـزلة التـى كانـت تنطوى على كثير من الجبن والضعف وانتشار الأمراض اليهودية الشائعة والمستعصية .

كمـا أكـد عـوز أيضـاً في كـل مـن كـتاباته السياسية وأعماله الأدبية على مسألة " روح الجماعـة " ، وهـى سمـة تميـزت بهـا الأنا الممثلة لـ " اليهودى الصهيونـــى " ، ففى روايته (مكـان آخر) يقول القاص : << إننا جميعاً أسرة واحدة، لأن العلاقات بيننا تظهر عندما ... وهـى علاقـات قـوية أقوى من روابط الدم، فتربطنا علاقات مصيرية . >>[٤] ويؤكد على ذلـك أيضـاً في قصـته (دير الصامتين)، وفى قصتـــه(بلاد ابن آوى)، ويقول مؤكداً على ذلـك في إحـدى مقالاتـــه السـياسـية : << إن أعضـاء " الكيبوتسـات " ، وخاصـــة أفضـلهم، لديهم حماس وروح الجنود المقاتلين، الذين يخضعون للنظام، فهم معتادون على وضـع المهـام في حيز التنفيذ، ولا يجادلون . ومن الممكن أن نصف الشعور العام المتزايد بين المثالـيين، والـذين يضـحون بأنفسـهم مـن أعضـاء "الكيـبوتس" من خلال شطر معروف لإحدى القصائد يقول : (نادانى صوت فذهبت) >>[٥] .

وإذا كـان عـوز قـد أكـد أيضاً على مسألة " الولاء الوطنى للدولة " كسمة من السمات التـى تمـتع بها اليهودى الصهيونى، كما رأينا في شخصية " ميخائيل " في روايـة (عزيزى

(١)عاموس عوز: "ماقوم أحير" (مكان آخر)، رواية،مرجع سابق، (ص٢١٣).
(٢)عاموس عوز: "أرتسوت هاتين"(بلاد بنات آوى)، مجموعة قصصية، مرجع سابق، (ص٩٠).
(٣)عاموس عوز: "بأور هاتيخيليت هاعازاه" (فى الضوء الأزرق الساطع)، مرجع سابق،(ص١٥٠).
(٤)عاموس عوز: "ماقوم أحير" (مكان آخر)، رواية،مرجع سابق، (ص٣٤٢).
(٥)عاموس عوز: "بأور هاتيخيليت هاعازاه" (فى الضوء الأزرق الساطع)، مرجع سابق،(ص١٤٢).

ميخائيل) الـذى يتمتع بـ << ولاء بهيج وحماسى لقوانين الدولة >>[١]، وفى شخصية "بوعـز" في روايـة (صـندوق أسـود) الـذى يقـول : << إننى ضد الهجرة طالما أن الدولة تعـيش في مشـكلات، حتى ولو خطرت في بالى فكرة السفر، فسوف أسافر بعد أن تتخلص الدولة من مشكلاتها . >>[٢]، فإنه يؤكد على ذلك أيضاً في كتاباته السياسية قائلاً .

<< قد يأتى الكثيرون بكل وقاحة ويتوجهون إلىّ قائلين : (صديقنا اليهودى الإسرائيلى ذو الرأى الرشيد، ألست أنت بالفعل كبيراً ولست صغيراً ؟ أرحنا من هذه الألعاب الخاصة بالسيادة والحـرية القومـية بدولـة وأعطهـا للفلسطينيين، وعد بنا إلى العالم الشريف الذى جئت منه)، فأقول لهم : (لا، مرة أخرى لن أكون الأول والوحيد في العالم الذى يتخلى عـن الباب والقفـل وحائك نوافذه وسور حديقته ... لن أكون كالرجل المسن الذي دفع إلى روضة الأطفال ... فسوف أسعد إذا كنت العاشر في العالم وربما يقال الخامس أو السادس في ضاحيته بالشرق الأوسط الذي يتخلى عن الألعاب القاتلة للقومية الإقليمية) >> [٣] .

وكانـت " العلمانية " أيضاً سمة من سمات اليهودي الصهيوني التى اتفق عليها عوز في كـل مـــن أعمـــاله الأدبية وكتـاباته السياسيـــة . وهو ما أكـــد عليه في روايته (عزيزى ميخائيل) على لسان " حنه جونيين " : << لم نعتاد عـلى إضاءة شمـــوع السبت، لأن ميخائـيل " كـان يرى في ذلك نفاقاً من جانب الناس الذين لم يراعوا مبادئ الدين . >> [٤] وهـو مـا أكـد عليـه أيضاً في إحدى مقالاته السياسية رداً على اليهود الدينيين قائلاً : << إن إسرائيل ليست نموذجاً لسوق مملكة داود وسليمان، ولا لدولة الهيكل الثانى >> [٥]

وهكـذا، يمكـن القـول أن رؤيـة الأنا الممثلة لـ " اليهودي الصهيوني " قد توافقت، إلى حـد كـبير، في كـل مـن كـتابات عـوز السياسية وأعماله الأدبية، فقد ترجم عوز في كتاباته السياسـية التـى تتعلق بالمسألة الصهيونية كل ما حاول الإشارة إليه في بعض أعماله الأدبية، وخاصـة فـيما يـتعلق بخلق ذلك الإنسان الصهيونى الجديد الذي يلفظ الماضي ويجئ ليحقق الحلـم الصـهيوني، الـذي يـتطلب مـنه هيـئة خارجية وداخلية بعيدة تماماً عن كينونة الآخر (الـيهودي الجيـتوي القـديم) . وربمـا يـرجع ذلـك الـتوافق، الذى نجده في كل من كتاباته السياسـية وأعمالـه الأدبـية، إلى اتفـاق كافة الأدباء الإسرائيليين على ضرورة وجود تلك " الأنـا " اليهودية في صورتها الصهيونية، وعلى ضرورة طمس تلك الصورة القديمة لليهودي الجيتوى الذي عاش في الشتات .

---

(١)عاموس عوز: "ميخائيل شلى" (عزيزى ميخائيل)، رواية، مرجع سابق، (ص٤٧).
(٢)عاموس عوز: "قوفساه شحوراه" (صندوق أسود)، رواية، مرجع سابق، (ص١٢٧).
(٣)عاموس عوز: "بأور هاتيخيليت هاعازاه" (فى الضوء الأزرق الساطع)، مرجع سابق،(ص١٠٠).
(٤)عاموس عوز: "ميخائيل شلى" (عزيزى ميخائيل)، رواية، مرجع سابق، (ص١١٦).
(٥)عاموس عوز: "بأور هاتيخيليت هاعازاه" (فى الضوء الأزرق الساطع)، مرجع سابق،(ص٧٨).

الأنا الممثلة لـ " اليهودي الإسرائيلي " :

تـناول عوز في كتاباته السياسية – كما رأينا – الأنا الممثلة لـ " اليهودي الديني " ، والأنا الممـثلة لــ " الـيهودي اليمـيني المتطـرف " ، وهمـا نمطـان ممـثلان للشخصـية الـيهودية الإسـرائيلية. أمـا في أعماله الأدبية، فقد تناول عوز الأنا الممثلة لـ " اليهودى الإسرائيلي " المتطـرفة والمعـتدلة معـاً، ولـن يتعـرض لـنمط " اليهودي الإسرائيلي الديني " في الأعمال الأدبية التى تم تناولها بالشكل الذى صاغه في كتاباته السياسية . وربما يعود تركيز عوز على الحـديث بصـورة مباشرة عن الأنا الممثلة لـ " اليهودي الإسرائيلي الديني " (الآخر بالنسبة للـيهودى الإسـرائيلي العلمانـي) في كـتاباته السياسـية، إدراكاً منه بخطورة هذه الجماعات الدينية على دولته والتى لابد من كشف حقيقتها ومزاعمها وأهدافها في أقرب فرصة ممكنة، وهـو مـا تحققـه المقالات الصحفية السياسية، على اعتبار أنها أسهل وأسرع في الوصول إلى القارئ المتلقى .

ويمكـن القـول، أن رؤية عوز لنمط " اليهودي الإسرائيلي " قد جاءت لتعبر عن حقيقة الواقـع الـذي وجـد الفـرد الإسـرائيلي نفسه فيه، ولتعبر أيضاً عن موقف هذه " الأنا " من الأحـداث المختلفة التى أحاطت بها، وهو أمر جعل هذه الرؤية تتفق إلى حد كبير في كل من كتاباته السياسية وأعماله الأدبية .

وعلـى سـبيل المـثال، كانـت سمـة " المعانـاة النفسـية والشعور بالقلق الوجودي " من الأمـور التـى عبر عنها عوز في هذين النوعين من الكتابة . وقد عبر عوز عن ذلك في كتاباته السياسـية بقـوله : << . . ومع إقامة الدولة انفجرت العديد من الأهداف، وصعدت على السـطح بقـوة الـبركان تقـريباً، لكننـا أخطأنـا عن قصد، أخطأنا حين اعتقدنا أن هنا نضج الشـباب وبـدأ بلـوغ العقـد، وأن هـنا الـراحة والإرث، وأنـنا بوجودنا هنا صنعنا أنفسنا، ودفعنا ثمن الآلام والوعود واعتزال الحياة والدماء، وبلغنا القليل من الراحة . >>(١)

وعـبر عـن ذلـك أيضـاً في قصـته (الـبدو الـرحل والأفعى) في شخصية " جيئولا " فتاة " الكيبوتس " التى تقوم بعمل أشياء غريبة ومبهمة لتعبر عن عدم قدرتها على التنفيس عما يجيش في صـدرها تجـاه الواقع القيمي في " الكيبوتس " ، وقد حاول عوز إبراز تلك المعاناة التـى تعيشها " جيئولا " في محاولاتها المستميتة لتفجير الزجاجة، ذلك الشئ المادى الذي قد يجيء تفجيره ليعـبر عـن نبذ الواقع الذي وجدت نفسها فيه، وعن تلك المعاناة النفسية التى أصيب بها الفرد الإسرائيلي فور اصطدامه بالواقع المُزيّن .

(١)عاموس عوز: "بأور هاتيخيليت هاعازاه" (فى الضوء الأزرق الساطع)، مرجع سابق، (ص١٢٨).

كمـا كانـت " العدوانية والعنف " من السمات التي اتفقت عليها رؤية عوز للأنا الممثلة لــ " اليهودي الإسرائيلي " في كل من كتاباته السياسية وأعماله الأدبية . وقد عبر عوز عن ذلـك، سـواء مـن خلال الشخصيات التى التقى معها وتحدث عنها في كتاباته السياسية، أو مـن خلال الشخصيات التى صاغها في أعماله الأدبية . فيقول أحد المستوطنين الذي ألتقـى بـه عـوز : << لنقسـوا ونحـرق كـل حقول البترول في الشرق الأوسط . >>[١]، ويقـول إسـرائيلي آخـر : << إنني علـى استعداد اليوم ... أن أقتل عرباً طبقاً للضرورة، وأنفيهم، وأطـردهم، وأحـرقهم. >>[٢] . ويقـول مستوطن إسـرائيلي آخـر لعـوز كما أوضح في كـتابـاته السياسية : <<كـل من يـرفـع يده علـى أبنائى، سوف أدمره وأدمر أبنائه، مع طهارة السلاح أو بدونه. >>[٣] .

وقد أكد عوز على هذه السمة في أعماله الأدبية أيضاً – كما رأينا – في شخصية "بوعز" في روايـة (صـندوق أسود) الذى فتح رأس الحارس الليلي، وصفع مدرسته على وجهها، وأصـاب تسـعة جـنود وخمسة من رجال الشرطة بإطار عربة مربوط بحبل، ووصفته أسرته بأنـه << إرهابـي طـائش . . وبغـل >>[٤]، وكمـا رأيـنا ذلك في شخصية "ميتيا" ، ذلك الإسـرائيلي المتطـرف في قصـة (جبل المكبر) الذى يحث "هليل" على << إخضاع النساء العرب ومجامعتهن بالقوة . >>[٥]، وفى شخصية " ألكسندر " في رواية (صندوق أسود) الـذى يتسـلي بقـتل الحـيوانات على الجبهة . وفىشخصيات شباب " الكيبوتس " في قصة (البدو الرحل والأفعى) الذين دائماً ما يقومون بـ << أعمال انتقاميه فردية غير مألوفة >>[٦] ضد العرب .

كمـا كان " التأرجح بين الرغبة في السلام والخوف منه " من أكثر السمات التي أولى لها عـوز اهـتماما ملحـوظاً في رؤيـته لــ " الشخصية الإسرائيلية " في كل من كتاباته السياسية وأعمالـه التـى تم تـناولها . وربمـا يعود اهتمام عوز بقضية السـلام إلى اشتراكه في حربى (١٩٦٧) و (١٩٧٣)، والمعـروف أن نـزوع الفرد الإسرائيلي للسلام أحياناً يجئ كرد فعل لفظائـع الحـروب، ورغـبة منه في حياة آمنة مستقرة بلا تهديد . ولذلك ركّز عوز في كتاباته السياسـية بصـورة ملحـوظة على قضية السلام مع العرب وأولاها اهتماما كبيراً رغبة منه في

---

(١)عامـوس عوز: " بوه فشام بإيرتس يسرائيل بستاف ١٩٨٢ ، مأماريم"(فى كل مكان فى إسرائيل،فى خريف ١٩٨٢)،مرجع سابق (ص٧٢).

(٢)نفس المرجع (ص٧٧).

(٣)نفس المرجع (ص٧٠).

(٤)عاموس عوز: "قوفساه شحوراه" (صندوق أسود)، رواية، مرجع سابق، (ص٤٦).

(٥)عاموس عوز:"هار هاعيتساه هاراعاه، شلوشاه سيبوريم" (جبل المكبر، ثلاث قصص)،مرجع سابق،(ص٣٤).

(٦)عاموس عوز: "أرتسوت هاتين"(بلاد بنات آوى)، مجموعة قصصية، مرجع سابق، (ص٢٨).

العيش في سلام بعدما رأى بنفسه هول الحروب ونتائجها، إلا أننا نستطيع أن نقول بأن عوز نفسه قد تردد في التوجه نحو السلام، ثم حسم موقفه واختار السلام وأصبح عضواً في حركة " السلام الآن " في إسرائيل، إلا أنه اختار " السلام الآمن " - كما سنرى - ورفض أن يكون أول من يتنازل عن الأرض العربية .

وكما رأينا فقد أشار عوز في كتاباته السياسية إلى تلك السيدة الإسرائيلية التى التقى بها ورأت أن السلام مع مصر << لم يكن سلاماً، بل خضوعاً وتبديداً للوقت، فقد باعوا كل شئ مقابل قطعة من الورق . . >>[١]، وأقرت بعدم وجود سلام بينهم وبين الأغيار - على حد قولها - ودعت إلى إخضاع العرب بالقوة وعدم الاكتراث بصرخاتهم . وعلى الرغم من ذلك فقد أضافت قائلة إلى عوز : << . . ولكن هذا أيضاً لن يأت بسلام، فربما يجلب لنا الهدوء وليس سلاماً ... >>[٢] .

وهنا يبدو ذلك التأرجح بين السلام والخوف منه، وهو ما عبر عنه عوز في أعماله الأدبية أيضاً كما رأينا في شخصية " فيما " بطل رواية (الوضع الثالث) الذى كان يحلم بتغيير السلطة وقيادة مسيرة السلام، وكان يتمرد على السلطة ويرى أنها تبدد فرص السلام ويرغب في الانضمام إلى إحدى الحركات السياسية لعمل فعال وعام، يستطيع من خلاله << إقرار السلام في البلاد >>[٣] . وعلى الرغم من ذلك يرى " فيما " أنه يجب الانتظار عاماً أو اثنين بعد إعطاء " غزة " للفلسطينيين حتى يثبتوا توجهم نحو السلام بعدها يتم << التفاوض حول مستقبل نابلس والخليل >>[٤] .

وأبرز عوز كذلك في كل من كتاباته السياسية وأعماله الأدبية، على حد سواء، اختلاف التوجهات نحو السلام داخل المجتمع الإسرائيلي، فقد ظهر أن قطاعاً كبيراً من الشعب الإسرائيلي حسم موقفه ورفض السلام تماماً، كما بدا في شخصية الأب في رواية (الوضع الثالث) الذى يرى أن الحل الوسط لا يصنع أبداً مع << الذين يطلبون دماءنا والذين يتطلعون إلى إبادتنا >>[٥]، وفى شخصية السائق الذي شدّد على أنه << لا يوجد سلام بين اليهودي وغير اليهودي >>[٦] .

---

(١)عاموس عوز: " بوه فشام بإيرتس يسرائيل بستاف ١٩٨٢، مأماريم"(فى كل مكان فى إسرائيل، فى خريف ١٩٨٢)، مرجع سابق (ص٤٩).

(٢)نفس المرجع، (ص٥١).

(٣)عاموس عوز: " هامتساف هاشليشى " (الحالة الثالثة)، رواية، مرجع سابق، (ص٧٤).

(٤)نفس المرجع، (ص١٣).

(٥)نفس المرجع، (ص٦٤).

(٦)نفس المرجع، (ص١٢٧).

وقـد بـرز ذلك التوجه أيضاً في كتاباته السياسية في حديثه عن السيدة التى ترفض السلام تماماً وتنظـر إلـيه علـى أنـه هـراء و << لا تؤمن بأن هناك سلاماً . فكراهية الأغيار لشعب إسرائيل هو أمر أبدى ... >>[1] ، وفى حديثه عن ذلك الإسرائيلي الذى يرفض السلام على أساس أنه << لا يبحث لدى الأغيار عن احترام، وليس في حاجة إلى حبهم . . >>[2]

ولعـل مـن أهـم الأسس التى ارتكزت عليها هذه " الأنا " المتعصبة في رفضها للسلام، واتفقـت عليها كـتابات عـوز السياسـية وأعمالـه الأدبية، هى عنصر القوة التى تحتمى بها وتـرى أنهـا الـدرع الحقيقـى في درء الخطـر الـذى قـد يـنجم عن موت السلام . فيرى أحد المستوطنين الإسـرائيليين، كماجـاء فـى كـتابات عوز السياسية، أنه يجب على إسرائيل أن تكـون عضـواً في نـادى الأشـرار << من يحاول فقط أن يصيبهم بأذى، فهم يقطعون له يديه ورجليه... ولـديهم مـن القوة ما يكفى .... فهم مفترسون وقتلة .... >>[3] . ويؤكد على هـذا الـبعد أيضاً أحد الخبراء القدامى في القانون الدولى كما جاء في رواية (الوضع الثالث) الذى يوصى الحكومة بعدم التسرع في الجرى وراء مؤتمرات السلام المشكوك فيها، ويرى أنه يجب الانتظار حتى << يحدث على الأقل ردع إسرائيلي >>[4] .

ولاشـك أن هـذا المبدأ – مبدأ الردع والقوة – قد ارتكز إلى << رؤية اليمين المتطرف التى تقـوم علـى أساس من عدم الاعتراف بالآخر، وبالتالى فالوسيلة الوحيدة المتاحة للتعامل مع الآخـر هـى وسـيلة القـوة ... فالحياة الإسـرائيلية قامـت علـى أساس من أيديولوجية القوة والعـنف التـى زرعـتها الصـهيونية في الـنفس الـيهودية وجعلـتها اسـتراتيجية عامـة للدولة اليهودية . . >>[5] .

ويمكن القول أيضاً، أن قطاعاً لا بأس به من المجتمع الإسرائيلى قد جنح نحو السلام ولم يرفضه تماماً مثلما رفضته تلك الفئة الإسرائيلية المتطرفة، ولكن هذا القطاع يرغب في السلام الآمن وينظر إليه على أنه هو السلام الحقيقى . وقد ظهر ذلك أيضاً في أعمال عوز السياسية والأدبية، علـى حـد سـواء، حيث تقـول إحـدى شخصيـات رواية(الوضع الثالث) : << إننـى مـع السلام الحقيقى... ومع الأمن والالتزام وكل الضمانات، والأمن الشامل >>[6]

---

(١)عاموس عوز: " بوه فشام بايرتس يسرائيل بستاف ١٩٨٢، مأماريم"(فى كل مكان فى إسرائيل، فى خريف ١٩٨٢)، مرجع سابق (ص٤٩).

(٢)نفس المرجع (ص٧٠).

(٣)نفس المرجع ، (ص٧٢).

(٤)عاموس عوز: " هامتساف هاشليشى " (الحالة الثالثة)، رواية، مرجع سابق، (ص٢٣١).

(٥) د. محمد خليفة حسن: الشخصية الإسرائيلية – دراسة فى توجهات المجتمع الإسرائيلي نحو السلام – سلسلة الدراسات الدينية والتاريخية العدد (٢) – مركز الدراسات الشرقية – جامعة القاهرة – (ص ٥٣، ٦٠)

(٦)عاموس عوز: " هامتساف هاشليشى " (الحالة الثالثة)، رواية، مرجع سابق، (ص١٨٣).

وهو ما يؤكد عليه عوز في كتاباته السياسية تعبيراً عن رغبة بعض المستوطنين الإسرائيليين في «الانفصـال عـن العـرب في سـلام وبكـل سـهولة، والاهـتمام فقـط بالتنظيـم الأمنـى الجيد. .»[1]

ولعل من أهم الأسباب التى جعلت الفرد الإسرائيلي ينظر إلى الأمن على أنه أمر حتمى وضـرورى لابـد وأن يقترن بالسلام، هو «أن مفهوم الأمن تختلط فيه عدة عوامل بعضها تراثـى وبعضـها صـهيونى حـديث ومن ذلك الشعور الدائم بالخوف وحالة الحصار النفسى والحياة في ظل عدم الأمان، والتهديد بالحروب والشعور الدائم بالعزلة والجيتوية وغير ذلك من الأبعاد النفسية لمفهوم الأمن الإسرائيلي . .»[2]، ولعل هذا ما جعل حزب الليكـود يعتمد على أن «الأمن هو أساس السلام الدائم في المنطقة وسوف تجعل إسرائيل من الأمن الشرط الأول في أى اتفاق للسلام .»[3].

وهكـذا يمكـن القـول أيضـاً أن رؤيـة عـوز للأنـا الممثلة لـ " اليهودي الإسرائيلي " قد اتفقـت، إلى حد كبير، في بعض السمات ما بين كتاباته السياسية وبعض أعماله الأدبية التى تم تـناولها في الـوقت الـذى شـدّد فـيه علـى مسألة السلام، بصفة خاصة، كمطلب حيوى وضرورى تفتقده هذه " الأنا " وأظهر توجهات المجتمع الإسرائيلي المختلفة نحوه .

ثانياً : " الآخر " بين أعمال عوز الأدبية وكتاباته السياسية :

كـان التشـابه الكـبير بـين الآخـر (الـيهودي الجيتوي) والآخر (الفلسطيني) في الأدب الإسـرائيلي بصـفة عامـة وأعمـال عوز الأدبية بصفة خاصة، من أهم الأسباب التى جعلتنا نـدرجهما معـاً تحـت مصـطلح (الآخـر) في مقابـل (الأنـا) اليهودية بصورتها الصهيونية والإسـرائيلية . وإذا كـان الأدبـاء الإسـرائيليون – ومن بينهم عوز – قد اعتادوا على إسباغ كـل مـا هـو ممقـوت ومرفوض على الآخر (اليهودي الجيتوي)، رغبة منهم في طمس هذه الشخصـية التـى ترمـز إلى ماضى يهودي يمتلئ بالضعف والخنوع والشتات، ورغبة منهم في خلق إنسان عبري جديد يحمل الراية ويحقق الهدف المرغوب في بناء الدولة والوطن الجديد، وهـو مـا لم يستطع أن يحققـه " اليهودي الجيتوي "، فإن إسباغ نفس هذه الصفات – كما رأيـنا – علـى الآخـر (الفلسطيني) كان بمثابة رغبة من هؤلاء الأدباء الإسرائيليين في تغييب ذلك العربى الذى من شأنه أن يعرقل ذلك الحلم في بناء الدولة والوطن، ومن شأنه أيضاً أن

---

(١) عامـوس عوز: " بوه فشام بإيرتس يسرائيل بستاف ١٩٨٢، مأماريم" (فى كل مكان فى إسرائيل، فى خريف ١٩٨٢)، مرجع سابق (ص١٦٩).

(٢) د. محمـد خلـيفة حسـن: الشخصـية الإسـرائيلية – دراسـة فـى توجهات المجتمع الإسرائيلي نحو السلام مرجع سابق، (ص ٦١) .

(٣) نفس المرجع، (٧١) .

يبقى حائلاً بين الدولة وبين مصالحها وسعيها إلى اكتمال الحلم الصهيوني في فلسطين وطن ذلك الآخر (الفلسطيني) .

ومن هنا نجد أن الهدف كان واحداً في التعامل مع هذين النمطين، على أساس أن اليهودي الجيتوي " هو رمز للضعف والخنوع، وأن " العربي الفلسطيني " هو رمز للدفاع عن أرضه وعدم استسلامه، فتغيبهما معاً ضرورة ملحة لتحقيق ذلك الهدف .

(١) الآخر (الفلسطيني) :

كانت رؤية عوز للآخر (الفلسطيني) تنطوي على كثير من التناقض، ما بين أعماله الأدبية وكتاباته السياسية . ويمكن القول بأن عوز ككاتب سياسي يتعامل مع الآخر (الفلسطيني) بصورة تختلف تماماً عن تعامله معه كأديب .

والغريب في الأمر أن ما يطرحه عوز في كتاباته السياسية عن حق (الآخر) في تقرير المصير وإقامة الدولة و... إلخ يتعارض مع ما يكتبه في أعماله الأدبية، وهو ما يجعلنا نتساءل حول الدافع الحقيقى وراء اختلاف الموقف السياسي لذلك الأديب عن موقفه الأدبي ؟ .

ولنر، أولاً، مدي التوافق بين كتابات عوز السياسية وأعماله الأدبية، خاصة وأن عوز من الأدباء الذين يحسبون على تيار اليسار الإسرائيلي .

ولعل أول ما يمكن أن نلاحظه من تناقض، هو تلك الأعمال التى يعمل فيها الآخر (الفلسطيني)، حيث نجد عوز يشير في كتاباته السياسية أنه التقى بشخصيات عربية عديدة، منها " أبو زياد " الذى يعمل << محرراً صحفياً >>[١]، و " أبو خالد " << محرر الركن الأدبي لصحيفة الفجر >>[٢]، و " أكرم حانيا " << مؤلف قصص قصيرة >>[٣]، وأشار إلى أعمال أخرى يعمل فيها الآخر (الفلسطيني) مثل << الرسم >>[٤]، و << البحث العلمي >>[٥]، و << الشعر المعاصر >>[٦]، وهو يعمل أيضاً كمحاضر في الجامعة، مثل << عفنان القاسم الذي يعمل محاضراً في جامعة السربون بباريس >>[٧] في حين أننا نجد عوز في أعماله الأدبية المختلفة قد دأب على إظهار الآخر (الفلسطيني) وهو يعمل في الأعمال الحقيرة، مثلما رأينا في رواية (صندوق أسود) فقد أشار إلى أنه يعمل في

---

(١)عاموس عوز: " بوه فشام بإيرتس يسرائيل بستاف ١٩٨٢، مأماريم"(فى كل مكان فى إسرائيل، فى خريف ١٩٨٢)، مرجع سابق (ص١٢٤).

(٢)نفس المرجع (ص١٣٤).

(٣)نفس المرجع (ص١٣٥).

(٤)نفس المرجع (ص١٢٣).

(٥)نفس المرجع (ص١٣٤-١٣٥).

(٦)نفس المرجع (ص١٣٥).

(٧)نفس المرجع (ص١٣٥).

<< تنظيف المناضد في المطاعم >>[(١)] وفي << حفر القواعد لصب الأساسات . . >>[(٢)] ، وكـــذلك في رواية (عزيزى ميخائيل)، فقد ظهر الآخر (الفلسطيني) وهو من << الباعة الجـائلين ... والحـرفيين .... والحـدادين >>[(٣)] . وظهـر كـذلك في رواية (الوضع الثالث) يعمـل كــ << دهّـان للشقق .... . وحطاب .... . وسائق مياه ومنظــف للمراحيــض ... وعامل نظـافـة في الشارع . . وغاسل للصحون في المطاعم ... >>[(٤)] .

وهكذا، تأتى الأعمال التى يعمل فيها الآخر (الفلسطيني) والتى أوردها عوز في كتاباته السياسية لتخـتلف تماماً، عمـا جاءت في أعماله الأدبية المختلفة، فالآخر في أعماله الأدبية يعمل في أحقر المهن وأدناها، في حين أنه يعمل في أرفع المهن وأفضلها في كتاباته السياسية .

وكانت الملابس التى يرتديها الآخر (الفلسطيني) أيضاً من الأمور التى تناقضت تماماً ما بـين كـتابات عـوز السياسية وأعماله الأدبية، فيقول عوز في أحد مقالاته السياسية أنه التقى بـثلاثة رجـال مـن العـرب << كـان أحدهم رجلاً مُسناً يرتدي معطفاً مخططاً غامق اللون، والآخـران شـــابين يرتديان ملابس من (الجينس) . حيث كان أحدهما يرتدي بدلة جينس مهملـة، وكـان الآخـر يـرتدي بنطلوناً من الجينس مع قميص (كوكا كولا) . . >>[(٥)] . ويشـــير كـذلك في مقـال آخـر أنه لاحظ في أحد أزقة القدس رجلاً يهودياً يتحـــدث مع آخـــر عـــربي << ... يرتدي كوفية ناصعة البياض، وبدلة زرقاء اللون ... >>[(٦)] .

وهـذا الـنوع مـن الملابـس لم يشر إليه عوز في أعماله الأدبية، فقد كانت مـلابس الآخر (الفلسـطيني) ملابـس ريفيـة أو بدوية فقط عبارة عن << جلباب بدوي غامق اللون>>[(٧)] و<< ... ملـبس مـن الصــوف والكـتـان ... وجلـبـاب أبيـض >>[(٨)] و <<عباءات غامقة اللون. . >>[(٩)] .

وتـتوالى جدلـية المتناقضـات مـا بين موقف عوز السياسي وموقفة الأدبي من خلال نظرة مـزدوجة للآخر (الفلسطينـــي)، فـــإذا كان عوز ينظر إلى العرب في كتاباته السياسية على

---

(١)عاموس عوز: "قوفساه شحوزاه" (صندوق أسود)، رواية، مرجع سابق، (ص١٦٣).

(٢)نفس المرجع ، (ص٧٤).

(٣)عاموس عوز: "ميخائيل شلى" (عزيزى ميخائيل)، رواية، مرجع سابق، (ص٧٤).

(٤)عاموس عوز: " هامتساف هاشليشى " (الحالة الثالثة)، رواية، مرجع سابق، (ص١٤٥-١٤٦)

(٥)عامـوس عوز: " بوه فشام بايرتس يسرائيل بستاف ١٩٨٢، مأماريم"(في كل مكان في إسرائيل،في خريف ١٩٨٢)،مرجع سابق (ص٦٢).

(٦)نفس المرجع ،(ص١٤٤).

(٧)عاموس عوز: "أرتسوت هاتين"(بلاد بنات آوى)، مجموعة قصصية، مرجع سابق، (ص٣٦).

(٨)نفس المرجع ، (ص٢٧).

(٩)عاموس عوز: "قوفساه شحوراه" (صندوق أسود)، رواية، مرجع سابق، (ص٢٠٩).

أنهـم << مثقفون، وهادئون، وجادون، ومثاليون . . >>[١] ويرفــض مــن ينظـر إليهـم نـظـرة فوقيــة قائـلاً : << ... عندما يقـول الحاخام الياهو، إننا رفعنا العرب من الزبالـة، وهـم ناكـريـن للجميـل، فإن هذا أمر يثيرنى، ولدي حساب مرير مع من هو مثله . . >>[٢]، فإننـا نجـده، في نفـس الـوقت، ينظـر إلى الآخر (الفلسطيني) في أعماله الأدبية نظرة سـلبية تظهر العربي الفلسطيني في صورة الإنسان المتخلف كما رأينا في قصته (البدو الرحل والأفعى) الذى ذكر فيها عوز أن العرب جلبوا معهم << المرض من الصحراء، حيث حملته معهـم بهـائمهم المهلــة التى لـــم تخضـــع لأى إشـراف طـبي . . >>[٣] وفى روايته (صندوق أسود) : << . . كان الفلاحون يملئون المكان برائحة نسائية غامضة تبقي حتــى بعـد رحلـيهم . . >>[٤]، وكما رأينــا في قصته (بلاد ابن آوى)، حيث يقول عن العرب علـى لسـان " متتياهو " : << جمـع مـن الـناس قـذر غامـق اللـون ... يـتوالد عليه القمل والبراغيث . . >>[٥].

ولعـل ما يدعو للدهشة أن عوز يتوعد في كتاباته السياسية لمن ينظر إلى ذلك العربي على أنـه إنسـان مـتخلف ويظهـره في صـورة المـثقف الهـادئ، في الوقت الذى نجده فيه ينظر إلى العربـي في أعمالـه الأدبية علـى أنـه إنسـان مـتخلف يجلـب المـرض، ولا يعـرف شئ عن التحضـر، وهو أمر ينطوي على تناقض واضح لا نعتقد أن عوز لم يفطن إليه أو لم يقصده ولاسـيما أنـنا نجـده يقـول : << أى ثروة حضارية صنعها هنا هؤلاء الفلسطينيون ؟ >>[٦] وهى عبارة استفهامية تدل على نظرة عوز الحقيقية إلى الآخر (الفلسطيني) ..

ويمكـن القـول بـأن عـوز يميـل إلى النظـرة الإيجابية في تعامله مع الآخر (الفلسطينى) في كـتاباته السياسـية حتـى لا يفقد مصداقيته ككاتب سياسيى، لأن القارئ الإسرائيلي يتعامل بصفة يومية مع العربي الفلسطيني ويدرك تماماً ما إذا كان إنساناً متحضراً ومثقفاً أم لا ؟

ولعـل ما يثير الدهشة أيضاً أن عوز في كتاباته السياسية يؤكد على أن لغة القوة مع الآخر (الفلسطيني) لا تجدى ولا تؤثر، في الوقت الذى يؤكد فيه في أعماله الأدبية على أن العربى لا يفهـم سوى لغة القوة . فيقول عوز في كتاباته السياسية : << ... يا ويلنا لوعدنا لنتصرف

---

(١)عامـوس عوز: " بوه فشام بإيرتس يسرائيل بستاف ١٩٨٢، مأماريم"(فى كل مكان فى إسرائيل، فى خريف ١٩٨٢)، مرجع سابق (ص١٦٨).

(٢)أورنا قدوش مع عاموس عوز، مرجع سابق، (ص٣٠).

(٣)عاموس عوز: "أرتسوت هاتين"(بلاد بنات آوى)، مجموعة قصصية، مرجع سابق، (ص٢٨).

(٤)عاموس عوز: "قوفساه شحوراه" (صندوق أسود)، رواية، مرجع سابق، (ص٢٠٩).

(٥)عاموس عوز: "أرتسوت هاتين"(بلاد بنات آوى)، مجموعة قصصية، مرجع سابق، (ص١٢٢).

(٦)عاموس عوز: "بأور هاتيخيليت هاعازاه" (فى الضوء الأزرق الساطع)، مرجع سابق، (ص٨٢).

وكـأنهم لا يفهمـون إلا لغـة القوة ... >>[١]، ويقول أيضاً : << ... إن القوة لن تؤدى ولن تستطيع أن تؤدى إلى حصولنا على الاعتراف والأمان . . >>[٢] .

وفـى نفس الـوقت نجـد أعمالـه الأدبـية مليـئة بما يشير إلى تلك الصفة التى دأب الأدباء الإسـرائيليون علـى إلصـاقها بالآخـر (الفلسـطينى)، مـثلما رأينا في قصته (البدو الرجل والأفعـى): << . . لنلقـنهم درســاً قاسـياً، بـتلك اللغـة التـى اعتـادوا عليها ويفهمونها جيداً>>[٣] وفى رواية (مكان آخر) : << ... إن هؤلاء لا يفهمون سوى لغة واحدة فقط، هـى لغة القوة. . >>[٤] . وفى رواية (عزيزى ميخائيل) حيث تقول " حنة " عن التوأمين العربيين : <<كنت أخضعهما بيد قوية . . >>[٥] .

وتدخل رؤية عوز أيضاً للآخر (الفلسطيني) في أعماله الأدبية على أنه " مخرب وسافك للـدماء " ضـمن جدلـية المتناقضـات مـع كـتاباته السياسـية . فقد أشار عوز في العديد من مقالاتـه السياسـية إلى جـنوح العربـى نحـو السلام ورغبته فيه وفى التعايش في أمن وسلام، وذلك من خلال لقاءات عديدة أجراها عوز مع الآخر (الفلسطيني) أظهـــر فيها رغبته في << . . سـلام عـادل >>[٦]، وإيمانـه بأن << . . السلام يأتى بالعقل وليس بالقوة >>[٧]، وأملـه في أن << . . السـلام سـوف يأتـى في النهاية . . >>[٨]، وأظهر فيها << أن العرب جميعاً في الضـفة الغربية يريدون السلام، الكبار والصغار . . >>[٩] وأنهم يأملون من عوز << الكتابة من أجل السلام >>[١٠] .

وهكـذا، إذا كانـت كـتابات عوز السياسية قد أظهرت العربي في صورة الإنسان المسالم الـذي يـرغب في السـلام ويناشـد الحكـومة من أجله حتى ينعم بالاستقرار والطمأنينة، فإن أعمـال عـوز الأدبية قد أظهرته في صورة مخرب وسافـك للـدمـــاء، مثلما رأينا في روايـة (عزيزى ميخائيل) الذى أظهر فيها عوز التوأمين العربيين وهما << يتدربان بالقنابل اليدوية

---

(١) عاموس عوز: الجبل والسور، مرجع سابق، (ص ١٢) .
(٢) نفس المرجع، (ص ١٢) .
(٣)عاموس عوز: "أرتسوت هاتين"(بلاد بنات آوى)، مجموعة قصصية، مرجع سابق، (ص٣١).
(٤)عاموس عوز: "ماقوم أحير" (مكان آخر)، رواية، مرجع سابق، (ص١١٤).
(٥)عاموس عوز: "ميخائيل شلى" (عزيزى ميخائيل)، رواية، مرجع سابق، (ص١٥).
(٦)عامـوس عوز: " بوه فشام بإيرتس يسرائيل بستاف ١٩٨٢، مأماريم"(فى كل مكان فى إسرائيل، فى خريف ١٩٨٢)، مرجع سابق (ص٦٣).
(٧)نفس المرجع ، (ص٦٧).
(٨)نفس المرجع ، (ص٦٨).
(٩)نفس المرجع ، (ص٦٨).
(١٠)نفس المرجع ، (ص٦٨).

... ويحمـلان الرشاشات ويرتديان ملابس الكـوماندوز >>[١]، وعتادهما هو << صندوق متفجرات و فتائل إشعال، وذخيرة، وقنابل يدوية، وخناجر ... >>[٢]، ويبدو ذلك أيضاً في روايته (الوضع الثالث) حيث أشار عوز إلى صبي عربي << احترق عندما حاول إضرام النيران في عربة جيب عسكرية >>[٣].

ويـبدو كـذلك أيضـاً في روايـته (صـندوق أسـود)، حـيث يقـول عـوز عـن الآخـر (الفلسـطيني): << ولكـن سـفك الـدماء أمر عميق جداً في عقيدته ... >>[٤]. وكذلك في روايـته (فهـد في السـرداب) حـيث يقـول القـاص : << ... أما العرب فقد أطلق عليهم : سافكون للدماء >>[٥].

وامـتدت جدلـية المتناقضـات أيضـاً إلى مـا يـتم طـرحه في إسـرائيل بالنسبة لحل المسألة العربية، فحول رؤية بعض الأحزاب اليمينية المتطرفة في ضرورة ترحيل العرب من فلسطين إلى الـبلاد العـربية، التـي بهـا مـن أراضـي واسعة تكفي لاستيعابهم، يقول عوز في كتاباته السياسية :

<< . . إن الأحـــاديـث الشـائعة حـول (دفـع) جموع الفلسطينيين من هنا إلى الكويت الغنـية، أو العـراق الخصـبة، هـي أحاديـث في الواقـع تافهة، مثل الأحاديث الممكنة حول هجـرتنا إلى بـروكلين (الـيهودية)... >>[٦] ويؤكد على ذلك قائلاً : << إن شعب فلسطين يجـب أن يكـون شـعباً حـراً على أرضــه ... >>[٧] ويقول أيضاً: << . . هذه الأرض هي أرضـنا، وهـي أيضـاً أرضـهم . . >>[٨] و << . . وقطعـة الأرض هـذه، هـي وطن لكلا الشعبين . . >>[٩].

أمـا في أعمالـه الأدبـية فنجده يشير إلى عكس ذلك تماماً، حيث يقول على لسان إحدى شخصـيات روايتــــه " (صندوق أسود) : << . . أتمنى للعرب من كل قلبي ...أن يحظوا بسـرعة العـودة إلى وطـنهم، مثلما حظينا بالعودة إلى وطننا ... اقترح عليهم الخروج من هنا باحترام ودون أن نسلب منهم شيئاً . . >>[١٠].

---

(١)عاموس عوز: "ميخائيل شلى" (عزيزى ميخائيل)، رواية، مرجع سابق، (ص٧٣-٧٤).
(٢)نفس المرجع ، (ص١٩٧).
(٣)عاموس عوز: " هامتساف هاشليشى " (الحالة الثالثة)، رواية، مرجع سابق، (ص٢٣٠-٢٣١).
(٤)عاموس عوز: "قوفساه شحوراه" (صندوق أسود)، رواية، مرجع سابق، (ص١٠٢).
(٥)عاموس عوز: "بانتير بامرتيف" (فهد فى السرداب)، رواية، مرجع سابق، (ص١٢٢).
(٦)عاموس عوز: "بأور هاتيخيليت هاعازاه" (فى الضوء الأزرق الساطع)، مرجع سابق،(ص٨٢).
(٧)نفس المرجع ،(ص٧١).
(٨)نفس المرجع ، (ص٨٢).
(٩)نفس المرجع ، (ص٨٥).
(١٠)عاموس عوز: "قوفساه شحوراه" (صندوق أسود)، رواية، مرجع سابق، (ص١٦٥-١٦٦).

وهكـذا، يمكن القول أن رؤية عوز للآخر (الفلسطيني) في كتاباته السياسية قد اختلفت تماماً عما جاءت في أعماله الأدبية، وهو ما يجعلنا نقول أنها رؤية مزدوجة إلى حد كبير وهو أمر مثير للدهشة والتساؤل حول الدافع الحقيقي وراء ازدواجية هذه الرؤية ؟ فكيف ينظر عوز في أعماله الأدبية إلى الآخر (الفلسطيني) تلك النظرة السلبية المقوتة، والتي اعتاد عليها الأدباء الإسرائيليون في مختلف أعمالهم، وفي نفس الوقت يرى أنه طرف حقيقي في الصراع، ومن حقه إقامة الدولة وتقرير المصير، ويدعو للسلام معه في شتى مقالاته السياسية ؟ علاوة على أن ما يطرحه في كتاباته السياسية - كما رأينا - قد يختلف تماماً عما يقوله في أعماله الأدبية ؟

ولعل من أهم ما يجب أن نشير إليه، أولاً، هو أنه قد يعتقد البعض أن رؤية عوز السلبية للآخر (الفلسطيني) في أعماله الأدبية كانت فقط قبل أن يتخلى عن يمينيته المتعصبة وينتمي إلى معسكر اليسار الإسرائيلي . ولكننا إذا نظرنا إلى جزء من حياة عوز السياسية سنجد أنه انضم إلى حركة " السلام والأمن " في عام (١٩٦٧)، وأصبح عضواً في حركة " السلام الآن " اعتبارا من عام (١٩٧٨) . وفي حين أنه قد صدرت له أعمال أدبية مثل رواية (صندوق أسود) التي صدرت لأول مرة في عام (١٩٨٦) ورواية (الوضع الثالث) التي صدرت في عام (١٩٩٣) ورواية (فهد في السرداب) في عام (١٩٩٥) ورواية (عزيزي ميخائيل) التي صدرت في عام (١٩٦٨)، وهي جميعها أعمال لم تختلف فيها نظرة عوز السلبية للآخر (الفلسطيني) ـ كما رأينا ـ أي أن هذه النظرة ظلت راسخة حتى بعد أن انضم عوز إلى معسكر اليسار الإسرائيلي . وهو أمر يجعلنا نتشكك في حقيقة عوز من حيث كونه يسارياً أم يمينياً . وهل من الممكن أن نطلق عليه " الأديب اليميني المتعصب" و " الكاتب اليساري المعتدل " في آن واحد ؟

ولعلنا نستطيع القول أن جدلية المتناقضات ما بين كتابات عوز السياسية وأعماله الأدبية تؤكد على جدلية المتناقضات التي أشرنا إليها في رؤية عوز للعلاقة بين العربي الفلسطيني والإسرائيلي بالنسبة لأعماله الأدبية، وخلصنا فيها إلى أن عوز يتفق مع بقية الأدباء الإسرائيليين في نظرتهم الشائعة عن الآخر (الفلسطيني)، ولكنه يختلف معهم في ضرورة التعامل معه كأمر واقع، حيث يرى عوز أن الآخر (الفلسطيني) لن يتنازل عن أرضه، ولابد من التعامل معه من هذا المنطلق، كما أن محاولات طمسه وتغييبه والتعامل معه وكأنه غير موجود هي محاولات فاشلة لن تؤدي إلى حل الصراع القائم وهو ما أكد عليه في كتاباته السياسية أيضاً قائلاً : << . . إن ذلك الشعار الذي يقول (أرض بلا شعب لشعب بلا أرض) أعطى للذين يلوحون به صهيونية بسيطة وسهلة . . وأنا لست معهم. >>(١) .

(١)عاموس عوز: "بأور هاتيخيليت هاعازاه" (في الضوء الأزرق الساطع)، مرجع سابق، (ص٧٨).

ولـذلك، يرى عوز أن التعامل مع الآخر (الفلسطينى) من منطلق القوة والقمع هو أمر قـد يثيره في المستقبل << . . إننى أخشى من ماهية البذور التي سنزرعها في المستقبل القريب في قلـب هـؤلاء الـذين احتللـنا أراضـيهم . . >>[١] ولعـل ذلك هو ما جعل عوز ينظر إلى الآخـر (الفلسـطينى)على أنه كابوس مزعج، مثلما وجدنا في أغلب أعماله الأدبية . فحنه في روايـته (عزيزى ميخائيل) تحـلـم بالتوأمين العربيين "عزيز وخليل " وهما يأتيان إليها في كابـوس مـزعج ومخيف راحت ترتعد منه طوال الرواية، وكانت حياة " فيما " في روايته (الوضـع الـثالث) عـبارة عن أحلام وكوابيس مزعجة يرى فيها اندلاع الحروب مع العرب، وقـد انعكـس ذلـك علـى حـياته في اليقظة حتى راح يأمل في السلام ويتمناه لعله يخفف من وطأة ذلك الكابوس الآخر (الفلسطينى).

ولعـل صـرخات عـوز في الكـثير مـن كـتاباته السياسـية ضـد الـيهود الديـنيين واليهود المتعصـبين وتأكيده على حتمية الوجود العربى الفلسطينى على هذه الأرض وقوله (لسنا هنا وحـدنا)، هـو نتـيجة لـرؤية عـوز للآخـر (الفلسطينى) على أنه " كابوس مزعج " يجب الانفصـال عـنه وتجنبه . وهـى حقـيقة نستطيع أن ندلل عليها من خلال قول عوز بنفسه : << . . إن العرب بالنسبة لى، هم كابوس ... أخافهم . . ويخافون منى . . >>[٢]

ويمكـن القـول أيضاً أن عوز لم يكن صادقاً حتى في مسألة طرحه لقضية السلام، ورؤيته لحـق الآخر في إقامة دولته وتقرير مصيره، وأن الأرض وطن لكلا الشعبين اللذين أوجدهما القـدر علـى قـارب واحـد وتحـت سـقف واحـد ـ كمـا يقول ـ ذلك لأننا قد نجد في كتاباته السياسية ما يشير إلى نظرته السـلبية للآخر (الفلسطينى)والتى اعتاد عليها في أعماله الأدبية فعلـى سـبيل المـثال نجده يقول : << . . إننا جئنا لنسيطر هنا حتى نوقع اتفاقية سلام خلال عـام أو عشـرة أعـوام أو عـامين . . >>[٣] وأحـياناً نجده يتساءل : << بأى أسلوب حافظ الفلسـطينيون على طبيعة هذه الأرض وتربتها >>[٤] كما أن عوز يرفض أن يكون أول من يتـنازل عـن الأرض قائلاً : << . . سوف أكون سعيداً لو كنت العاشر ...أو الخامس ... أو السـادس . . >>[٥]، وهـو مـا يـؤكد علـى عـدم إخلاصـه فـيما يـنادى بـه في كـتاباته السياسـية، ولم يكـن ذلـك إلا بـوق لـتهدئة ذلـك الأسد النائم خشية أن يثور وينقلب على الأوضاع، فقد يهدأ قليلاً عندما يجد من بين خصومه من يقف بجانبه في قضيته . وهى جدلية يقـع فـيها عوز وتنطوى على كثير من الخوف والحذر من ذلك الخـطر، وهو ما جـعل هناك

(١)عاموس عوز: "بأور هاتيخيليت هاعازاه" (فى الضوء الأزرق الساطع)، مرجع سابق، (ص٧٢).

(٢) أنطوان شلحت: مرجع سابق، (ص ٢٣) .

(٣)عاموس عوز: "بأور هاتيخيلينت هاعازاه" (فى الضوء الأزرق الساطع)، مرجع سابق،(ص٧٢).

(٤)نفس المرجع ، ،(ص٨٢).

(٥)نفس المرجع ، ،(ص١٠).

صـــورة مثبـتة في وجـدان عوز تجاه رؤيته للآخر (الفلسطيني)، لم يستطع أن يتحرر منها في أعمالـه الأدبـية، بيـنما اخـتلفت الصـورة وتحـركت من حالة الثبات عندما كان يتناولها في كـتاباته السياسـية، لأنهـا كانـت تسـتلزم مـنه الاحـتكاك المباشـر بالواقـع الفلسـطيني، وبشخصياته وتطلعاته، وبكل حقائقه ...

ولعـل اخـتلاف الموقـف السياسـي للأديـب عـن مـوقفه الأدبي، هى ظاهرة نستطيع أن نلمســها لدى هـؤلاء الأدبـاء الإسرائيليين ممن يحسبون على تيار اليسار الإسرائيلي، مثل أ . ب . يهوشـواع << . . الـذي يـتعارض مـا يطرحه مع بعض ما يكتبه في أعماله الأدبية الـتي يقـر فـيها بوجـود صـراع بـين حقـين (عربي ويهودي) في فلسطين، ويعترف بجذرية الوجـود العربـي في أرض فلسـطين (روايـة " في مواجهة الغابات " ١٩٦٨)، ومع دعواته المسـتمرة للـتعايش مـع العـرب داخـل إسرائيل من خلال أنشطته الثقافية والأدبية وغيرها، ولكـن يـبدو أن هـذه الكتــابات الأدبية هى مجرد إحساس زائف بالذنب لا يترجم نفسه إلى مواقـف سياسـية صـريحة ... >>[1]، ومـن هنا نستطيع القول بأن الأدباء الإسرائيليين الذين يـنادون بالسـلام ويـرون أن الصـراع العربـي الإسـرائيلي هو صراع بين حق وحــق، هــم أكــثر الأدباء الذين شوهوا صورة الآخــر (الفلسطيني) في أعمالهم المختلفة ...

(٢) الآخر (اليهودي الجيتوي) :

عبر عوز في كتاباته السياسية عن رؤيته للآخر (اليهودي الجيتوي) بالصورة التي جاءت في أعمالـه الأدبـية، ويمكـن القـول بأن هناك شبه اتفاق بين ما كتبه عوز في كتاباته السياسية وبـين الصـورة الـتي ظهـر فـيها " الـيهودى الجيتوي " في أعماله الأدبية . وربما يرجع هذا الـتوافق إلى أن الأدبـاء الإسـرائيليين وكـذلك القـائمين على الحركة الصهيونية لم يختلفوا في شـأن ذلك الآخر (اليهودي الجيتوي)، فقد كان اتفاقهم حول ضرورة قيام وطن لليهود هو بمـثابة اتفـاق حول ضرورة نسيان ذلك الماضي الأليم بكل ما فيه من اندثار ومرارة وتشتت، والذي يمثله " اليهودي الجيتوي " ربيب ذلك الماضي اليهودي .

ولعلـنا نسـتطيع القـول بأن كتابات عوز السياسية قد عكست السبب في ظـهور الآخــر (الـيهودي الجيـتوي) في أعمالـه الأدبـية – كمـا رأيـنا – في صـورة المضـطهد، والـواهن، والنحيل، وقصير القامة، و ... إلخ، فعلى سبيل المثال يقول عوز :

<< . . إن الـيهودي في الشـتات هو رمز وليس إنساناً منعزلاً، رمز المستغل المضطهد أو رمز الضحية البرئ المضطهد ظلماً . . >>[2] .

---

(١) د. رشاد عبد الله الشامي: إشكالية الهوية فى إسرائيل، مرجع سابق، (ص ١٤٤) .

(٢)عاموس عوز: "بأور هاتيخيليت هاعازاه" (فى الضوء الأزرق الساطع)، مرجع سابق،(ص٧٥).

ويقـول كذلك : << . . معنى أن تكون يهودياً هو تقريباً أن تقيم علاقة روحية دائماً مع ماضـي الـيهود، وسـوف تكـون هـذه العلاقـة، هي علاقة زهو أو ضيق ... وسوف تكون علاقة خجل ومرارة . . أى خجل من أعمالهم ... >>[1]

وإذا كـان عـوز قـد عـبر عـن الأحـداث الـتي مـر بهـا الـيهود في الشـتات، وشعورهم بالاضـطهاد مثلما رأينا في روايته (مكان آخر)، حيث يقول على لسان القاص << . . كان الـيهود مضـطهدين في كـل مكان، وكانت تسفك دماءهم . . >>[2]، وكما رأينا في قصته (سـومكى) حـيث ربط أعياد اليهود بكل حدث وقع عليهم : << ... يتعلم أطفال إسرائيل كـراهية المصـريين في عيد الفصح، والرومان في عيد الشعلة، . . . >>[3]، وإذا كان قد عبر كـذلك عن " أحداث النازى " أيضاً في روايته (مكان آخر) : << . . لقد سيقت طوائف الـيهود إلى المحـارق . . >>[4] فإنـه يرجع سبب ذلك إلى اليهود أنفسهم، فيقول عن أحداث النازى : << . . لم استخدم ذات مرة كلمة (نكبة) تجاه مقتل يهود أوروبا على يد النازيين ... فكلمـة (نكـبة) تـزيف كل شئ، فالنكبة هى كارثة ليست من صنع الإنسان، مثل ثورة قـوي الطبـيعة، والزلـزال، والطـوفان، والإعصار، والوباء . فلم يكن مقتل يهود أوروبا نكـبة، بـل كـان نتيجة نهائية، نتيجة ناتجة عن الموقف القديم للإنسان اليهودي بين الحضارة الغربية . . >>[5] .

وهكـذا، يـرجع عـوز الأحـداث الـتي تعـرض لهـا الـيهود في الشتات إلى المشاكل التي أثاروهـا بأنفسهم مما انعكس عليهم بالسلب . وربما ذلك هو ما جـــعل رؤية عـــوز للآخر (اليهودي الجيتوي) هى رؤية سلبية إلى حد ما ثار فيها على ماهية " اليهودي الجيتوي " وما أثاره من مشكلات :

<< . . مـنذ آلاف السـنين واليهودي هو رمز ماهية غير إنسانية، مثل البرج والصليب، مثل الشيطان والمسيح المنتظر .... فلو غرسوا اليهود كلهم بين شعوب أوروبا لكان اليهودي في حاجـة لأن يكـون حاضـراً وأن يكـون شخصـاً ما مجبراً على أداء دوره، ..... وعليه أن يظهر ويثير المشكلات .... وأن يكون مهيأ للأعمال الشنيعة والبغيضة . . >>[6]

ويـؤكد عـوز علـى أن هـذه حقـيقة أدركـــهـا الصهاينة الأوائل وحاولوا استئصالها من الوجـود : << .... والحقـيقة هـى أن أبناء حركة العمل عرفوا جيداً أن " مرض اليهود ليس

(١)عاموس عوز: "بأور هاتيخيليت هاعازاه" (فى الضوء الأزرق الساطع)، مرجع سابق ،(ص٧٥).
(٢)عاموس عوز: "ماقوم أحير" (مكان آخر)، رواية،مرجع سابق، (ص١١٤).
(٣)عاموس عوز: "سومكى" (سومكى)، قصة، مرجع سابق، (ص٣).
(٤)عاموس عوز: "ماقوم أحير" (مكان آخر)، رواية،مرجع سابق، (ص٨٢).
(٥)عاموس عوز: "بأور هاتيخيليت هاعازاه" (فى الضوء الأزرق الساطع)، مرجع سابق،(ص٧٥).
(٦)نفس المرجع ، (ص٧٥).

فقط في غياب المكان، والتشتت بين الجوييم، وأدركـوا كذلك أنهم مجـبرون على المواجهة مـع أى مـرض نفسـى اجتماعـى عميق ... فلننهى تلك الحالة التي نمت بين اليهود فى شرق أوروبا ... >>[1]

وهكـذا، جاءت رؤية عوز للآخر (اليهودي الجيتوي) فى كتاباته السياسية لتترجم تلك الصـورة المقـوتة والمرفوضـة الـتي ظهـر بهـا فـى بعض أعماله الأدبية، لتؤكد على حتمية تغييـب ذلـك الآخـر (الـيهودي الجيتوي) بكل ما يحمل من ظروف وأحداث تعرضت لها الأقلـيات الـيهودية فى العالم بفعل ما أثاروه من مشاكل، ولتعبر كذلك عن الرغبة الحقيقية فى خلق نموذج جديد للشخصية اليهودية، يستطيع أن يلبي مطالب تلك المرحلة الجديدة من الاسـتيطان والعمـل وتحـت شـعار " أخر يهودي وأول عبري " . ولعل اتفاق موقف عوز الأدبي مـع مـوقفه السياسي بالنسبة للآخر (اليهودي الجيتوي) يعبر عن مدى ضرورة هذا الرفض الذي ينطوى على كثير من الأهداف والآمال الصهيونية الجديدة .

(١)عاموس عوز: "بأور هاتيخيليت هاعازاه" (فى الضوء الأزرق الساطع)، مرجع سابق، (ص١٢٦).

الفهرس

اصـــــدارات دار العـــــلوم

م	اسم الكتاب	اسم المؤلف	سنة النشر	التجليد
١	الأسطورة الزائفة رحيل الصهيونية والبحث عن بديل	د.عمرو عبد العلى علام	٢٠٠٥	غلاف
٢	الانا والآخر الشخصية العربية والشخصية الاسرائيلية فى الفكر الإسرائيلى المعاصر	د. عمرو عبد العلى علام	٢٠٠٥	غلاف
٣	رعاية الأسرة والطفولة من منظور الخدمة الإجتماعية	د. رأفت عبد الرحمن محمد	٢٠٠٥	غلاف
٤	الخدمة الإجتماعية العيادية نحو نظرية للممارسة المهنية مع الأفراد	د. رأفت عبد الرحمن محمد	٢٠٠٥	غلاف
٥	المسؤلية التاديبية لضباط الشرطة - دراسة مقارنة	د. محمود عبد المنعم فايز	٢٠٠٥	مجلد
٦	تحول العقل الباطل - إلى تصرف صحيح	د. رأفت دسوقى	٢٠٠٥	مجلد
٧	١٠٠٠سؤال وجواب فى الكيمياء	د. محمد نصار	٢٠٠٥	غلاف
٨	١٠٠٠سؤال وجواب فى الاختراعات والاكتشافات	أمانى	٢٠٠٥	غلاف
٩	موسوعة أهم الاحداث التاريخية	امانى	٢٠٠٥	غلاف
١٠	الحوار ودوره فى الدعوة والتربية والثقافة	خالد أحمد على عمر	٢٠٠٥	غلاف
١١	الموسوعة الإسلامية : ٢٠٠٠سؤال وجواب فى القرآن الكريم	د. إبراهيم ربيع محمد	٢٠٠٥	غلاف
١٢	الموسوعة الإسلامية : ١٠٠٠سؤال وجواب فى العقيدة	إسلام دربالة	٢٠٠٥	غلاف
١٣	الموسوعة الإسلامية : ٢٠٠٠سؤال وجواب فى الشخصيات والتراجم	مصطفى أحمد	٢٠٠٥	غلاف
١٤	الموسوعة الإسلامية : ٣٠٠٠ سؤال وجواب فى التاريخ الإسلامى		٢٠٠٥	غلاف
١٥	الموسوعة الإسلامية : ٢٠٠٠سؤال وجواب فى الفقة الإسلامى		٢٠٠٥	غلاف
١٦	قصة زواج	أيمن - شريف	٢٠٠٥	غلاف
١٧	الحكم للشعب	د. اسماعيل عبد الفتاح عبد الكافى	٢٠٠٥	غلاف
١٨	القرية الكونية	د. اسماعيل عبد الفتاح عبد الكافى	٢٠٠٥	غلاف
١٩	الكل فى واحد	د. اسماعيل عبد الفتاح عبد الكافى	٢٠٠٥	غلاف
٢٠	الثلاثى الخطير	د. اسماعيل عبد الفتاح عبد الكافى	٢٠٠٥	غلاف
٢١	الصديقان	د. اسماعيل عبد الفتاح عبد الكافى	٢٠٠٥	غلاف
٢٢	روابط متينة	د. اسماعيل عبد الفتاح عبد الكافى	٢٠٠٥	غلاف
٢٣	المشروبات العربية	طاهر البهى	٢٠٠٥	غلاف
٢٤	الألعاب الشعبية للأطفال	طاهر البهى	٢٠٠٥	غلاف
٢٥	سلسلة حكايات فى صور ج١	ناصف مصطفى عبد العزيز	٢٠٠٥	غلاف
٢٦	سلسلة حكايات فى صور ج٢	ناصف مصطفى عبد العزيز	٢٠٠٥	غلاف
٢٧	سلسلة حكايات فى صور ج٣	ناصف مصطفى عبد العزيز	٢٠٠٥	غلاف
٢٨	سلسلة حكايات فى صور ج٤	ناصف مصطفى عبد العزيز	٢٠٠٥	غلاف
٢٩	سلسلة حكايات فى صور ج٥	ناصف مصطفى عبد العزيز	٢٠٠٥	غلاف
٣٠	سلسلة حكايات فى صور ج٦	ناصف مصطفى عبد العزيز	٢٠٠٥	غلاف
٣١	سلسلة حكايات فى صور ج٧	ناصف مصطفى عبد العزيز	٢٠٠٥	غلاف
٣٢	سلسلة حكايات فى صور ج٨	ناصف مصطفى عبد العزيز	٢٠٠٥	غلاف
٣٣	سلسلة حكايات فى صور ج٩	ناصف مصطفى عبد العزيز	٢٠٠٥	غلاف
٣٤	سلسلة حكايات فى صور ج١٠	ناصف مصطفى عبد العزيز	٢٠٠٥	غلاف
٣٥	سلسلة حكايات فى صور ج١١	ناصف مصطفى عبد العزيز	٢٠٠٥	غلاف
٣٦	سلسلة حكايات فى صور ج١٢	ناصف مصطفى عبد العزيز	٢٠٠٥	غلاف
٣٧	موسوعة عواصم العالم	هاني محمد عبدالله	٢٠٠٤	غلاف
٣٨	الاوائل في الاسلام	ابراهيم ربيع	٢٠٠٤	غلاف
٣٩	١٠٠٠سؤال وجواب للمراة المسلمة	مصطفي ابو الغيط - اسلام دربالة	٢٠٠٤	غلاف
٤٠	الموسوعة الجغرافية ج١	مصطفي احمد - حسام عثمان	٢٠٠٤	غلاف
٤١	الموسوعة الجغرافية ج٢	مصطفي احمد - حسام عثمان	٢٠٠٤	غلاف
٤٢	الموسوعة الجغرافية ج٣	مصطفي احمد - حسام عثمان	٢٠٠٤	غلاف
٤٣	الموسوعة الجغرافية ج٤	مصطفي احمد - حسام عثمان	٢٠٠٤	غلاف
٤٤	الموسوعة الجغرافية ٤/١	مصطفي احمد - حسام عثمان	٢٠٠٤	مجلد
٤٥	كلماتي الاولي عربي / انجليزي	اعداد دار العلوم	٢٠٠٤	غلاف
٤٦	كلماتي الاولي عربي / فرنسي	اعداد دار العلوم	٢٠٠٤	غلاف
٤٧	كلماتي الاولي عربي / ايطالي	اعداد دار العلوم	٢٠٠٤	غلاف
٤٨	كلماتي الاولي عربي / الماني	اعداد دار العلوم	٢٠٠٤	غلاف
٤٩	كلماتي الاولي عربي / اسباني	اعداد دار العلوم	٢٠٠٤	غلاف
٥٠	لون مع ادواتي	اعداد دار العلوم	٢٠٠٤	غلاف
٥١	لون مع المنزل	اعداد دار العلوم	٢٠٠٤	غلاف

م	اسم الكتاب	اسم المؤلف	سنة النشر	التجليد
٥٢	لون مع اشارات المرور	اعداد دار العلوم	٢٠٠٤	غلاف
٥٣	لون مع الحيوانات البحرية	اعداد دار العلوم	٢٠٠٤	غلاف
٥٤	لون مع لعب الاطفال	اعداد دار العلوم	٢٠٠٤	غلاف
٥٥	لون مع الالون	اعداد دار العلوم	٢٠٠٤	غلاف
٥٦	لون مع الناس	اعداد دار العلوم	٢٠٠٤	غلاف
٥٧	لون مع ادوات المطبخ	اعداد دار العلوم	٢٠٠٤	غلاف
٥٨	لون مع الفواكة	اعداد دار العلوم	٢٠٠٤	غلاف
٥٩	لون مع المهن	اعداد دار العلوم	٢٠٠٤	غلاف
٦٠	لون مع الخضروات	اعداد دار العلوم	٢٠٠٤	غلاف
٦١	لون مع الطيور	اعداد دار العلوم	٢٠٠٤	غلاف
٦٢	لون مع الاشكال	اعداد دار العلوم	٢٠٠٤	غلاف
٦٣	لون مع الاشياء	اعداد دار العلوم	٢٠٠٤	غلاف
٦٤	لون مع وسائل المواصلات	اعداد دار العلوم	٢٠٠٤	غلاف
٦٥	لون مع الحيوانات	اعداد دار العلوم	٢٠٠٤	غلاف
٦٦	لون مع الارقام	اعداد دار العلوم	٢٠٠٤	غلاف
٦٧	لون مع الملابس	اعداد دار العلوم	٢٠٠٤	غلاف
٦٨	لون مع بلدي	اعداد دار العلوم	٢٠٠٤	غلاف
٦٩	لون مع مدرستي	اعداد دار العلوم	٢٠٠٤	غلاف
٧٠	لون مع شنطتي	اعداد دار العلوم	٢٠٠٤	غلاف
٧١	لون مع الالعاب الرياضية	اعداد دار العلوم	٢٠٠٤	غلاف
٧٢	لون مع جسمي	اعداد دار العلوم	٢٠٠٤	غلاف
٧٣	لون مع الحديقة	اعداد دار العلوم	٢٠٠٤	غلاف
٧٤	لون مع الشارع	اعداد دار العلوم	٢٠٠٤	غلاف
٧٥	لون مع الاسماك	اعداد دار العلوم	٢٠٠٤	غلاف
٧٦	لون مع الكون	اعداد دار العلوم	٢٠٠٤	غلاف
٧٧	لون مع اجهزة المنزل	اعداد دار العلوم	٢٠٠٤	غلاف
٧٨	لون مع الحروف	اعداد دار العلوم	٢٠٠٤	غلاف
٧٩	لون مع النادي	اعداد دار العلوم	٢٠٠٤	غلاف
٨٠	Colour with house	اعداد دار العلوم	٢٠٠٤	غلاف
٨١	Colour with Traffic signs	اعداد دار العلوم	٢٠٠٤	غلاف
٨٢	Colour with marine Animals	اعداد دار العلوم	٢٠٠٤	غلاف
٨٣	Colour with Toyes	اعداد دار العلوم	٢٠٠٤	غلاف
٨٤	Colour with Colours	اعداد دار العلوم	٢٠٠٤	غلاف
٨٥	Colour With Family	اعداد دار العلوم	٢٠٠٤	غلاف
٨٦	Colour with fruits	اعداد دار العلوم	٢٠٠٤	غلاف
٨٧	Colour with Vegetables	اعداد دار العلوم	٢٠٠٤	غلاف
٨٨	Colour with Birdes	اعداد دار العلوم	٢٠٠٤	غلاف
٨٩	Colour with forms	اعداد دار العلوم	٢٠٠٤	غلاف
٩٠	Colour with Things	اعداد دار العلوم	٢٠٠٤	غلاف
٩١	Colour with TRANSPORTATION	اعداد دار العلوم	٢٠٠٤	غلاف
٩٢	Colour with Animals	اعداد دار العلوم	٢٠٠٤	غلاف
٩٣	Colour with people	اعداد دار العلوم	٢٠٠٤	غلاف
٩٤	Colour with clothes	اعداد دار العلوم	٢٠٠٤	غلاف
٩٥	Colour with my home	اعداد دار العلوم	٢٠٠٤	غلاف
٩٦	Colour with my School	اعداد دار العلوم	٢٠٠٤	غلاف
٩٧	Colour with my Bag	اعداد دار العلوم	٢٠٠٤	غلاف
٩٨	Colour with Sports	اعداد دار العلوم	٢٠٠٤	غلاف
٩٩	Colour with my Body	اعداد دار العلوم	٢٠٠٤	غلاف
١٠٠	Colour with Garden	اعداد دار العلوم	٢٠٠٤	غلاف
١٠١	Colour with Street	اعداد دار العلوم	٢٠٠٤	غلاف
١٠٢	Colour with Fishes	اعداد دار العلوم	٢٠٠٤	غلاف
١٠٣	Colour with Home machin	اعداد دار العلوم	٢٠٠٤	غلاف

م	اسم الكتاب	اسم المؤلف	سنة النشر	التجليد
١٠٤	Colour with Club	اعداد دار العلوم	٢٠٠٤	غلاف
١٠٥	Colour with Tools	اعداد دار العلوم	٢٠٠٤	غلاف
١٠٦	Colour with Univers	اعداد دار العلوم	٢٠٠٤	غلاف
١٠٧	Colour with profession	اعداد دار العلوم	٢٠٠٤	غلاف
١٠٨	Colour with A-B-C	اعداد دار العلوم	٢٠٠٤	غلاف
١٠٩	Colour with ١-٢-٣	اعداد دار العلوم	٢٠٠٤	غلاف
١١٠	Couleur avec Formes	اعداد دار العلوم	٢٠٠٤	غلاف
١١١	Couleur avec Basse-cour	اعداد دار العلوم	٢٠٠٤	غلاف
١١٢	Couleur avec Les animeaux	اعداد دار العلوم	٢٠٠٤	غلاف
١١٣	Couleur avec Les fruits	اعداد دار العلوم	٢٠٠٤	غلاف
١١٤	Couleur avec Les l'equmes	اعداد دار العلوم	٢٠٠٤	غلاف
١١٥	Couleur avec Les couleurs	اعداد دار العلوم	٢٠٠٤	غلاف
١١٦	Couleur avec Mes instruments	اعداد دار العلوم	٢٠٠٤	غلاف
١١٧	Couleur avec La maison	اعداد دار العلوم	٢٠٠٤	غلاف
١١٨	Couleur avec Les gens	اعداد دار العلوم	٢٠٠٤	غلاف
١١٩	Couleur avec Les professions	اعداد دار العلوم	٢٠٠٤	غلاف
١٢٠	Couleur avec Les chosscs	اعداد دار العلوم	٢٠٠٤	غلاف
١٢١	Couleur avec Les chiffres	اعداد دار العلوم	٢٠٠٤	غلاف
١٢٢	Couleur avec L'es signes de traffic	اعداد دار العلوم	٢٠٠٤	غلاف
١٢٣	Couleur avec Les jeux Desenfants	اعداد دار العلوم	٢٠٠٤	غلاف
١٢٤	Couleur avec crustac'es	اعداد دار العلوم	٢٠٠٤	غلاف
١٢٥	Couleur avec Les v'e^ tements	اعداد دار العلوم	٢٠٠٤	غلاف
١٢٦	Couleur avec Mon Pays	اعداد دار العلوم	٢٠٠٤	غلاف
١٢٧	Couleur avec Mon 'ecole	اعداد دار العلوم	٢٠٠٤	غلاف
١٢٨	Couleur avec Mon serviette	اعداد دار العلوم	٢٠٠٤	غلاف
١٢٩	Couleur avec Mon corps	اعداد دار العلوم	٢٠٠٤	غلاف
١٣٠	Couleur avec Le jardin	اعداد دار العلوم	٢٠٠٤	غلاف
١٣١	Couleur avec La rue	اعداد دار العلوم	٢٠٠٤	غلاف
١٣٢	Couleur avec Les poissons	اعداد دار العلوم	٢٠٠٤	غلاف
١٣٣	Couleur avec Astronomie	اعداد دار العلوم	٢٠٠٤	غلاف
١٣٤	Couleur avec L'alphabet ABC	اعداد دار العلوم	٢٠٠٤	غلاف
١٣٥	Couleur avec Club sportif	اعداد دار العلوم	٢٠٠٤	غلاف
١٣٦	Couleur avec Ustensiles de cuisine	اعداد دار العلوم	٢٠٠٤	غلاف
١٣٧	Couleur avec Ustensiles 'el'ectriques	اعداد دار العلوم	٢٠٠٤	غلاف
١٣٨	Couleur avec Moyens de transport	اعداد دار العلوم	٢٠٠٤	غلاف
١٣٩	Couleur avec Jeux sportif	اعداد دار العلوم	٢٠٠٤	غلاف
١٤٠	اطلالة في عشق الوطن	حسن ابشر الطيب	٢٠٠٤	غلاف
١٤١	الاعمال الشعرية الكاملة	عمر الصاوى	٢٠٠٣	غلاف
١٤٢	ام درمان تاتي في قطار الثامنة	كمال الجزولي	٢٠٠٤	غلاف
١٤٣	العولمة والتجارة الالكترونية	بهاء شاهين	٢٠٠٤	غلاف
١٤٤	مطبخ جدتي	ماجدة المهداوي	٢٠٠٤	غلاف
١٤٥	السودان أهوال الحرب وطموحات السلام	منصور خالد	٢٠٠٣	
١٤٦	جنوب السودان في المخيلة العربية	منصور خالد	٢٠٠٠	